

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

شعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية  
عصر ملوك الطوائف  
دراسة نقدية تحليلية

إعداد

أشجع رشدي عبد الجبار دريدي

إشراف

أ. د. وائل فؤاد أبو صالح

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بكلّة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2006م

شعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية

عصر ملوك الطوائف

دراسة نقدية تحليلية

إعداد

أشجع رشدي عبد الجبار دريدي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2006/09/17 وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

1- أ. د. وائل أبو صالح/ مشرفاً ورئيساً

2- أ. د. تيسير عودة/ ممتحناً خارجياً

3- أ. د. إحسان الديك/ ممتحناً داخلياً

د. وائل أبو صالح

## الإهداء

إلى شمعة الحبّ ونبراس الحياة  
إلى من ضحّى بمباهج الدنيا وزينتها من أجلنا  
إلى من كانا أول من يجوع وآخر من يشبع  
إلى فرقدي عمري وجناحي قلبي  
إلى أغلى الناس وأعزّ البشر  
إلى روحي ونفسي  
إلى أمي وأبي

إلى كواكب دربي  
إلى رفاق عمري  
إلى سلاحي وسندي وعضدي  
إلى أخوتي وأشقائي  
إلى همام وزوجه وابنيهما نديّة وعمر  
إلى ضرغام وزوجه  
إلى محمّد  
إلى زلفي  
إلى أحمد

إلى أرواح قضاة الأندلس  
إلى قضاة فلسطين  
إلى قضاة المسلمين  
إلى قضاة الأرض  
إلى العدل والحقّ المنشودين فيهم  
إليهم جميعاً أهدي هذا البحث

## الشكر والتقدير

كثيرون هم العاملون، وقليل منهم المحسنون، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وما إحساني إلا أن أتقدم من فضيلة أستاذي المشرف الدكتور وائل أبو صالح بجزيل الشكر وعظيم الامتنان والعرفان، فلقد أحسن بي إذ أخرجني من مستتق الخوف والتقليد إلى معارج البحث والتجديد، فبذل الجهد والوقت الكبيرين في إرشادي وإعانتني على اكتمال صورة هذا البحث، ولطالما جنته حائرا تائها في دروبه وثناياه، فبصرني بجوانبه وطرق تناوله، كل هذا بابتسامته المفعمة بالمرح والحياء، ودعابته المحملة بالحب والعطاء، فلقد كان لي نعم المشرف والمرشد، ولئن قصرت الكلمات عن ترجمة خالص تقديري وجزيل شكري له، فإن معانيه أسمى وأرفع مما قد يبوح به اللسان، وأدعو سائلا الله عز وجل أن يكأه بحفظه ورعايته، ويقر عينه في نفسه وأهله.

ولئن كنت أنسى فلا أنسى الأستاذ فايز سلوم في مكتبة جامعة النجاح الذي لم يبخل علي بمعلومة، ولم يرض علي بتقديم يد العون المساعدة، فقد حباه الله علما نافعا، ونفسا زكية، فأبته خالص شكري ومحبيتي، وأسأل الله له ولأهله دوام الصحة والعافية.

## قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	صفحة التواقيع
ت	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	قائمة المحتويات
ز	الملخص
1	المقدمة
5	الفصل الأول: خطة القضاء في الأندلس.....
6	مفهوم القضاء
6	في اللغة
7	في الاصطلاح
8	مشروع القضاء
8	القرآن الكريم
9	الحديث الشريف
11	الاجماع
12	شروط القاضي
12	البلوغ والعقل
13	الإسلام
14	الحرية
14	الذكورة
15	العدالة
16	العلم بالأحكام الشرعية
18	سلامة الحواس
19	شروط أخرى
20	الامتناع عن قبول القضاء
21	تعيين القضاة
22	الخليفة أو الأمير

الصفحة	الموضوع
23	نائب الخليفة
23	أمراء الأقاليم وقضاتها
23	أهل الشورى
24	الترشيح والانتخاب
26	<b>اختصاصات القضاة</b>
26	الاختصاصات القضائية
27	الاختصاصات غير القضائية
29	<b>أعوان القضاة</b>
29	الكاتب
30	الحاجب
31	القومة
32	الأمناء
32	الشيوخ
33	<b>خصوصيات القضاة</b>
33	مباشرة القاضي البيع والشراء بنفسه
33	حضور القاضي الولايم
33	عيادة القاضي المرضى وحضور الجنائز
34	لا يضيف القاضي الخصم دون صاحبه
34	منع القاضي من قبول الهدية
34	لا يحكم القاضي وهو غضبان
34	أرزاق القضاة
36	بيت القاضي
37	لباس القاضي ومركبه
39	ألقاب القضاة
41	مذاهب القضاة
42	العروبة
42	علوم القضاة ورحلاتهم
46	<b>خصوصيات القضاء</b>

الصفحة	الموضوع
46	مجلس القضاء
47	وقت القضاء
48	ديوان القضاء
49	استقلال القضاء
50	ضم أعمال مختلفة إلى القضاء
50	الأمانات
50	النظر في الأحباس
51	الصلاة وخطبة الجمعة
51	الاستسقاء
51	صلاة الخسوف والكسوف
51	الصلاة على الأموات
52	الوزارة
52	الوزارة والصلاة
53	السفارة والإشراف على الثغور
53	الخروج للحرب
53	الشرطة والسكة والمواريث
54	الفصل الثاني: الأغراض الشرعية لقضاة الأندلس .....
55	الشعر من المنظور الإسلامي
59	الوصف
60	الطبيعة الصامتة
60	الطبيعة المطبوعة
62	الطبيعة المصنوعة
64	الطبيعة المتحركة
64	النبات
66	الحيوان
69	الشوق والحنين
75	المديح
81	الهجاء

الصفحة	الموضوع
86	الفخر
89	الثناء
93	الشكوى
97	الغزل
99	الاستصراخ
101	العلم
108	الزهد
108	تحقير الدنيا
110	التذكير بالموت
112	العبادة والموعظة
113	الانقطاع إلى الله
114	التوبة
114	الحمد والشكر
115	التضرع والدعاء
117	الإخوانيات والمراسلات
125	الأخلاق
127	الفصل الثالث: الخصائص الفنية لشعر قضاة الأندلس.....
128	البناء اللغوي
128	تأثير الحضارة
130	السهولة والبعد عن التكلف
132	البساطة والشعبية والاقتراب من لغة العامة
134	اقتراب أسلوب الشعر من النثر
136	الطباق
140	الترادف
143	الجميل الخبرية والإنشائية
143	الجميل الخبرية
145	الجميل الإنشائية
145	الأمر

الصفحة	الموضوع
148	النهي
149	النداء
151	الاستفهام
153	<b>التأثر بالمعاني الإسلامية</b>
153	التأثر بالمعاني القرآنية
156	التأثر بألفاظ القرآن الكريم
159	التأثر بالقصص القرآني
160	الاستشهاد بالقرآن الكريم
161	التأثر بالحديث الشريف
165	<b>بناء الصورة الفنية</b>
165	التشبيه المفرد
169	التشبيه التمثيلي والضمي
171	الاستعارة والمجاز المرسل والكنية
171	الاستعارة
172	المجاز المرسل
174	الكنية
177	<b>البناء الموسيقي</b>
178	الجناس
182	الترديد
186	التدوير
188	التصريع
190	شكل القصيدة وأسلوبها
193	الوزن الشعري
199	القافية
202	<b>الخاتمة</b>
207	مجموع أشعار القضاة
260	<b>جداول توضيحية</b>
261	الحصيلة الشعرية للقضاة

الصفحة	الموضوع
266	الأغراض الشعريّة
286	الأشكال الفنيّة
269	البحور
270	القوافي
271	القافية المقيدة
272	ثبت المصادر والمراجع
b	ABSTRACT

شعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية

عصر ملوك الطوائف

دراسة نقدية تحليلية

إعداد

أشجع رشدي عبد الجبار دريدي

إشراف

أ. د. وائل فؤاد أبو صالح

## الملخص

لقد عنونت أطروحتي هذه بشعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، وفيها خضع لنطاق بحثي كل من تولى مهنة القضاء في بلاد الأندلس، سواء أكان أندلسي المولد أم غير ذلك، وذلك في الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي للأندلس عام اثنين وتسعين للهجرة (92) حتى نهاية عصر دول ملوك الطوائف عام أربعة وثمانين وأربعمائة للهجرة (484) والتي امتدت إلى ما يقارب من نصف الحقبة التاريخية لحضارة الأندلس.

وقد جاء بحثي موزعا في ثلاثة فصول، فكان الفصل الأول بعنوان "خطة القضاء في الأندلس"، وقد قمت بجمع المادة الدراسية من مختلف كتب الفقه والحديث والأدب والتاريخ والتراجم، فكانت خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط عند الخاصة والعامّة لتعلّقها بأمر الدين والدنيا، وتحدثت فيه عن مفهوم القضاء، ومشروعيتها، وما يشترط في القاضي من عقل وبلوغ وإسلام وحرية وذكورة وعدالة وعلم بالأحكام الشرعية وسلامة حواس، وتعددت الجهات التي تتولى مسؤولية تعيينهم كالحاكم أو نائبه، وأمراء الأقاليم وقضايتها، وأهل الشورى، كما تتوّعت اختصاصاتهم ما بين قضائية كالنظر في الجراح وقضايا الأحداث والمناكح، والمواريث، وغير قضائية، كالنظر في أموال اليتامى، والأحباس، كما اتخذ كثير منهم له بعض الأعوان والمساعدين، كالكتاب، والحاجب، والقومة، والأمناء، والشيوخ، وقد كانت حياة القضاة مثلا في الزهد والأمانة والبساطة، ونجد لهم كذلك ألقابا متعدّدة، كقاضي الجند، والمسدد، وقاضي الجماعة، وقاضي القضاة، وخليفة القاضي، وأما مذاهبهم الفقهية، فلم يكن لديهم في البداية مذهب مشرط ومتبع، وبقي الحال كذلك حتى عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل عام سبعين ومائة للهجرة، فألزمهم جميعا بمذهب مالك، وقد حظي القضاة بوفرة من العلوم

والمعارف، فكانوا من طبقة العلماء، وقليلٌ منهم من تخلو حياته من الرحلات العلميّة، وأنهيتُه بالحديث عن خصوصيات القضاء من حيث وقتُه ومَجْلِسُه، وديوانه، واستقلاليتُه.

أمّا الفصلُ الثاني فقد جاء بعنوانِ (الأغراض الشعرية لقضاة الأندلس)، وفيه بذلتُ جهداً أن أحصيَ جميعَ أشعارهم، وأنقَبَ عنها في بطونِ أمّهاتِ الكتب، فكانَ عددُ قضاةِ الأندلسِ كبيراً جداً، وقلةٌ منهم من استطعنا العثورَ له علىِ مَخَلِّفاتٍ شعريّة، وهم لا يتجاوزونَ الستّةَ عشرَ، وقد قمتُ بدراسةِ هذه الأشعارِ دراسةً تحليليّةً مستفيداً من المناهج الأدبيّة المختلفة، وصنّفتُ أغراضهم الشعريّة في ثلاثةَ عشرَ غرضاً وهي: الوصفُ، وجاءَ على شكلِ مقطوعاتٍ شعريّةٍ حفّلتُ بالصورةِ الفنيّة، غيرَ أنّها لم تقترنْ بفنونِ شعرِ المتعةِ الحسيّة، وغرضُ الشوقِ والحنينِ، الذي شغلَ حيزاً واضحاً في أشعارهم، فعبروا عن طولِ غريبتهم وشدةِ شوقهم للأهلِ والأحبابِ بعواطفٍ حارّةٍ وصادقةٍ، وغرضُ المديحِ، الذي دفعهم إليه حسنُ النيةِ والشعورِ، وتوسُّمُ الخيرِ في الممدوحِ، فخلعوا عليه ألقاباً علميّةً وإسلاميّةً، وأمّا غرضُ الهجاءِ فكانَ على نوعينِ: أهّاج اجتماعيّةٍ تذمُّ أحوالَ الناسِ وسوءَ معتقداتهم، وابتعادهم عن روحِ الإسلامِ، وأهّاج علميّةٍ تدعو إلى العلمِ والاجتهادِ، وتذمُّ أهلَ الجهلِ والتقليدِ، وغرضُ الفخرِ، وتمثّلَ في الاعتزازِ بما يكتسبه الإنسانُ من علومٍ ومعارفٍ، وكانَ غرضُ الرثاءِ يمثّلُ في رثاءِ الأبناءِ، فقد لمسنا صدقَ العاطفةِ وحرارتها عندَ القاضي أبي الوليدِ الباجي، وكانَ غرضُ الشكوى بدافعِ الغيرةِ، والحرصِ على الدينِ ومحاميه، فساءهم ما آلَ إليه حالُ المسلمينَ من معصيةٍ وضلالٍ، وقد كانَ غرضُ الغزلِ نَزْراً ولا ينبُعُ من عاطفةٍ أو وجدانٍ، ولم نعتزُّ على أشعارٍ في غرضِ الاستصراخِ سوى مقطوعةٍ واحدةٍ، بينما أكثروا من غرضِ العلمِ، وأجادوا فيه، وتتوعتُ أشعارهم ما بينَ القصيدةِ والمقطوعةِ، ولعلَّ أكثرَ ما نظمَ فيه القضاءُ كانَ في غرضِ الزهدِ، فحقرُوا من قيمةِ الدنيا أمامَ الآخرةِ، وذكروا بالموتِ والفناءِ، ودعوا إلى العبادةِ والانقطاعِ إلى الله تعالى، واستلهموا معانيَ التوبةِ والحمدِ والشكرِ، وأمّا غرضُ الإخوانيّاتِ والمراسلاتِ، فكانَ في موضوعِ الاستعارةِ، والنقدِ، والقضاءِ، والفكاهةِ، والهديةِ، والعلمِ، والاجتماعياتِ، وأخيراً كانَ غرضُ الأخلاقِ الذي ما يرحَ قضائنا يستلهمونه ويضمّنونه سائرَ الأغراضِ تارةً، ويستقلّونَ به تارةً أخرى.

وكان الفصل الثالث بعنوان (الخصائص الفنية لشعر قضاة الأندلس)، وفي ميدان البحث عن خصائص أشعارهم الفنية، كان بناؤها اللغوي سهلاً وبعيداً عن التكلف، حتى أن أسلوبهم في كثير من الأحيان اقترب من لغة النثر، وقد أثرت الحضارة في كثير من مفرداتها، كما كثرت لديهم أسلوب الطباق، فحققوا به تقوية الفكرة والمعنى، والتعبير عن حالة الاضطراب لديهم من جراء واقع الحياة وتعقيداتها، وقد جاءت الجملة الخبرية مؤكدة بالأسماء والحروف، مما عكس فصل القول والخطاب لديهم، وأعطى الكلام نوعاً من الحجّة والبرهان، كما استخدموا الجملة الإنشائية الطلبية بكثرة، وخرجت إلى معاني متعددة، فأضقت على المعنى والأسلوب القوة والبيان، كما كان لديهم تأثر واضح وكبير بالقرآن الكريم، وذلك من حيث القصص والمعاني والألفاظ، وهذا دليل على سعة علومهم، وعنايتهم بالدين الإسلامي، وكذلك تحدثت عن بناء الصورة الفنية، فتناولت التشبيه المفرد، والتمثيلي والضماني، والاستعارة والمجاز والكناية، وقد عكست صورهم الفنية حالتهم النفسية، وتلونت بأحاسيسها وعواطفها، وذلك بحسب التعريفات والاهتمامات التي يؤمنون بها، كما درست البناء الموسيقي لتلك الأشعار، وتناولت عدة جوانب في ذلك، كالجناس، والترديد، والتدوير، والتصريع، وشكل القصيدة وأسلوبها، والوزن الشعري، والقافية.

وقد ألحقت تلك الفصول بجميع أشعار القضاة التي استطعت جمعها، ورتبتها ترتيباً أبنتياً حسب حرف الروي، كما وثقت تلك الأشعار من مصادرها التي وردت فيها، وأشارت إلى بعض التغييرات التي أدخلتها على بعض الأبيات لتفادي الخطأ في النقل والطباعة، وليس تقييم الوزن الشعري على محور الخليل.

## المقدمة

أقبل الدارسون على دراسة الجانب التخصصي والمهني للشخصيات، وأغفلوا كثيرا من الجوانب الأخرى المتمثلة في اجتماعياتهم، وسياساتهم، واقتصادياتهم، فدرسوا للأدباء آدابهم، وللشعراء أشعارهم، وللفقهاء فقههم، ولأصحاب الحرف حرفهم، وهذا لم يعط الصورة التامة والمتكاملة لتلك الشخصيات، لأن زاوية الرؤية كانت واحدة، والمنهج العلمي يقتضي على الناقد النظر من عدة جوانب وزوايا، وذلك حتى تكون رؤيته أشمل، وحكمه أصوب وأدق، فليس معنى شهرة شخصية ما بفن أو مهنة معينة أن أدرس هذا الفن أو هذه المهنة لتلك الشخصية فحسب، فربما كان في دراسة الجوانب الأخرى لتلك الشخصية أعظم فائدة، وأكثر مصداقية.

بثت أستاذي الدكتور وائل أبو صالح ما يجول في عقلي ونفسي، وذلك بدراسة فئة من فئات المجتمع الأندلسي الذي أهدى البشرية حضارة ثمانية قرون مليئة بالعلوم والمعارف، أنارت ظلام الجهل وبددت عتمة عصور الظلام، فكان أن أشار عليّ بدراسة أشعار قضاة الأندلس، فصادف هذا الموضوع في قلبي صدى وهوى، فكثيرا ما كانت تطالعني أسماء القضاة، ومسائلهم الفقهية، وتقع بين يدي أحيانا نتف من أشعارهم، ونبذ عن سيرهم وعلومهم، فأثار ذلك في نفسي الفضول وحبّ العلم والمعرفة، كلّ هذا كان دافعا وحافزا لي لأن أشحذ ذهني، وأحفز همتي لدراسة هذا الجانب المشرق من تاريخ حضارة الأندلس.

فبدأ مشواري العلميّ مع قضاة الأندلس وأشعارهم، وأخذت مشكلات البحث ومصاعبه تتري وتواجهني تباعا، وتمثّلت في قلة المصادر والمراجع التي تخدم هذا الغرض، وعدم تناسبها وعبء المرحلة الأندلسية وامتدادها، فوجدت قصورا لدينا في دراسة هذه الحقبة من الزمن، والعناية بتراثها الفكري والعلمي، ونضيف إلى ذلك أنّ دارسينا لم يهتموا بالقضاة إلا من الناحية الفقهية الدينية، وحتّى في هذا الجانب فإنني لم أعثر على تصور كامل، ودراسة وافرة تعنى بتبسيط الضوء الساطع على خطّة القضاء في الأندلس، سوى ما جاء نتفا متفرقة هنا وهناك، فتضاعف بذلك العبء والجهد، وأتسم البحث بطابع الجدة والطرافة، ولقد بذلت الجهد والوقت وأنا أبحث بين طيات المصادر عن أشعار القضاة، فلم تكن سهلة المنال، كما كانت تفتقر إلى

الدراسة والتحقيق، فعملت جاهدا على توثيق الأشعار في أكثر من مصدر، لتحرى الدقة والصواب، وعرضها على بحور الشعر العربي لضبط أوزانها، وتشكيل كلماتها، كما كان لجرائم الاحتلال البغيض بالغ الأثر في اشتداد معاناة شعبنا في جميع الميادين، فقطعوا أوصال هذا الشعب، وفرضوا الحواجز والإغلاقات، مما أعاق من حركة الباحث، وأدى إلى عدم تمكنه من الوصول إلى الجامعة ودور العلم ببسر وسهولة.

ولم أكن مبدعا في هذا البحث، ولست أول من تناول جوانب هذا العمل العلمي، وكان موضوع بحثي طريفا، ولم يسبقني إليه أحد، غير أنه كان هناك دراسات سابقة تناولت بعض جوانبه، فرجعت إليها في كثير من القضايا، وكان عليها الاعتماد في هيكلية البحث وقضاياها، ولعل أوفى المصادر التي اعتمدت عليها في مادة البحث كتاب (تاريخ قضاة الأندلس، والمسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) للنباهي أبي الحسن عبد الله بن الحسن المالقي، وكتاب (قضاة قرطبة) للخشني أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسيد القيرواني، فقد تضمن هذان الكتابان وفرة عن قضاة الأندلس وخطة القضاء فيها، كما اعتمدت على الأستاذ ظافر القاسمي في كتابه (نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي) - الكتاب الثاني (السلطة القضائية) - وقد كان هذا الكتاب من أوفى المراجع التي أفدت منها في هذا البحث، ويعود الفضل إليه في وضع هيكلية الفصل الأول، ولا أنسى أن أشير إلى دراسات أستاذي المشرف الدكتور وائل أبو صالح، فقد كان له دراسات أدبية في بعض القضايا، فله كتاب (منذر بن سعيد البلوطي)، وبحث بعنوان (شعر أبي الوليد الباجي)، وكان لهاتين الدراستين الفضل الكبير في إثراء مادة البحث، فقد أفدت منهما، واقتفيت أثرهما.

ولقد قسّمت بحثي إلى ثلاثة فصول، فكان الفصل الأول بعنوان (خطة القضاء في الأندلس)، وتناولت فيه مفهوم القضاء لغة واصطلاحاً، ومشروعيته في القرآن الكريم والحديث الشريف والإجماع، والشروط الواجب توفرها في القاضي كالعقل والبلوغ، والإسلام، والحريّة، والذكورة، والعدالة، والعلم بالأحكام الشرعيّة، وسلامة الحواس، وشروط أخرى، وتحدّثت عن امتناع بعضهم عن قبول القضاء لتقل هذه الأمانة وعظم مسؤوليتها، كما ذكرت الجهات التي تتولّى تعيين القضاة كالخليفة ونائبه، وأمراء الأقاليم وقضااتها، وأهل الشورى، والترشيح

والانتخاب، كما تعرضت لأهم اختصاصاتهم القضائيّة وغير القضائيّة، وتحدثت عن أعوانهم مثل الكتاب، والحجاب، والقومة، والأمناء، والشيوخ، وتعرضت كذلك لخصوصيّات القضاة وأحكامهم من حيث مباشرتهم البيع والشراء بأنفسهم، وحضورهم الولائم، وعياداتهم المرضى وحضور الجنائز، وعدم إضافة الخصم دون صاحبه، وامتناعهم عن قبول الهدية، وعدم إصدارهم الأحكام في حالة الغضب، وتحدثت أيضاً عن أرزاق القضاة ومساكنهم وألبستهم ومراكبهم وألقابهم ومذاهبهم الفقهيّة وعروبتهم وعلومهم ورحلاتهم. كما بحثت في خصوصيّات القضاء، من حيث المجلس والوقت والديوان وضم أعمال مختلفة إليه.

أمّا الفصل الثاني فقد جاء بعنوان (الأعراض الشعريّة لقضاة الأندلس)، ووزعت أغراضهم الشعريّة في ثلاثة عشر غرضاً وهي: الوصف، ولم يحفل قضائنا به، فأبتعدوا عن وصف مباحج الطبيعة وزينتها سوى ما جاء في نتف قليلة، وانشغلوا عن ذلك بمهنة القضاء وفعل الطاعات، وغرض الشوق والحنين، فقد كثر لديهم هذا الغرض، وأجادوا فيه، وأكثروا من القصائد، فعبروا أصدق التعبير عن معاناتهم في رحلاتهم وأسفارهم، وما يختلج قلوبهم ونفوسهم من بواعث الماضي والذكريات، وعواطف الشوق والحنين، وغرض المديح، الذي لم يكن الباعث وراءه التكسّب والتملّق، وإنما دفعهم إلى ذلك صدق النية والشعور، وتوسم الخير في الممدوح، فخلعوا عليه ألقاباً علميّة وإسلاميّة، وأمّا غرض الهجاء فقد ابتعد عن صورته التقليديّة، وسما عن فواحش القول وردائل الأمور، فغلب عليه طابع المقطوعة، وكان الهجاء لديهم على نوعين، أهاج اجتماعيّة تدمّ أحوال الناس وسوء معتقداتهم، وابتعادهم عن روح الإسلام، وأهاج علميّة تدعو إلى العلم والاجتهاد، وتندمّ أهل الجهل والتقليد، وغرض الفخر الذي نحوا به منحى جديداً، فتمتّل في الفخر بما يكتسبه الإنسان من علم ومعرفة وفصاحة وبيان، لا بما يرثه من حسب ونسب وهيئة وجمال، وكان غرض الرثاء يثمتّل في رثاء الأبناء، فقد لمسنا صدق العاطفة وحرارتها عند القاضي أبي الوليد الباجي، بينما لم يكن غرض الشكوى نتيجة هموم ذاتيّة، بل كانت بدافع الغيرة، والحرص على الدين ومحامته، فساءهم ما آل إليه حال المسلمين من معصية وضلال، وقد كان غرض الغزل نزرًا ولا ينبع من عاطفة أو وجدان، ولم نعثر على أشعار في غرض الاستصراخ سوى مقطوعة واحدة، بينما أكثروا من غرض العلم، وأجادوا

فيه، وتتوعد أشعارهم ما بين القصيدة والمقطوعة، ممّا عكس مدى اهتمامهم به، ولعلّ أكثر ما نظم القضاة كان في غرض الزهد، فحقرّوا من قيمة الدنيا أمام الآخرة، وذكرّوا بالموت والفناء، ودعوا إلى العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، واستلهموا معاني التوبة والحمد والشكر والتضرع والدعاء إلى الله عزّ وجلّ، وغرض الإخوانيّات والمراسلات، وكان في موضوع الاستعارة، والنقد، والقضاء، والفكاهة، والهدية، والعلم، والاجتماعيات، وغرض الأخلاق الذي ما برح قضائنا يستلهمونه ويضمّنونه سائر الأغراض تارة، ويستقلّون به تارة أخرى.

وكان الفصل الثالث بعنوان (الخصائص الفنيّة لشعر قضاة الأندلس)، وتناولت فيه البناء اللغويّ، من حيث السهولة والبعد عن التكلّف، والبساطة والشعبية والاقتراب من لغة العامّة، واقتراب أسلوب الشعر من النثر، والطباق، والترادف، والجمل الخبريّة والإنشائيّة، والتأثّر بالقرآن الكريم والحديث الشريف من حيث المعاني والألفاظ والقصص، وكذلك تحدّثت عن بناء الصورة الفنيّة، فتناولت التشبيه المفرد، والتمثيلي والضمني، والاستعارة والمجاز المرسل والكناية، كما درست البناء الموسيقيّ لتلك الأشعار، وتناولت عدّة جوانب في ذلك، كالجناس، والترديد، والتدوير، والتصريع، وشكل القصيدة وأسلوبها، والوزن الشعري، والقافية.

وقد ألفت تلك الفصول بجميع أشعار القضاة التي استطعت جمعها، ورتبّتها ترتيباً أبتيثياً حسب حرف الروي، كما وثّقت تلك الأشعار من مصادرها التي وردت فيها، وأشرت إلى بعض التغييرات التي أدخلتها على بعض الأبيات لنقادي الخطأ في النقل والطباعة، وليس تقيم الوزن الشعريّ على محور الخليل، كما قمت بعمل جداول توضيحيّة تشير إلى المخلفات الشعريّة لكل قاض على حدة، وكذلك تبين نسبة شيوع كل غرض شعري لديهم، أضف إلى ذلك نسبة شيوع البحور والقوافي والقصيدة والمقطوعة.

وبعد، فهذا جهد المقلّ، فإن أصبت فهذا بتوفيق الله ومنه، وإن أخطأت، فحسبي أنّي حاولت واجتهدت، وبالله التوفيق.

## الفصل الأول

### خطّة القضاء في الأندلس

- مفهوم القضاء
- مشروعية القضاء
- شروط القاضي
- الامتناع عن قبول القضاء
- تعيين القضاة
- اختصاصات القضاة
- أعوان القضاة
- خصوصيات القضاة
- خصوصيات القضاء

## مفهوم القضاء

في اللغة:

القضاء الحكم، وأصله قضاي، لأنه من قضيت، والجمع أقضية، والقضية مثله، والجمع قضايا، والقاضي القاطع للأمور المحكم لها، وأصل القضاء القطع والفصل، ويأتي بمعنى الصنع والتقدير، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي<sup>(1)</sup>:

وعليهما مسرودتانِ قضاهما      داودُ أو صنعُ السَّوَابِغِ نُبُعٌ<sup>(2)</sup>

" الكامل "

ويكون بمعنى العمل كقوله عزّ وجلّ: "فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ"<sup>(3)</sup>، والقضاء الحتمّ والأمر، ومنه القضاء والقدر، ويأتي بمعنى الفراغ من الشيء، تقول: قضيت حاجتي، ويكون بمعنى الوصية والعهد، كقوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ"<sup>(4)</sup>، ويأتي بمعنى الأداء والانتهاء، تقول: قضيت ديني، والقاضية الموت، والقضاء من الدروع التي تمّ إحكام صناعتها، قال الشاعر<sup>(5)</sup>:

وكلُّ صموتٍ نثلةٌ تُبْعِيَّةٌ      ونسجُ سُليمٍ كلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ<sup>(6)</sup>

" الطويل "

---

(1) الهذليين. الديوان، ص19. دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: 1385-1965م.  
(2) مسرودتان: درعان مخروزتان أو منسوجتان، السوابغ: جمع سابعة، وهي ما تمّت صناعتها من الدروع، تبّع: من ملوك حمير، كانت تنسب إليه الدروع التبعية، ينظر: لسان العرب، المواد: (سرد، سبغ، تبغ). دار صادر ودار بيروت، بيروت: 1955م.

(3) طه: الآية (72).

(4) الإسراء: الآية (4).

(5) النابغة الذبياني. الديوان، ص95. تحقيق: كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت: 1383-1963م.

(6) الصموت من الدروع: الناعمة المصقولة، النثلة: الدرع الواسعة، قضاء ذائل: درع طويلة.

والقضاء جلدة رقيقة تكون على وجه الصبي حين ولادته<sup>(1)</sup>.

وجميع هذه المعاني تدور حول معنى القطع والفصل والإنهاء، فالقاضي يقطع الخلافات بين الخصوم، ويفصل الحقّ عن الباطل، وينهي المنازعات.

### في الاصطلاح:

جاء تعريف القضاء المقترن بالقدر في كتاب التعريفات بأنه "عبارة عن الحكم الكليّ الإلهيّ في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد"<sup>(2)</sup>، ويذكر الشيخ المولويّ في موسوعته أنّ القضاء "في الشرع قول ملزم يصدر عن ولاية عامّة، وقيل هو في الشرع فصل الخصومات وقطع المنازعات"<sup>(3)</sup>، ويؤكد ذلك البهوتيّ بقوله: "تبين الحكم الشرعي، والإلزام به، وفصل الحكومات"<sup>(4)</sup>.

وهذه التعريفات الاصطلاحية جميعها مأخوذة من أصل معناها اللغويّ، وهو القطع والفصل. ومن هنا يكون القضاء تبيان الحكم الشرعيّ بالفصل في الخصومات بإعطاء كل ذي حقّ حقه، وقطع المنازعات بين الخصوم وإنهائها على وجه الإلزام. فالقاضي يحكم بين الخصوم، ويفصل الحقّ عن الباطل، ويمنع المظالم.

---

(1) أنظر: الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. كتاب العين، مادة (قضي). تحقّق: الدكتور مهديّ المخزوميّ والدكتور إبراهيم السامرائيّ، ط1، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت: 1408-1988م. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، مادة: قضي. دار صادر ودار بيروت، بيروت: 1955م. الجوهريّ، إسماعيل بن حماد. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (قضي). تحقّق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت: 1399-1979م. الزبيديّ، الإمام محبّ الدين أبو فيض السيّد محمد مرتضى الحسينيّ. تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (قضي). تحقّق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت: 1414-1994م.

(2) الجرجانيّ، عليّ بن محمد الشريف. كتاب التعريفات، مادة (قضي). مكتبة لبنان، بيروت: 1969م.

(3) التهانويّ، الشيخ المولويّ محمد أعلى بن عليّ. موسوعة اصطلاحات العلوم الإنسانيّة (المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون)، ج5، مادة (قضي). خيّا، بيروت، (د.ت).

(4) البهوتيّ، منصور بن يونس. الروض المربّع بشرح زاد المستتفع، ص508. ط1، مكتبة العبيكان، الرياض: 1413-1993م.

## مشروعية القضاء

### القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم أهم مصدر للتشريع الإسلامي، وقد جاءت كثير من آياته تخاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين، وتأمرهم باتخاذ شريعة الإسلام العادلة أصلاً ودستورا في الحكم والقضاء بين المسلمين، يقول الله عز وجل: "وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ"<sup>(1)</sup>، فالله تعالى بعث سيدنا محمداً - عليه الصلاة والسلام - ليلبغ الناس رسالته ويحكم بينهم بشريعته التي ارتضاها لهم، وليس الخطاب خاصاً برسولنا الكريم وحده، بل يعم جميع المسلمين، فإن الله لا يرضي بغير حكمه.

ويقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ"<sup>(2)</sup>، وهنا إشارة إلى وجوب تقصي العدل بين الناس دون ظلم أو جور، ودون تمييز بين مسلم وكافر، فالقاضي المسلم يتحرى العدالة دائماً ما أمكنه ذلك، ويبتعد عن التعصب والهوى، وقد اقترن عدل القضاء بالأمانة، لأن القضاء أمانة، بالعدل يكون حفظها، وبالجور تكون خيانتها، فيقول تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>(3)</sup>، فقد تتصادم أهواء الإنسان مع الحق، فلا يجدر به أن يتبع هواه، فالحق أحق أن يتبع.

ويخاطب الله عز وجل رسوله الكريم قائلاً: "قُلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"<sup>(4)</sup>، فالآية تنفي الإيمان ممن لم يحتكم إلى شرع الله، فيطمئن به قلبه ويرضى به، ويسلم لحكمه عز وجل.

(1) المائدة: الآية (49).

(2) النساء: الآية (58).

(3) ص: الآية (26).

(4) النساء: الآية (65).

## الحديث الشريف:

يأتي الحديث في المرتبة الثانية في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وقد قضى الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بنفسه بين المتنازعين، وحكم بين المتخاصمين، وقد بيّنت السنة المكانة التي يتبوّؤها القاضي والقضاء في التشريع الإسلامي، فيقول عليه الصلاة والسلام: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"<sup>(1)</sup>، وفي ذلك دعوة إلى الاجتهاد من قبل الحاكم أو القاضي.

وقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار"<sup>(2)</sup>، وهنا يوضح الحديث وجوب القضاء عن علم ومعرفة، فالجاهل غير العالم بالأحكام الشرعية يحرم عليه القضاء، لأنّ في حكمه ضياعاً للحقوق ومجلبة للظلم والفساد، وهذا يتنافى مع رسالة القاضي والقضاء، لذا فالقاضي الجاهل يضارع القاضي العالم الجائر. ويؤكد هذا بقوله أيضاً: "إن الله عزّ وجلّ مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار برئ الله منه، ولزمه الشيطان"<sup>(3)</sup>، ويبين الرسول الكريم مغبة

---

(1) أخرجه البخاريّ ومسلم وأبو داود عن عمرو بن العاص، ينظر:

البخاريّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة. صحيح البخاريّ، مج4، ج8، كتاب الاعتصام 97، الباب 21، حديث رقم 7352، ص198. تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1، دار الفكر، بيروت: 1411-1991م. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ. صحيح مسلم، ج3، كتاب الأفضية 30، الباب 6، حديث رقم 15، ص1343، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت: 1398-1978م. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ الأزديّ. سنن أبي داود، مج3، كتاب الأفضية، باب القاضي يخطئ، حديث رقم 3574، ص 299. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبويّة.

(2) أخرجه أبو داود وابن ماجّة عن أبي بريدة عن أبيه، والهيثمّي عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه، ينظر:

أبو داود. سنن أبي داود، مج3، كتاب الأفضية، باب القاضي يخطئ، حديث رقم 3573، ص 299. ابن ماجّة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينيّ. سنن ابن ماجّة، ج2، كتاب الأحكام 13، الباب 3، حديث رقم 2315، ص776. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت: 1373-1954م. الهيثمّي، نور الدين عليّ بن أبي بكر. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المجلد الثاني، ج4، كتاب الأحكام، باب في القضاء، ص 193. ط2، دار الكتاب العربيّ، بيروت: 1402-1982م.

(3) أخرجه البيهقيّ عن أبي أيوب الأنصاريّ رضي الله عنه، ينظر:

البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ. السنن الكبرى، ج10، كتاب آداب القاضي، الباب 1، حديث رقم 20167، ص151. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: 1414-1994م.

الإعراض عن الحقّ في شرع الله بقوله: "إذا جلس القاضي للحكم بعث الله إليه ملكين يسدّدانه ويرشّدانه ويوفّقانه، فإنّ جار تركاه وعرجا إلى السماء"<sup>(1)</sup>.

وقد قلّد رسول الله القضاء، فولّى معاذ بن جبل قضاء بعض اليمن وقال له: "كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب صدره وقال: الحمد لله الذي وفّق رسول رسوله لما يرضيه"<sup>(2)</sup>، فالرسول الكريم يريد أن يبيّن مصادر التشريع الإسلاميّ، فالقران الكريم أوّلاً، والسنة ثانياً، والاجتهاد ثالثاً، كما ولّى - أيضاً - عليّاً قضاء ناحية اليمن، وقال له: "إذا حضر الخصمان إليك فلا تقض لأحدهما حتّى تسمع من الآخر"<sup>(3)</sup>، وفي هذا الحديث يضع الرسول أصلاً من أصول القضاء، وهو أن تستمع من الطرفين قبل إصدار الحكم. كما استخلف رسول الله عتّاب بن أسيد على مكة بعد الفتح واليا وقاضياً<sup>(4)</sup>.

وهكذا فقد كان الرسول عليه السلام إذا أسلم قوم أقام عليهم من يعلمهم شرائع الدين،

يقضي بينهم.

---

(1) المصدر نفسه، حديث رقم 20166، ص 151.

(2) أخرجه أبو داود والدارميّ والبيهقيّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، ينظر:

أبو داود. سنن أبي داود، كتاب الأفضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، حديث رقم 3592، ص 303. الدارميّ، عبد الله بن عبد الرحمن السمرقنديّ. سنن الدارميّ، المقدمة، الباب 20، حديث رقم 168، ص 72. تحقّق: فواز أحمد زمرليّ وخالد السبع العلميّ. البيهقيّ، السنن الكبرى، ج 10، كتاب آداب القاضي، حديث رقم 20151، ص 147، 148.

(3) أخرجه أبو داود وابن ماجّة والبيهقيّ عن سيّدنا عليّ كرم الله وجهه، ينظر:

أبو داود، سنن أبي داود، مج 3، كتاب الأفضية، باب كيف القضاء، حديث رقم 3582، ص 301. ابن ماجّة، سنن ابن ماجّة، ج 2، كتاب الأحكام، 13، الباب 1، حديث رقم 2310، ص 774، 775. البيهقيّ، السنن الكبرى، ج 10، كتاب آداب القاضي، حديث رقم 20153، 20154، 20155، ص 148.

(4) هو الصحابيّ الجليل أبو عبد الرحمن عتّاب بن أسيد بن أميّة بن عبد شمس القرشيّ الأمويّ، أسلم يوم الفتح، واستعمله الرسول على مكة حين خروجه إلى حنين، فلم يزل إلى أن مات. ينظر ترجمته في:

ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مج 3، رقم 1756، ص 1023-1024. تحقّق: عليّ محمّد الجاويّ، ط 1، دار الجيل، بيروت: 1412-1992م. البستيّ، أبو حاتم محمود بن أحمد بن حبان. مشاهير علماء الأمصار، رقم 155، ص 38. تحقّق: مجديّ بن منصور بن سعيد الشوريّ، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت: 1416-1995م. العسقلانيّ، ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة، مج 4، رقم 5395، ص 429. تحقّق: عليّ محمّد الجاويّ، ط 1، دار الجيل، بيروت: 1412-1992م.

## الإجماع:

وقد أجمع الخلفاء الراشدون على أهمية القضاء، فعدوا مجالسه يحكمون بين الناس، ويفضون منازعاتهم، كما قلدوا القضاة والحكام في الأمصار، ، فولّى أبو بكر الصديق سيّدنا عمر - رضي الله عنهما- القضاء<sup>(1)</sup>، والذي بعث بدوره في خلافته ابن سور<sup>(2)</sup> على قضاء البصرة، وشريحا<sup>(3)</sup> على قضاء الكوفة<sup>(4)</sup>، وعبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال<sup>(5)</sup>، أمّا عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - فقد عرض القضاء على ابن عمر فأبى<sup>(6)</sup>، كما حكم سيّدنا عليّ بين الناس، وبعث عبد الله بن عبّاس إلى البصرة قاضيا<sup>(7)</sup>.

وهكذا فإننا نجد القضاء قد استمدّ مشروعيتّه من القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة النبويّة وإجماع الصحابة، أضف إلى ذلك فإنّ هناك دليلا عقلياّ يوجب نظام القضاء في المجتمعات، إذ لا يعقل أن يترك الناس فوضى دون قانون أو نظام يحكمهم ويحفظ لهم حقوقهم، وإن كان هناك نظام فإنّ من المنطق والبدهيّ أن يتولّى حماية هذا النظام أو القانون حام ومسؤول تكون المرجعيّة إليه للحكم بين الناس، والقضاء فيما اختلفوا فيه، والذي يتمثّل في القاضي ونظام القضاء.

---

(1) أخرج البيهقيّ عن محارب بن دينار: "لما ولي أبو بكر ولى عمر رضي الله عنه القضاء، وولّى أبا عبيدة رضي الله عنه المال، وقال: أعينوني، فمكث عمر سنة لا يأتيه اثنان، أو لا يقضي بين اثنين"، ينظر: البيهقيّ، السنن الكبرى، ج10، كتاب آداب القاضي، حديث رقم 20156، ص 148-149.

(2) هو كعب بن سور بن بكر بن عبيد بن ثعلبة، من أفاضل التابعين، يحكى أنّه علّق المصحف في عنقه يوم الجمل، وجعل يذكر الصّفين بالله. ينظر في ترجمته:

ابن عبد البرّ، الاستيعاب، مج3، رقم2195، ص1318-1321. البستيّ، مشاهير علماء الأمصار(744)، ص126.

(3) شريح القاضي: هو أبو أميّة شريح بن الحارث الكنديّ التابعي، قال الكثيرون استقضاه عمر على الكوفة، وأقروه بعده، فبقي على قضائها سنّين سنة إلى زمن الحجاج، وتوفي سنة 78 هـ كما في تاريخ البخاريّ، وله 120 سنة. ينظر في ترجمته:

ابن عبد البرّ. الاستيعاب، مج2، رقم1172، ص 701-702. العسقلانيّ، الإصابة، رقم3884، ص334\_336.

(4) البيهقيّ، السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، حديث رقم 20158، ص 149.

(5) المصدر نفسه، حديث رقم 20157، ص 149.

(6) الهيثميّ، مجمع الزوائد، مج2، ج4، كتاب الأحكام، باب في القضاء، ص 193.

(7) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصريّ الزهريّ. الطبقات الكبرى، ج2، قسم2، ص119\_124. دار صادر، بيروت: (د.ت).

## شروط القاضي:

ولما يناط في القضاء من مهامّ جسام ومصالح عظيمة تعود على الأمة بالخير والصلاح فإنّ منصب القضاء لم يك يوماً هدفاً سهلاً المنال يتولاه القاضي والداني، بل على العكس من ذلك فقد اشترط الفقهاء -في الأندلس- فيمن يتولّى هذا المنصب شروطاً عدّة، يقول النباهيّ المالقي: "وشروط القضاء التي لا يتمّ للقاضي قضاؤه إلا بها عشرة: الإسلام، والعقل، والذكوريّة، والحرية، والبلوغ، والعدالة، والعلم، وسلامة حاسة السمع والبصر من العمى والصمم، وسلامة حاسة اللسان من البكم، وكونه واحداً لا أكثر"<sup>(1)</sup>، وهذه الشروط ليست محلّ اتفاق بينهم، ونحن هنا نأخذ أرجح الشروط وأوفقها بينهم .

### أولاً: البلوغ والعقل<sup>(2)</sup>:

وهذا أمر بدهيّ ، لأنّ ولاية القضاء تحتاج إلى العقل الناضج المدرك للأمور، وعليه فلا يقبل صبيّ أو مختلّ عقل، وإذا كانت شهادة الصبيّ غير البالغ و المجنون غير مقبولتين فمن باب أولى ألا تتعدّد ولايتهما للقضاء، ولا يكتفى في القاضي العقل والبلوغ المتعلّق بهما التكليف، بل لا بدّ أن يكون نافذ البصيرة متوقّد الذهن كامل العقل، "قال الماوردي: ولا يكتفى بالعقل الذي يتعلّق به التكليف حتّى يكون صحيح الفكر، جيّد الفطنة، بعيداً عن السهو والغفلة، يتوصّل بذكائه إلى وضوح المشكل وحلّ المعضّل"<sup>(3)</sup>.

فالعقل والبلوغ أمران ضروريان، وهما صفتان موجودتان لدى عوامّ الناس، ولكن على القاضي أن يتميّز بأرجحية في عقله، وصفاء في ذهنه، فلا يقوده هوى، ولا يحكمه غضب أو طيش، ولدى قراءتنا تاريخ قضاة الأندلس ، لم نعث على حكاية واحدة تدلّ على تولّي أحد قضاة

---

(1) النباهيّ الشيخ أبو الحسن عبد الله بن الحسن المالقيّ تاريخ قضاة الأندلس والمسمّى كتاب المراقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا ، ص4، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، مصر .

(2) ينظر: الشريبيّ شمس الدين محمد بن الخطيب. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، كتاب القضاء، ج4، ص501، تحقيق: محمد خليل عيتاني ط1، دار المعرفة، بيروت: 1418-1997م. الكاسانيّ الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، كتاب آداب القاضي، ج7، ص3، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت: 1406-1986م.

(3) الشريبيّ، مغني المحتاج، كتاب القضاء، ج4، ص501.

الأندلس هذا المنصب وهو صغير أو طائش اللب، بل كنا نجدهم جميعا مثالا حيا للتعقل والرزانة والحكمة، فقد جاء عن القاضي ابن بشير<sup>(1)</sup> أنه كان "جيد الفطنة، حسن الانبساط، صادق الحس، قوي الإدراك"<sup>(2)</sup>، أضاف إلى ذلك أن معظمهم كانوا يتولون القضاء بعد سن متقدمة من العمر، وهذا أدعى إلى الحكمة والتعقل.

### ثانيا: الإسلام<sup>(3)</sup>:

وما دما نتحدث عن القضاء الإسلامي فمن الطبيعي أن يشترط الفقهاء الإسلام في القاضي، ولأن القضاء ولاية، ولا تجوز ولاية الكافر على المسلم لقوله تعالى: "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا"<sup>(4)</sup>، وقد ذكر الماوردي الشافعي في كتاب الأحكام السلطانية عن أبي حنيفة أنه يجيز أن يكون الكافر قاضيا بين أهل دينه، وعللوا ذلك بأن أهلية القضاء بأهلية الشهادة، والذمي من أهل الشهادة على الذميين فهو أهل لتولي القضاء عليهم<sup>(5)</sup>.. ويرى الدكتور عبد الكريم زيدان رأي الجمهور، فلا يجوز أن يتولّى سلطة القضاء في دار الإسلام إلا المسلم، سواء أكان قضاؤه على المسلمين أم غير المسلمين<sup>(6)</sup>.

---

(1) هو القاضي أبو بكر محمد بن بشير بن شراحيل المعافري، لقي مالك بن أنس وسمع عنه، ولاه الحكم بن هشام قضاء الجماعة بقرطبة، وتوفي سنة 198. ينظر في ترجمته:

النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص47-53. الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني. قضاة قرطبة، ص28-38. الدار المصرية للتأليف والترجمة: 166. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص53-54. ت: روحية عبد الرحمن السويفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1417-1997م. ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك. المغرب في حلى المغرب، ج1، ص94\_95. تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1417-1997م.

(2) عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج2، ص495. تحقيق: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت، مكتبة الفكر، طرابلس: 1387-1997م.

(3) ابن رشد القرطبي، الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، كتاب الأفضية، الباب الأول، ج2، ص460، ط10، دار الكتب العلمية، بيروت: 1408-1988م. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. المحلى، كتاب الأفضية، ج9، ص363، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت.

(4) النساء، الآية(141).

(5) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: الأحكام السلطانية والولايات القضائية، ص84، دار الكتب العلمية، بيروت.

(6) زيدان، عبد الكريم: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ص224، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1419-1998.

ونحن نخالف الدكتور زيدان الرأي ونذهب في ذلك مذهب أبي حنيفة انطلاقاً من إيماننا بالحرية الدينية، واحترام عقائد الديانات الأخرى، فشخص لا يدين بديانتك من غير الممكن أن تقاضيه بها، كما أنه من الضعف بمكان أن تحاكمه بشريعته، بل يترك هو وشريعته وليحمل وزر العمل بها، وهذا يكون في المسائل الدينية من إرث وزواج وعبادات، أما فيما يتعلق بالأحكام الدنيوية من قتل وسرقة وحرابة فلا شك أنني أرى رأي الجمهور، فالأحكام تنطبق على جميع أفراد الأمة بغض النظر عن معتقداتهم. وهذا ما وجدناه في المجتمع الأندلسي، فعلى الرغم من تعدد جنسياته وأديانه إلا أننا لم نسمع أو نقرأ أنه تمّ تعيين قاض غير مسلم، صحيح أنه كان هناك وزراء يهود أو مسيحيين<sup>(1)</sup> إلا أن القضاة كانوا جميعهم مسلمين.

### ثالثاً: الحرية:

ولا تجوز ولاية العبد بالإجماع، وذلك لأن العبد مولى عليه، وليس له أهلية لأدنى الولايات، ولما لم يجز أن يكون شاهداً لم يصح أن يكون قاضياً<sup>(2)</sup>، وبما أن القضاء حكم وإلزام فكيف للمحكوم والمملوك أن يكون في موضع الأمر الناهي ففاقد الشيء لا يعطيه؟!، ولم نعثر في أثناء دراستنا لتاريخ قضاة الأندلس على قاض عبد أو مملوك.

### رابعاً: الذكورة:

ذهب جمهور الفقهاء في الأندلس إلى عدم جواز ولاية المرأة مطلقاً<sup>(3)</sup>، وحجتهم في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "ما أفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"<sup>(4)</sup>، ولهذا لم ينقل عن النبي ولا عن الخلفاء الراشدين من بعده أنهم ولّوا امرأة قضاء ولا ولاية بلد ما .

---

(1) كأبي الفضل ابن حسداي، ينظر :

المقري، الشيخ أحمد بن محمد التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، ج3، ج3. تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت: 1388-1968م. وابن النغريلة الوزير الغرناطي اليهودي، ينظر: المقري، نفع الطيب، ج3. ابن حزم الأندلسي. الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى. ت: إحسان عباس، دار العروبة، القاهرة: 1960.

(2) الشربيني، مغني المحتاج، كتاب القضاء، ج4، ص501. الكاساني، بدائع الصنائع، كتاب آداب القاضي، ج7، ص3.

(3) ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد، كتاب الأفضية، الباب الأول، ج2، ص460.

(4) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، مج4، ج8، كتاب الفتن، باب18، ص124.

وقال فقهاء الحنفية بجواز أن تكون المرأة قاضية فيما تصح فيه شهادتها، وشهادتها تصح عندهم فيما سوى الحدود والقصاص، وعلة ذلك عندهم أن أهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة<sup>(1)</sup>، أما ابن جرير الطبري وابن حزم فقد أجازا ولايتها للقضاء مطلقا كالرجل، وعللوا جواز ولايتها بجواز فتياها<sup>(2)</sup>، وبهذا القول قال فقهاء المذهب الظاهري: "وجائز أن تلي المرأة الحكم، وهو قول أبي حنيفة، وقد روي أن عمر بن الخطاب أنه ولّى الشفاء - امرأة من قومه - السوق، فإن قيل: قد قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم: لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة قلنا: إنما قال ذلك رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - في الأمر العام الذي هو الخلافة"<sup>(3)</sup>.

ونرى أن رأي جمهور العلماء هو الراجح في هذه المسألة لكثرة الأدلة التي تؤيدهم، ولإجماع أهل الأندلس وغيرهم على عدم تولية امرأة قضاء قط.

#### خامسا: العدالة<sup>(4)</sup>:

فالعدالة شرط لمن يتولّى القضاء، ويوجزها الماوردي بقوله: "أن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفا عن المحارم، متوقيا للمآثم، بعيدا عن الريب، مأمونا في الرضا والغضب، مستعملا لمروءة مثله في دينه ودنياه"<sup>(5)</sup>، فقد كان القاضي أبو العباس بن ذكوان<sup>(6)</sup> "ذا مروءة وافرة... وذا عفاف ونزاهة وبراءة من الريبة، وبعد همة وفرط هيبة وزكاة"<sup>(7)</sup> وخالف الحنفية في ذلك فأجازوا ولاية الفاسق للقضاء لجواز شهادته، ولم يعتبروا العدالة شرط جواز بل

(1) الرشداني، أبو الحسن عليّ بن أبي بكر المرغيناني. الهداية في شرح بداية المبتدي، ج3، كتاب أدب القاضي، ص101، تحقيق: الشيخ طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(2) الشربيني، مغني المحتاج، كتاب القضاء، ج4، ص501. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص83.

(3) ابن حزم، المحلّى، ج9، ص429-430.

(4) الماوردي، أبو الحسن عليّ بن محمد بن حبيب، أدب القاضي، ج1، ص635، تحقيق: محيي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، بغداد: 1391هـ - 1971م. الكاساني، بدائع الصنائع، ج7، ص3.

(5) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص84.

(6) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان، ولاة القضاء المنصور بن أبي عامر، وكان يفوضه في تدبير الملك، توفي سنة 413هـ. ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص84-87. الضبي، بغية الملتمس، ص159-160.

(7) عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص662.

اعتبروها شرط كمال وأفضلية، فيحسن بالإمام ألا يختار الفاسق، فإن اختاره فولايته جائزة، وأحكامه نافذة<sup>(1)</sup>.

وأمر العدالة شيء أساسي فقد كان الداعي إلى نظام القضاء لتحقيق المساواة ورد الحقوق إلى أصحابها، فالقضاء مرتبط بالعدالة، ومع أن العدالة أمر ضروري وأساسي في القاضي إلا أننا نرى رأي الأحناف وذلك لما فيه من المحافظة على حرمة القضاء ونفاذه، وخوفاً من أن تعمّ الفوضى والمعصية بحجة فسق القضاة.

وقد كان قضاة الأندلس مضرب المثل في الحقّ والمساواة والعدالة، فالقاضي ابن بشير "كان شديد الشكيمة، ماضي العزيمة، صلباً في الحقّ مؤيداً، لا هوادة عنده لأحد، ولا مداينة لديه لأحد من أصحاب السلطان، لا يؤثر غير الحقّ في أحكامه"<sup>(2)</sup>، كما أن القاضي ابن أبي عيسى<sup>(3)</sup> "بسط الحقّ، وأحیی العدل، ونصر المظلوم، وقمع الظالم، ولم يطمع شريف في حيفه، ولا يئسّ وضيع من عدله"<sup>(4)</sup>. وهكذا فإننا نجد في أخبار القضاة ما يدل على عدالتهم، وعدم تحيزهم إلى فئة، كما أنهم لم يدهنوا الولاة والأمراء والخلفاء، فالكل كان سواسية في مجلس القضاء.

#### سادساً: العلم بالأحكام الشرعية:

ينبغي لمن يتولّى القضاء أن يكون عالماً بالأصول التي تستنبط منها الأحكام الشرعية، وعلى معرفة بالفروع فيما انعقد عليه الإجماع، أو حصل فيه اختلاف، ليتبع الإجماع، ويجتهد في الاختلاف<sup>(5)</sup>، وبهذا اشترط في القاضي أن يكون مجتهداً، فقال بذلك الإمام مالك والشافعي

(1) الكاساني، بدائع الصنائع، ج7، ص3.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص495.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى بن أبي عيسى بن كثير بن وسلاس، من أهل قرطبة، له علم بالأدب، ولي قضاء كورة جيان وكورة البيرة وكورة طليطلة، ثم ولاه الناصر قضاء الجماعة بقرطبة عام326هـ، وكان الخليفة ينتدبه في السفارات إلى كبار الأمراء، ويرسله لترتيب المغازي، توفي عام338هـ وقيل339هـ، ويقال لم يكن في قضاة الأندلس أكثر شعراً منه. ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص59-63. الخشني، قضاة قرطبة، ص118-120. الضبي، بغية الملتمس، ص94-95.

(4) عياض. ترتيب المدارك، ج4، ص408.

(5) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص636-637.

والحنابلة، وحجتهم أن القضاء أكد من الإفتاء لأنه إفتاء وإلزام، والمفتي لا يجوز أن يكون عامياً مقلداً، فالقاضي أولى ألا يكون مقلداً<sup>(1)</sup>.

أما فقهاء الحنفية فقالوا إنّ الاجتهاد ليس شرطاً لتولي القضاء، لأنه يمكن للقاضي غير المجتهد أن يقضي بعلم غيره بالرجوع إلى فتوى غيره من العلماء، واستدلوا بأنه إذا جاز أن يحكم في الاستفتاء في نفسه جاز أن يحكم به في حق غيره لأنهما معا حكم بعلم، وقالوا لأن من جاز أن يكون شاهداً جاز أن يكون قاضياً كالعالم<sup>(2)</sup>. والذي رأينا عليه قضاة أهل الأندلس هو التبحر في العلوم، وعلى معرفة ودراية بالأصول والفروع وما انعقد عليه الإجماع، فقد كان القاضي محمد بن بيقى بن زرب<sup>(3)</sup> "دقيق النطق، مستبحراً في المسائل، حافظاً للأصول، حاذقاً بالفنون، كثير الاقتداء، منتبهاً في أحكامه"<sup>(4)</sup>. أما القاضي أبو الوليد الباجي<sup>(5)</sup> فقد كان "فقيهاً نظاراً محققاً راوية محدثاً، يفهم صيغة الحديث ورجاله"<sup>(6)</sup>.

---

(1) الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس الأنصاري. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج8، كتاب القضاء، ص238، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر: 1386-1967م. ابن قدامي، الإمامان موفق الدين وشمس الدين. المغني ويليهِ الشرح الكبير، ج11، كتاب القضاء، ص382، دار الكتاب العربي، بيروت: 1403-1983م.

(2) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص85.

(3) هو قاضي الجماعة أبو بكر محمد بن بيقى بن محمد بن زرب بن يزيد بن مسلمة، ولي سنة367م، وتوفي381م. ينظر ترجمته في: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير. تاريخ علماء الأندلس، ص369-370. تحقيق: روحية بن عبد الرحمن السويقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1417-1997م. الضبي، بغية الملتمس، ص127، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص77-82.

(4) عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص631.

(5) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التبيجي القرطبي، فقيه مالكي كبير من رجال الحديث، أصله من بطليوس، ومولده في باجة عام 403م، ولي القضاء في بعض أنحاء الأندلس عام 439م بعد أن عمل قاضياً في حلب لمدة سنتين، وله كتب جمة في الفقه والأصول والفروع. ينظر ترجمته في: ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى المدني المالكي. كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص37. دار الكتب العلمية، بيروت. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ص408-409. ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص327\_328. الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، ط3، مج6، ج11، ص46-251. دار الفكر، بيروت: 1400-1980. الصفي، صلاح الدين خليل بن أبيك. الوافي بالوفيات، ج15، ص372-374. اعتناء: بيرند راتك، دار النشر فرانز شتايز شتوتغارت، بيروت: 1411-1991م.

(6) عياض. ترتيب المدارك، ج4، ص662.

## سابعاً: سلامة الحواس<sup>(1)</sup>:

اشترط العلماء في القاضي أن يكون سليم الحواس من بصر ونطق وسمع، فلا تجوز ولاية الأعمى والأخرس عند الشافعية والحنابلة والحنفية، فالأعمى لا يميز المدعى من المدعى عليه، والأخرس غير قادر على النطق بالاحكام، ولا يفهم جميع الناس إشارات، أما سلامة السمع فقد اشترطها الشافعية والحنابلة حتى يسمع القاضي قول الخصمين وشهادة الشهود.

والراجح في مذهب مالك أن السمع والبصر والنطق مشترطة في استمرار ولاية القاضي للقضاء، وليست مشترطة في جواز ولايته له، فقد جاء في شروط من يولّى القضاء: "وما يقتضي عدمه الفسخ، وإن لم يشترط في الصحة: كونه سميعاً بصيراً..."<sup>(2)</sup>.

ونرى ما ذهب إليه المالكية أخرى رعاية لمصالح الناس، واستقراراً للأمر، وحرمة للقضاء، إلا أن هذه المراعاة لا تعني جواز استمرار بقاء القاضي في ولايته، ولكن تعني صحة ولايته وشرعيتها، ولكن على الحاكم عزله وتولية غيره ممن توفرت فيهم الشروط.

وفي أخبار قضاة الأندلس ما يدلّ على ما سبق، فقد ورد أن القاضي أسلم بن عبد العزيز<sup>(3)</sup> "كفّ بصره في أخريات أيامه، فطلب لأجل ذلك الإعفاء فأعفي، ولزم بيته صابراً محتسباً إلى حين وفاته"<sup>(4)</sup>، كما أنّ القاضي إسماعيل بن عباد<sup>(5)</sup> في إشبيلية "نزل الماء في عينيه

---

(1) ينظر: الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص621-625.

(2) القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس. الذخيرة، ج10، ص16، تحقيق: الأستاذ محمد بوخيزة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1994م.

(3) هو قاضي القضاة أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن الحسن بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولّى عثمان بن عفان، ولي قضاء الجماعة مرتين، وتوفي سنة 319. ينظر ترجمته في:

ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص81. الضبي، بغية الملتمس، ص204. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص63.

(4) ابن الخطيب، لسان الدين. الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص432. تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1393-1973م.

(5) هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد اللخمي، أول من استقلّ بإشبيلية من رجال الدولة العبادية، قدمه المنصور بن أبي عامر فتولّى القضاء بإشبيلية، وأضيفت إليه الأمانة فلقب بذي الوزارتين، واضطرب أمر الأمويين بالأندلس، فنهض بأعباء إشبيلية مستقلاً. ينظر:

ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، ص193-194. تحقيق: ج.س. كولان وإليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت: 1973.

فقدحه ورجع شيء من بصره، فلم يستتجز الحكم بين الناس به فولّى ولده أبا القاسم<sup>(1)</sup>  
القضاء<sup>(2)</sup>.

### ثامنا: شروط أخرى:

وأضاف الفقهاء شروطاً أخرى حريّاً بالقاضي الاتصاف بها، فينبغي أن يكون القاضي قويا من غير عنف، لينا من غير ضعف، لا يطمع القوي في باطله، ولا يبأس الضعيف من عدله، ذا فطنة وتيقظ، لا يؤتى من عقله، ولا يخنع لغرة، عفيفا، بصيرا، بعيدا عن الطمع<sup>(3)</sup>، وهذا ما وجدناه في قضاة الأندلس، فقد كانوا يتحلون بمحاسن الأخلاق وحسن العشرة ولطافة الدعابة من غير ضعف، فهذا القاضي ابن السليم<sup>(4)</sup>، "كان مع هيئته ورئاسته حسن العشرة كريم النفس"<sup>(5)</sup>، كذلك فقد كان القاضي منذر بن سعيد البلوطي<sup>(6)</sup> -على متانة دينه، وجزالته في أحكامه- حسن الخلق، كثير الدعابة، ربما ارتاب بباطنه من لا يعرفه، حتى إذا رام أن يصيب

---

(1) هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد، من نسل ملك الحيرة النعمان بن المنذر، يقال له القاضي ابن عباد، وهو مؤسس الدولة العبادية في إشبيلية عام 414م، وكان في بدء أمره قاضيا بإشبيلية أيام استيلاء القاسم بن حمود عليها بعد زوال دولة الأمويين، ثم استقل بها وتلقب بالظافر وتملك قرطبة وغيرها. ينظر ترجمته في: الذهبي، شمس الدين أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء، ج17، ص527-530. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط7، مؤسسة الرسالة: 1410م-990م. ابن عذارى المراكشي. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، قسم1، ص134. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتب الإسلامية، القاهرة وبيروت: 1403م-1983م.

(2) ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب، ج3، ص194.

(3) ابن قدامي، المغني، ج11، ص385.

(4) هو قاضي الجماعة الفقيه المشهور أبو بكر محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة الداخل إلى الأندلس، ولي المظالم والشرطة بقرطبة إلى أن توفي قاضيا منذر بن سعيد، فولي القضاء مكانه عام356هـ، وتوفي سنة367. ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص75-77. الخشني، قضاة قرطبة، ص120، الضبي، بغية الملتمس، ص50-51. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص355-356.

(5) عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص542.

(6) هو أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلوطي، من أهل قرطبة، ولي قضاء ماردة ثم قضاء الثغور الشرقية، ثم استقضاه عبد الرحمن الناصر قضاء الجماعة بقرطبة سنة339هـ، وكان خطيبا شاعرا، وكان بصيرا بالجدل، متحرفا إلى مذاهب أصحاب الكلام، لهجا بالاحتجاج، وله كتب في القرآن والسنة والرد على أهل الملل والأهواء، ولد سنة273م، وتوفي355م. ينظر ترجمته في: الضبي، بغية الملتمس، ص406-407. المقري، نفع الطيب، ج2، ص16-22. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ص237-259. تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، دار عمار ودار الرسالة، بيروت: 1403م-1983م. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص398. دار المعرفة، بيروت. الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي. معجم الأدياء، ج19، ص174-185. ط3، دار الفكر، بيروت.

من دينه ثار به ثورة الليث العادي"<sup>(1)</sup>، كما يظهر بعدهم عن الطمع بما أثر عنهم من زهد وتقصّف، فلم يطمعوا في مال أو جاه، فقد كان ابن السليم "من أهل الزهد والتقصّف والبر"<sup>(2)</sup>، وكان أبان بن عيسى بن دينار<sup>(3)</sup> "قفيها غلب عليه الزهد والورع"<sup>(4)</sup>. كما يستحب في القاضي "سلامة أطرافه، وبهجة صورته، وزيادة ورعه، وزكاته تقواه، وحسن الأحداث عنه، وخلوه عن الشبهات في الاعتقادات، وتضلعه في علم الشروط والأقضية والحكومات، فإنها أمر وراء الفقه، واستمداده من علم الأدب المانع من اللحن والسقط، واتصافه بكل جميلة تزيد هيبته في النفوس وعظمة في القلوب، وخلوه من كل ما ينقص من قدره ومنزلته في أقواله وأفعاله"<sup>(5)</sup>، وهذا ما وجدناه في غالبية قضاة الأندلس، وسنوجز ذلك أثناء حديثنا عن علوم القضاة ورحلاتهم.

واشترط الماوردي أن يكون عاملاً بأصول الشرع الأربعة، فلا يعدل عن بعضها، ويعتقد إبطال شرع منها، ولا يكون ممن لا يقولون بخبر الواحد، ولا يكون ممن لا يقولون بحجة الإجماع، ولا يكون من نفاة القياس<sup>(6)</sup>. ولا شك أن هذه الصفات مرغوب فيها ولازمة للقاضي، وعلى المولى أن يتخير قضاته، وأن يجعل هذه الصفات مرجحات عند التكافؤ والتساوي.

### الامتناع عن قبول القضاء

على الرغم من أن خطّة القضاء من أشرف الخطط وأعظم الرتب، إلا أن الكثير ممن عرض عليهم القضاء امتنعوا عن قبوله، وذلك لما له من أمانة وعبء لا يقوم به إلا أولي

---

(1) الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، ص95. تحقّق: د. إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت: 1984م.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص542.

(3) هو أبو القاسم أبان بن عيسى بن دينار بن واقد بن رجاء بن عامر بن مالك الغافقي، توفي سنة262. ينظر ترجمته في: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص27. الضبي، بغية الملتبس، ص203.

(4) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص98.

(5) ابن أبي الدم، القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد ربه. كتاب أدب القضاء، ص42، تحقّق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1407-1987م.

(6) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص641-642.

العزم، وكتب أخبار القضاة وتراجمهم تغصّ بأمثال هؤلاء، الأمر الذي يجعل القارئ ينظر إليهم نظرة إعجاب وتقدير، فقد اشتروا آخرتهم بديناهم، فلم يركنوا إلى متاع الدنيا الزائل وبهرجها.

فنرى كثيرا من هؤلاء فرّ بنفسه، وآثر الابتعاد عن أعباء القضاء ومشاكله "فلما أراد هشام<sup>(1)</sup> للقضاء بقرطبة زيادا بن عبد الرحمن<sup>(2)</sup>، وعزم عليه خرج منها فارا بنفسه..."<sup>(3)</sup>، ومنهم الفقيه إبراهيم بن محمد بن باز<sup>(4)</sup>، فقد دعاه الأمير محمد بن عبد الرحمن<sup>(5)</sup> ليعرض عليه القضاء، فقال: "إن ألحّ علي الأمير في هذا ومثله هربت -والله- بنفسي من بلده، فما لي وله؟"<sup>(6)</sup>، وقد وصل الأمر أن أكره بعضهم على القبول، وأوكل به الحرس خوفا من أن يهرب، فقد أكره الأمير محمد بن عبد الرحمن أبان بن عيسى بن دينار على قضاء كورة جيان، وأوكل به الحرس، فحكم بين الناس ليلة واحدة، ثم هرب على وجهه<sup>(7)</sup>، ومنهم من دعي للقضاء فأبى، فاستمهل ثلاثة أيام فمات خلالها وبذلك فضل لقاء ربّه وليس في عنقه ولاية على أن يلقاه بولايته هذه فيحاجه الخصوم يوم القيامة<sup>(8)</sup>.

---

(1) هو الأمير أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ثاني أمراء الدولة الأموية بالأندلس والمسمى بهشام الرضى، ولي الإمارة وسنه ثلاثون عاما، واتصلت ولايته سبعة أعوام، وتوفي عام 180. ينظر ترجمته في: المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص334-338. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص10. ابن عذارى المراكشي. البيان المغرب، ج2، ص61-68.

(2) هو أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي والمعروف بشبّطون، فقيه الأندلس على مذهب مالك، وهو أول من أدخل مذهبه إلى الأندلس، توفي عام 204 على أرجح الآراء. ينظر ترجمته في: ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس، ص131-132. الضبي، بغية الملتمس، ص253-254. المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص45-46.

(3) النباهي. تاريخ قضاة الأندلس، ص12.

(4) هو الفقيه العالم أبو اسحق، المعروف بابن القزازن توفي سنة 273 وقيل 274. ينظر ترجمته في: الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص232. الضبي، بغية الملتمس، ص179-180. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص18.

(5) هو الأمير أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل، ولد عام 207، وولي 238، ومات 273. ينظر ترجمته في: الضبي، بغية الملتمس، ص20. المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص350-120. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص93-113. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي. الحلة السراء، ج1، ص119-120. تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة: 1985م.

(6) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص12.

(7) ينظر: الخشني. قضاة قرطبة، ص7. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص12-13.

(8) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص13.

## تعيين القضاة<sup>(1)</sup>

ونقصد بتعيين القضاة الجهة المسؤولة عن ترشيحهم وتعيينهم، وفي دراستنا كتب القضاء وأخبار القضاة استطعنا أن نحدّد الفئات التي كانت تعين القضاة، أو توكل إليها مهمة ترشيحهم وتعيينهم.

### أولاً: الخليفة أو الأمير:

فهو المسؤول الأوّل والفعلي عن تعيين القضاة، ولا سيما تعيين قاضي القضاة، لأن القضاء في الأصل من واجبات الخليفة، وذلك لدخول القضاء في عموم ولايته، فالتقليد لا يصح إلا من جهته. وقد ذكر الخشني: "استقضى يحيى بن يزيد على الأندلس عمر بن عبد العزيز"<sup>(2)</sup>، كذلك فإن معاوية بن صالح الحضرمي<sup>(3)</sup> "ولاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية"<sup>(4)</sup> القضاء بقرطبة<sup>(5)</sup>، وفي ترجمة محمد بن بشير المعافري أنه "استقضاه الحكم بن هشام"<sup>(6)</sup><sup>(7)</sup>، ومن هنا

---

(1) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص142-153. القاسمي، ظافر. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الثاني (السلطة القضائية)، ط3، دار النفائس، بيروت: 1407-1987م.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص14.

(3) هو أبو عمرو وقيل أبو عبد الرحمن معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي الحمصي، من كبار رواة الحديث، أخذ عنه جملة من العلماء كسفيان الثوري، ولاه عبد الرحمن الداخل قضاء الجماعة بالأندلس، وكان يحضر معه غزواته، وعزل في أواخر أيامه، توفي عام 168 وقيل 172 وقيل 158. ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص43. الخشني، قضاة قرطبة، ص15-21. ابن الفرصي، تاريخ علماء الأندلس، ص400-402. الضبي، بغية الملتمس، ص400-402. ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن عليّ العسقلاني. كتاب تهذيب التهذيب، ج10، ص189-191. ط1، دار الفكر، بيروت: 1404-1984م.

(4) أبو مطرف هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بالداخل، أول أمراء بني أمية بالأندلس، ولد بالشام سنة 113، وهرب لما ظهرت دولة العباس، ودخل الأندلس سنة 138 في زمن أبي جعفر المنصور. ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتمس، ص8-9. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص47-68. المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص327-334. ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص35-42.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص43.

(6) هو الأمير أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، المعروف بالحكم الربضي، من أفضل ملوك بني أمية بالأندلس، ولي وعمره اثنتان وعشرون سنة، وتوفي سنة 206. ينظر ترجمته في:

المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص338\_344. الضبي، بغية الملتمس، ص10. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص68-80. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص13-17. ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص43-50.

(7) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص47.

فإننا نجد في كتب أخبار القضاة الأندلسيين وتراجمهم أن الحاكم الأعلى هو الذي كان يتولى مباشرة تعيين القضاة بنفسه في الغالب، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على شرف هذه الخطة وعظمتها، ولأنها أساس بناء الأمة فإن صلحت صلحت باقي الإمارات، واستتبّ الأمن والعدل والحقّ في البلاد.

### ثانيا: نائب الخليفة:

وهو الشخص الذي يختاره الخليفة، ويفوض إليه اختيار القضاة وتعيينهم كوليّ العهد والوزير وقائد الجند حين الفتح.

### ثالثا: أمراء الأقاليم وقضاتها:

ويعتبر أمراء الأقاليم وولاتها نواب الخليفة، فيجوز لهم أن يعيّنوا القضاة في أقاليمهم إن أذن لهم الخليفة بذلك، حيث إن مهدي بن مسلم<sup>(1)</sup> "استقضاه على قرطبة عقبه بن الحجاج<sup>(2)</sup>، واستخلفه عليها، وأمره بالقضاء بين أهلها"<sup>(3)</sup>، كما يجوز لقاضي الإقليم الذي عينه الخليفة أن يعيّن قاضيا على بعض نواحي الإقليم، وذلك إذا عجز عن النظر في جميع النواحي، ويلزمه تقليد القضاء فيما عجز عن مباشرة النظر فيه، وذلك بعد إذن الخليفة.

### رابعا: أهل الشورى:

ولا نقصد أنه كان للإمام مجلس شورى بالمعنى المعاصر، وإنما كان يختصّ الحاكم ببعض الوجوه والأعيان من الفقهاء والعلماء وأخصّ المقرّبين، فيستشيرهم في بعض مسائل الحكم، وشؤون الولايات، فقد "استشار الأمير عبد الرحمن بن معاوية أصحابه في قاض يوليه

---

(1) ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص42. الخشني، قضاة قرطبة، ص8-12.

(2) هو الأمير عقبه بن الحجاج السلولي، دخل الأندلس سنة116 وقيل117 واليا عليها من قبل عبيد الله بن الحجاب أمير مصر وأفريقية في أيام هشام بن عبد الملك، وقيل استشهد ببلاط الشهداء، وقيل ثار عليه أهل الأندلس فخلعوه سنة123. ينظر ترجمته في:

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. الكامل في التاريخ، مج5، ص250-252. دار صادر ودار بيروت، بيروت: 1385-1965م. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص29-30. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم2، ص507.

(3) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص42.

على قرطبة، فأشار عليه ولده هشام وحاجبه ابن مغيث بالمصعب بن عمران<sup>(1)</sup>، ووقف الاختيار عليه<sup>(2)</sup>، وكذلك فقد جاء أنّ محمدا بن بشير "أشير على الحكم بن هشام بتقديمه إلى خطة القضاء بقرطبة"<sup>(3)</sup>، وبهذا نرى أن الحاكم كان يتمحّص ويحتاط فيشاور أولي الأمر والمعرفة، فيرجّح أنسب المرشحين ويوليه.

كما أن كثيرا ممن كانوا يمتنعون عن قبول القضاء، كانوا يُجبرون على الإشارة بقاض نيابة عنهم، فأشار الفقيه يحيى بن يحيى<sup>(4)</sup> لما أراده الأمير عبد الرحمن على القضاء بإبراهيم بن العباس بعدما امتنع، وأجبر على الإشارة<sup>(5)</sup>، وقلما كان يولّى عبد الرحمن قاضيا إلا بإشارته.

كما ورد أن قاضي الجماعة بقرطبة "كان يعينه الحاكم... فكان يتشاور مع الوزراء، والشخصيات ذوات الهيئة في قرطبة الذين كانوا يشيرون بالمرشحين، ونادرا ما كان قضاة قرطبة يعيّنون دون مشاورة سابقة"<sup>(6)</sup>.

#### خامسا: الترشيح والانتخاب:

على الرغم من أن التولية هي الطريقة المتبعة في خطة القضاء، غير أننا نجد ما يدعم فكرة ترشيحهم وانتخابهم، فربما كان الشعب هو الذي يولّي مباشرة، وربما كان هو الذي يرشّح فيلتزم الموّلّي بالمرشّح، وجاء في كتاب المُغرب عن القاضي أبي بكر بن ذكوان<sup>(7)</sup> "إنّ أعيان

---

(1) هو القاضي أبو محمد المصعب بن عمران بن شفى بن كعب بن كعبير الهمداني، ولي قضاء الجماعة أيام هشام وابنه الحكم، ينظر ترجمته في:

النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص45-47. الخشني، قضاة قرطبة، ص24\_28. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص397.

(2) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص12.

(3) الضبي، بغية الملتمس، ص53.

(4) هو الفقيه أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايا، كانت فتيا الأندلس تعود عليه، وكان يفتي برأي مالك بن أنس، توفي سنة234. ينظر ترجمته في:

ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص431-432، الضبي، بغية الملتمس، ص445-446. المقري، نفع الطيب، ج2، ص9-12.

(5) ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج1، ص97. الخشني، قضاة قرطبة، ص51. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص14-15.

(6) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص(ح).

(7) هو أبو بكر، محمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان، ولد سنة395، وتوفي435. ينظر ترجمته في:

قرطبة هتفوا باسم أبي بكر في القضاء عند ولاية أبي الحزم بن جهور<sup>(1)</sup>، وأجمعوا على أنه في الكهول حلما، وعلماء، ونزاهة، وعفة، وتصاونا، ومروءة، وثروة، فأمضى له الولاية ابن جهور...<sup>(2)</sup>، وفي كتاب الصلة أنه "قلده الرئيس أبو حزم بن جهور بإجماع أهل قرطبة على ذلك أحكام القضاء"<sup>(3)</sup>، فلم يكن الحاكم يوما ليجرؤ علي تعيين من لا إجماع عليه، كما نرى أن أمر تعيين قاضي القضاة كان حدثا بارزا ومهماً يترقبه الناس ويشيرون بمن هو أهل لذلك.

---

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك. كتاب الصلة، قسم2، ص395. الدار المصرية للتأليف والترجمة: 1966م. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص36. ابن بسام، أبو الحسن عليّ الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص42. دار الثقافة، بيروت.

(1) هو الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، ولد سنة364هـ، وتوفي435هـ. ينظر ترجمته في:

المقري، نفح الطيب، ج1، ص302-304. ابن الأبار، الحلة السبراء، ج1، ص245-251.

(2) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص36.

(3) ابن بشكوال، الصلة، قسم2، ص525.

## اختصاصات القضاة

بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية أصبح من المتعذر على القاضي القيام بجميع المهام والاختصاصات القضائية التي تعرض عليه، الأمر الذي استدعي تخصيص بعض القضاة ببعض المهام، ويفصل الأستاذ ظافر القاسمي هذه المهام على النحو الآتي<sup>(1)</sup>:

### أولاً: الاختصاصات القضائية:

أ- الاختصاص النوعي، وهو اختصاص القاضي بنوع واحد من القضايا، مثل النظر في الجراح، وهو ما كان فيه اعتداء على الأنفس والأموال والأولاد والأعراض، وقضاء الأحداث، وهي الجرائم الكبرى التي تقع في المجتمع، مثل القيام بفتنة أو الحراة وغيرها من الأمور التي تشكل خطورة على المجتمع بأسره. وقاضي الجند أو العسكر، وهو من يسير مع الجند ليفصل بينهم، ويحكم فيما اختلفوا فيه، ويذكر النباهي المالقي أنه "لما دخل الإمام عبد الرحمن بن معاوية قرطبة، ألقى فيها يحيى بن يزيد التبيجي قاضياً، فأثبتته على القضاء، ولم يعزله إلى أن مات، قال: وكان يقال له وللقضاة قبله بقرطبة قاضي الجند"<sup>(2)</sup>.

وقاضي الركب، وكان خاصاً بركب الحجيج لفصل الخلافات التي يمكن أن تقع بينهم. وقاضي البر، ويقصد بالبر كل ما عدا المدن من أرياف وبواد، وقاضي المناكح، وهو خاص بعقود الزواج والحقوق الزوجية، وخطة المواريث، وهي المتعلقة بقضايا الإرث والتركة.

ب- الاختصاص الكمي، ويكون القضاء فيها قاصراً على كمية محددة من المال، يقول الماوردي الشافعي نقلاً عن أبي عبد الله الزبيدي: "لم يزل الأمراء عندنا بالبصرة برهة من الدهر، يستقضون على المسجد الجامع قاضياً يسمونه قاضي المسجد، يحكم في مئتي درهم وعشرين ديناراً فما دونها..."<sup>(3)</sup>.

(1) القاسمي، نظام الحكم، الكتاب الثاني، ص 255\_272.

(2) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 21. الخشني، قضاة قرطبة، ص 14.

(3) الماوردي، أدب القاضي، ج 1، ص 173.

## ثانيا: الاختصاصات غير القضائية<sup>(1)</sup>:

أ- النظر في أموال اليتامى، فقد أمر أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله القاضي محمد بن السليم "أن يحترس بأموال اليتامى، ولا يولّي عليهم إلا أهل العفاف عنها وحسن النظر فيها، وأن يجدد الكشف والامتحان عن أموال الناس والأحباس واليتامى"<sup>(2)</sup>، فليس هناك من هو أرى وأمن لمصالح اليتامى من القاضي الذي اجتمعت فيه صفات العلم والأمانة والدين فأهلتته لهذا المنصب.

ب- النظر في الأحباس والوقوف، والتفقد لأحوالها وأحوال الناظر فيها، فقد ورد في ترجمة القاضي الفرج بن كنانة<sup>(3)</sup>، وقد أراد أن يحمي جاره من طغيان رئيس الحرس، فقال له: "ليس هذا من شأنك، فعليك النظر في أحباسك وحكومتك، ودع ما لا يعنك"<sup>(4)</sup>، وفي ترجمة معاذ بن عثمان الشعباني<sup>(5)</sup>: "قد ولّى أحباسه بقرطبة رجلا ظن به خيرا"<sup>(6)</sup>، فلم يكن الحبس جبا والداخل فيه ضائعا في غيابه، بل كان يوكل إلى القاضي تفقد هذه الأحباس وأحوالها، وإعادة النظر في المحبوسين، والسماع لشكواهم.

ج- إلزام الولاية للسفهاء والمجانين، والتحرّج على المفلس حفظا للأموال.

د- تنفيذ الوصايا على شروط الموصي إذا وافقت الشرع.

□- تزوج الأيامي من الأكفيا إذا عدم الأولياء، وأردن التزويج.

(1) القاسمي، نظام الحكم، الكتاب الثاني، ص275-279. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص5-6.

(2) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص76.

(3) هو الفرج بن كنانة بن نزار بن عتبان بن مالك الكناني، ولاه الحكم بن هشام قضاء الجماعة بقرطبة سنة198□، وتوفي213□. ينظر ترجمته في:

النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص53-54. الخشني، قضاة قرطبة، ص40-44. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص275. الضبي، بغية الملتمس، ص389.

(4) الخشني، قضاة قرطبة، ص41. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص53.

(5) ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم قضاء الجماعة بقرطبة. ينظر ترجمته في:

النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص55. الخشني، قضاة قرطبة، ص55-57.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ص56.

و- تصفّي الشهود، وتفقد الأماناء، واختيار من يرتضيه لذلك.

وهكذا نرى أن القاضي لم تقتصر مهمته يوماً على القضاء وفض النزاعات، بل كانت تتعداها إلى مراقبة سائر مرافق الحياة والإشراف على مصالح العباد، وضمان الحقوق والأموال والأمانات وحفظها، والقيام برعاية المحتاجين وأيتام، وولاية أمورهم.

## أعوان القضاة

لا ريب أن القاضي بحاجة لمعاونين ومساعدين يخففون عنه أعباء القضاء ولوازمه، وخاصة بعد اتساع رقعة الدولة، وتشعب نواحي الحياة وتعقدتها، غير أن هؤلاء الأعوان لم يكونوا موحدّين في جميع الأمصار والأزمان، حتّى في المصر الواحد والزمان الواحد كان هناك اختلاف في الأعوان من قاض إلى قاض آخر، ونحاول هنا أن نوجز أشهر هؤلاء الأعوان:

### أولاً: الكاتب:

وظيفته أن يكتب المحاكمات والشهادات ولوازمها، وذلك حتّى يتفرغ القاضي لسماع الخصوم والشهود، و"ينبغي للقاضي أن يتخير كاتباً من أهل العفاف والصلاح والفهم، جازت الشهادة، ثم يقعه حيث يرى ما يكتب وما يصنع"<sup>(1)</sup>، وقد عرف هذا المنصب في عهد سيّدنا عمر بن الخطاب، فقد كان أبو موسى الأشعريّ قاضياً، وكان له كاتب، فقد "كتب عمر إلى أبي موسى: إن كاتبك الذي كتب إليّ لحن، فاضربه سوطاً"<sup>(2)</sup>.

وقد اتخذ قضاة الأندلس شأنهم شأن المشاركة كتاباً، ففي ترجمة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى: "قال القاسم بن محمد كاتبه أيام قضائه بالبيرة: ركبنا..."<sup>(3)</sup>، وفي ترجمة إبراهيم بن العباس القرشيّ: "لما أبى يحيى بن يحيى من قبول القضاء، وأشار بإبراهيم بن العباس أن يستقضي، وأن يكون كاتبه زونان"<sup>(4)</sup>...<sup>(5)</sup>، وفي هذا دلالة واضحة على اتّخاذ القضاة كتاباً يسجلون المرافعات والشهادات ولوازمها. وربما أنيطت بالكاتب مهمة أخرى كمراقبة الأسواق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي ترجمة أحمد بن محمد بن سعيد بن الحباب أنه "كان

---

(1) ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، كتاب أدب القاضي، ص498، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1407-1987م.

(2) وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، ج1، ص286، عالم الكتب، بيروت.

(3) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص61. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص405-412.

(4) هو الفقيه الزاهد أبو مروان عبد الملك بن الحسن بن محمد بن زريق بن عبيد الله بن رافع بن أبي رافع مولى رسول الله المعروف بزونان، كان مفتياً أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن وأيام عبد الرحمن بن الحكم، توفي سنة 232هـ. ينظر ترجمته في:

ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص220. الضبي، بغية الملتمس، ص328.

(5) الخشني، قضاة قرطبة، ص51.

كاتب القاضي منذر بن سعيد، ومُخلفه في السوق<sup>(1)</sup>. غير أننا نجد بعض القضاة في الأندلس يستغنون عن الكاتب وبياشرون الكتابة بأنفسهم، فيروى عن القاضي محمد بن بشير المعافري أنه "كان إذا قعد للقضاء جلس وحده، لا يجلس معه أحد، وخريطته بين يديه، يتولّى أكثر الكتاب بيده"<sup>(2)</sup>، غير أن مثل هذه المواقف كانت خروجاً عن النمط المألوف والمذهب الدارج، فكان موقف القاضي ابن بشير زيادة في الحيطة والحذر وذلك حتى يتأكد من صحّة ما يكتب ويملى، وذلك بمباشرته الكتابة بنفسه.

### ثانياً: الحاجب:

وهو من يقف بباب مجلس القضاء، وينظّم دخول المتقاضين، ويحرس القاضي، فيذكر أن القاضي عمرو القبة<sup>(3)</sup> كان يخرج إلى المسجد "وبين يديه رجل يحمل خريطته بكتب، وشيخ يمشي إلى جنبه، فإذا همّ رجل أن يندنو من القاضي ليكلّمه في مسيره إلى المسجد دفعه عنه وقال: اذهب حتى يجلس القاضي في مجلس القضاء"<sup>(4)</sup>.

ولا نفهم من ذلك أنّ الحاجب كان يقوم بحجب المتظلمين والخصوم عن القاضي، بل كان مجلس القضاء مفتوحاً أمام الجميع، وكل ما على الحاجب عمله هو تنظيم عملية سير القضاء، فالكلّ يدخل بدوره وفي انتظام، وذلك حتى يبقى لمجلس القضاء حرمة، ويحتفظ بهيبته. وقد كان الأمير أو الحاكم يوصي بحسن اختيار الحاجب، والتأكد من عفافه وطهارته، حيث أمر أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله<sup>(5)</sup> القاضي محمداً بن السليم "أن يختبر كاتبه وحاجبه وخدمته، وينفقد عليهم أحوالهم إذا غابوا عن بصره"<sup>(6)</sup>، كذلك أمر عقبة بن الحجاج

(1) ابن بشكوال، الصلة، قسم 1، ص 24.

(2) المصدر نفسه، ص 30.

(3) هو أبو عبد الله عمرو بن عبد الله بن ليث القبة، استنصاه الأمير محمّد بن عبد الرحمن قضاء الجماعة بقرطبة، وتوفي سنة 273هـ. ينظر ترجمته في: الخشني، قضاة قرطبة، ص 67-73. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 254-25.

(4) الخشني، قضاة قرطبة، ص 69.

(5) هو أبو العاصي الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر، ولي الإمارة سنة 350هـ، وتوفي 366هـ. ينظر ترجمته في: نفع الطيب، ج 1، ص 382-396. ابن الأبار، الحلة السيرة، ج 1، ص 200-205. الضبي، بغية الملتس، ص 21-24.

(6) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 76.

القاضي مهدي بن مسلم "أن يكون حاجبه وأعوانه ومن يستظهر به على ما هو بسبيله أهل الطهارة والعفاف"<sup>(1)</sup>.

وفي هذا إشارة واضحة على أن الحاجب كان يُختار من أهل التقى والصلاح، وذلك حتى لا يحابي أحد الحضور على الآخر، وحتى يكون من أهل الخلق والدين فلا يستغل منصبه لأغراض دنيوية محرمة.

### ثالثاً: القومة:

وقد عرفوا بالأندلس، واختصاصهم قريب من الشرطة، فهم الموكلون بحماية مجلس القضاء، وتنفيذ الأحكام الصادرة بحق الجناة، فيورد الخشني في ترجمته عن محمد بن زياد القاضي<sup>(2)</sup>: "يقول للقومة وقد دعاهم: إنما بلغني عنكم... فاتقوا الله واستقيموا، وأعينوني على الحق، لئن وجدت أحداً منكم قد خلط لأجله نكالا"<sup>(3)</sup>، وفي موضع آخر يقول: "...القاضي جالس في المسجد، وهذا طابعه، وهو يأمرك في النزول إليه فقال: سمعا وطاعة، وثنى رجله ونزل، فلما توسط باب المسجد بدر إليه من حضر من القومة، فقال لهم: تفقدوا لي أحد الخصوم..."<sup>(4)</sup>.

والقومة شأنهم شأن باقي الأعوان يتم اختيارهم على أسس سليمة، كما يقوم القاضي بمراقبتهم والتأكد من قيامهم بالأعمال الموكلة إليهم على أكمل وجه دون ظلم أو جور.

---

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص10.

(2) هو محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة اللخمي، ولي قضاء الجماعة في عهد عبد الرحمن بن الحكم، وتوفي سنة 240. ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتمس، ص66. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص55\_56. الخشني، قضاة قرطبة، ص57-61.

(3) الخشني، قضاة قرطبة، ص61.

(4) المصدر نفسه، ص78-79.

## رابعاً: الأمانة:

ويتولون أعمالاً متصلة بالقضاء، ويفترض فيهم توفر الأمانة، فقد جاء أن أحمد بن محمد بن زياد<sup>(1)</sup> لما أعيد إلى قضاء الجماعة وإلى الصلاة "تعنت أمانة أسلم بن عبد العزيز وامتحنهم في الودائع، واضطروهم إلى إحضار ما بأيديهم من الأموال"<sup>(2)</sup>.

ويورد النباهي في ترجمة أحمد بن عبد الله<sup>(3)</sup>: "كان قد ولاه أمير المؤمنين السوق، والنظر في أموال بعض كرائمه، وقلده أسباب الأمانات في بعض الكور، وولاه قضاء كورة البيرة، فكان بها حتى نقله أمير المؤمنين -أعزه الله- إلى قضاء الجماعة بقرطبة"<sup>(4)</sup>. ومن هنا يظهر أن مهام الأمانة كانت حفظ الأمانات والودائع من أموال وغيرها، كما قد توكل إليهم الوصاية على أموال اليتامى، وأنه منصب مستحدث لم يكن سابقاً.

## خامساً: الشيوخ:

يقوم القاضي بمشاورتهم، وبعرض الأحكام عليهم، ففي ترجمة أحمد بن مخلد<sup>(5)</sup>، أنه "ولي القضاء، فاتخذ لخدمته أعواناً شيوخاً أولي سداد، سأل أن يرزقوا من بيت المال"<sup>(6)</sup>، وهم بمثابة مجلس شورى يرجع إليهم القاضي إن احتاج حكماً شرعياً أو إفتاءً ولا سيما إن لم يكن من أهل الاجتهاد، لذلك فإن هؤلاء الشيوخ هم مجموعة من العلماء والفقهاء أصحاب الرأي والاجتهاد.

---

(1) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بالحبيب، استقضى أيام الإمام الناصر لدين الله مرة بعد مرة، وتوفي سنة 312هـ. ينظر ترجمته في:

ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 33-34. الخشني، قضاة قرطبة، ص 101-109، 105-110.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص 110.

(3) هو قاضي الجماعة أبو عمر أحمد بن عبد الله بن أبي طالب غصن بن طالب بن زياد بن عبد الحميد بن الصباح بن يزيد بن زياد الأصبحي، توفي سنة 326هـ، وقيل 327هـ. ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 63. الخشني، قضاة قرطبة، ص 117-118. الضبي، بغية الملتمس، ص 158. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 38.

(4) الخشني، قضاة قرطبة، ص 118.

(5) هو قاضي الجماعة أبو عبد الله أحمد بن بقي بن مخلد، ويكنى أبا عبد الله، توفي سنة 344هـ. ينظر ترجمته في: الضبي، بغية الملتمس، ص 148. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 38. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 63-65. الخشني، قضاة قرطبة، ص 222-231.

(6) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 64.

## خصوصيات القضاة

أولاً: مباشرة القاضي البيع والشراء بنفسه:

يرى الماوردي الشافعي كراهية مباشرة القاضي البيع والشراء بنفسه خوفاً عليه من المحاباة والزيادة، فإن احتاج إليهما وكل من ينوب عنه، ولا يكون معروفاً به، فإن لم يجد بداً من مباشرته ذلك بنفسه، واحتكم إليه من بايعه أو شراه فعليه ألا ينظر في حكومته بنفسه، ويستخلف من ينظر فيها<sup>(1)</sup>.

غير أننا نجد القاضي الأسوار بن عقبة<sup>(2)</sup> "يحمل خبزه إلى الفرن بنفسه، ويتصرف في مهنة أهله"<sup>(3)</sup>، كذلك كان القاضي أبو عمر أحمد بن يحيى بن سحيق "يتناول شراء حوائجه بنفسه حتى البقل..."<sup>(4)</sup> ونرى في هذا دلالة على التواضع وحسن السيرة، من غير أن نجد في ذلك ما يشين القاضي من محاباة أو زيادة.

ثانياً: حضور القاضي الولائم:

قال الشافعي: "ولا أحب أن يتخلف عن الوليمة، إما أن يجيب كلا، وإما أن يترك كلا ويعتذر إليهم، ويسألهم التحليل"<sup>(5)</sup>، وذلك لأن على القاضي أن يشارك أهل بلده في الأفراح والأتراح ولا ينعزل عنهم، وبذلك يكون قريباً من قلوب الناس وعالماً باجتماعياتهم وهمومهم.

ثالثاً: عيادة القاضي المرضى وحضوره الجنائز:

"قال الشافعي: ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويأتي مقدم الغائب، وهذا صحيح، وهذه قرب يندب إليها جميع الناس، فكان الولاية فيها كغيرهم، لأن المقصود بها طاعة الله عز وجل،

(1) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص237-241.

(2) هو القاضي أبو عقبة الأسوار بن عقبة بن حسان بن عبد الله النصري، استقضاه عبد الرحمن بن الحكم بقرطبة، وتوفي عام 213هـ. ينظر ترجمته في: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص81. الخشني، قضاة قرطبة، ص110.

(3) الخشني، قضاة قرطبة، ص48-49.

(4) ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص57.

(5) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص241.

وطاعة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(1)</sup>، فالقاضي لا ينخلع من محيطه الذي يعيش فيه، بل يمارس مهنته القضائية، ويصل إخوانه ويتفقدهم ويساعدهم ما أمكنه ذلك.

#### رابعاً: لا يضيف القاضي الخصم دون صاحبه:

ولا ينبغي أن يضيف القاضي الخصم دون صاحبه، لما فيه من ظهور الممايلة والتحيز<sup>(2)</sup>، وهذا من أساسيات القضاء، فالناس أمام الشرع والقانون سواسية، لا مجال فيهما للصدقة والإخوانيات.

#### خامساً: منع القاضي من قبول الهدية:

ويجب أن يمتنع القاضي عن قبول الهدية، وإن كان يهدى إليه قبل ذلك حتى تنفذ خصومته، وينبغي لكل ذي ولاية أن يتنزّه عن قبول هدايا أهل عمله<sup>(3)</sup>، وقد جاء أن القاضي محمد بن بيقى بن زَرَب قبل هدايا المنصور محمد بن أبي عامر<sup>(4)</sup>، "فعابوه بقبوله لهداياه، والاستساغاه لعطيته"<sup>(5)</sup>.

#### سادساً: لا يحكم القاضي وهو غضبان:

فعلى القاضي اختيار الوقت المناسب للقضاء، ويكون فيه مطمئن القلب هادئ النفس، فلا يحكم بين المتخاصمين وهو غضبان، فالغضب يصرف الإنسان عن التعقل ودقة النظر<sup>(6)</sup>، وقد

روى عن النبي - عليه الصلاة والسلام - : "لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان"<sup>(1)</sup>.

(1) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص245.

(2) ينظر: ابن عبد البر، الكافي، كتاب أدب القاضي، ص497. الماوردي، أدب القاضي، ج2، ص263\_264.

(3) ابن عبد البر، الكافي، كتاب أدب القاضي، ص498. الماوردي، أدب القاضي، ج2، ص264-265.

(4) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، أمير الأندلس في دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله، حيث إنه لما مات المستنصر بالله كان المؤيد صغيراً، فخيف الاضطراب فقام بشؤون الدولة ودامت له الإمرة ستة وعشرين عاماً، وكان قبل ذلك قد ولي قضاء كورة رية ثم إشبيلية، ولد عام 327هـ، وتوفي 392هـ. ينظر ترجمته في: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص268-277. المقري، نفع الطبيب، ج1، ص396-423. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص80-82. الضبي، بغية الملتمس، ص99-100.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص79.

(6) ابن عبد البر، الكافي، كتاب أدب القاضي، ص497.

## سابعاً: أرزاق القضاة:

ولعلَّ سيّدنا عمر هو أول من عين للقضاة أرزاقاً من بيت المال فقد "استعمل عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على القضاء، وفرض له رزقاً"<sup>(2)</sup>.

ومع ذلك فإننا نجد قضاة لم يقبلوا أخذ أجر على القضاء، وكان يعمل بنفسه، ويقفّات من ثمن عمله، فقد جاء في ترجمة القاضي محمد بن اسحق بن السليم: "إنه كان يتصيّد الحيتان بنهر قرطبة، ويقفّات من ثمنها"<sup>(3)</sup>، كذلك كان القاضي أبو عمر أحمد بن سحيق "يختلف إلى غلة له بحومة المترب، يعمرها بالعمل ليعيش منها"<sup>(4)</sup>، وبهذا نرى أن القضاة كانوا جدّ مثابرين، ومثالا في العمل والتواضع. ومنهم من امتنع عن أخذ الأجرة عن يوم العطلة، فقد ذكر النباهي في ترجمة القاضي نصر بن طريف اليحصبي<sup>(5)</sup> أنه كان "من زهده وورعه إذا اشتغل عن القضاء يوماً واحداً لم يأخذ لذلك اليوم أجراً..."<sup>(6)</sup>، ويذكر الخشني في ترجمة سليمان بن أسود الغافقي<sup>(7)</sup>: "لما عزل سليمان عن قضاء ماردة وافى باب القصر بقرطبة، وكتب إلى الأمير محمد -رحمه الله-: "إنّ بيدي ما لا تجمع من أرزاق، وجب علي صرفه إلى بيت المال، وهو مما حاسبت فيه نفسي من أيام الجمع وأوقات الاشتغال، والأحيان التي وجب عليّ فيها النظر فلم أنظر"<sup>(8)</sup>.

وبعضهم كان لا يأخذ رزقاً إلا من مال الفيء بقدر كفاف حاجته، حيث اشترط محمّد بن بشير المعافري على الحكم بن هشام لما استقضاه "أن يكون رزقه كفافاً من المال

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي بكر. ينظر ترجمته في: البخاري، صحيح البخاري، ج8، كتاب الأحكام، باب13، رقم7158، ص138. مسلم، صحيح مسلم، مج3، كتاب الأقضية، باب7، رقم1717، ص1342. البيهقي، السنن الكبرى، ج10، كتاب آداب القاضي، باب10، رقم20275، ص179.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج2، ص359.

(3) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص147.

(4) ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص58.

(5) ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص44. الخشني، قضاة قرطبة، ص23-24.

(6) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص44.

(7) قلده الأمير محمّد بن عبد الرحمن قضاء الجماعة بقرطبة، ويذكر أنه قضى اثنين وثلاثين عاماً، وعاش تسعة وتسعين عاماً. ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص56-59. الخشني، قضاة قرطبة، ص73-82.

(8) الخشني، قضاة غرناطة، ص73.

الفيء...<sup>(1)</sup>. ومن هذه النصوص نجد أن القضاة كانوا متفرّعين لمهنة القضاء، ويتقاضون راتباً من بيت المال، لكنهم كانوا لا يأخذون إلا ما يستحقّون، فبعضهم يرفض أن يأخذ أجراً في أيام العطل، وبعضهم كان لا يأخذ إلا كفافاً.

### ثامناً: بيت القاضي:

يقول الماورديّ في القاضي: "ويختار أن يسكن في وسط البلد ليقرب على جميع أهله...<sup>(2)</sup>، وأما من حيث البناء ومحتواه، وما به من متاع وأثاث فقد كانت بيوتهم غاية في البساطة لا تحوي غير أساسيات المسكن دون نعومة أو بذخ وترف.

ونرى أنه "لما عزل يحيى بن معمر<sup>(3)</sup> عن القضاء بقرطبة، بعث إليه أحد الوزراء - وكان من أخصّ إخوانه به- ابناً له بزوامل<sup>(4)</sup> وأعوان، وقال لابنه: تذهب إلى القاضي -رحمه الله- وتسأله أن يحمل على هذه الزوامل ثقله وما احتاج إليه، فلما أتاه ابن الوزير برسالة أبيه، وأحضره الزوامل قال له القاضي: ادخل حتّى ترى ما عندنا من الثقلّة<sup>(5)</sup>، فدخل فإذا بيت القاضي ليس فيه إلا حصير وخابية<sup>(6)</sup> بدقيق وصحفة وقلّة<sup>(7)</sup> للماء وقَدَح<sup>(8)</sup> وسرير كان يرقد عليه، فقال له ابن الوزير: وأين الثقلّة؟ فقال: هذه ثقلتي أجمع، ثم قال للغلام: فرق الدقيق على من بالباب من الضعفاء، وامضي في بعض القومة يقصوا هذا الحصير والأواني، ثم خرج وقال: جزى الله الوزير أباك خيراً، تقرّوه سلامي، ثم توجه إلى إشبيلية<sup>(9)</sup>.

(1) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص48.

(2) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص194.

(3) أبو بكر هو يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الإلهاني، استقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم قضاة الجماعة بقرطبة سنة209هـ. ينظر ترجمته في: النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص44-45. الخشني، قضاة قرطبة، ص45-48. الضبي، بغية الملتمس، ص442. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص430.

(4) الزامل من الدواب الذي يطلع في سيره من نشاطه.

(5) الثقلّة: الأمتعة.

(6) الخابية: وعاء يحفظ فيه الطعام ونحوه، وجمعها خوابٍ

(7) القلّة: الجرّة العظيمة من الفخار، وجمعها قُلل وقلال

(8) القدح: إناء للشرب، وجمعها أقداح.

(9) الخشني، قضاة قرطبة، ص48.

وهكذا نجد بيت القاضي بسيطاً خالياً من مظاهر النعمة والترف، بل كان يقتصر على أدنى أساسيات المعيشة، كما يظهر لنا في خبر عزل يحيى بن معمر وقصته مع ابن الوزير أن الدولة كانت تتكفّل ببيت القاضي وتوفّره له، فكان البيت ملك الدولة تمنحه للقاضي طالما هو في مهنته، فإن انتهت يخرج من بيت القضاء ليسكنه القاضي الجديد، وهذا يظهر في طلب الوزير من ابنه أن يذهب إلى بيت القاضي ويحمل حاجاته وأمتعته على الدواب ليخلّي البيت ويخرج منه.

### تاسعا: لباس القاضي ومركبه:

حدثنا الخشني أن القاضي سعيداً بن سليمان الغافقي<sup>(1)</sup> "جلس للحكم في المسجد وعليه جبة صوف بيضاء، وفي رأسه (أقروف)<sup>(2)</sup> أبيض، وغفارة<sup>(3)</sup> بيضاء من ذلك الجنس"<sup>(4)</sup>، وفي ترجمة عمرو بن عبد الله بن ليث: "...فرأيتُه جالساً يحكم بين الناس، وعليه ثوب (شركاب)<sup>(5)</sup>..."<sup>(6)</sup>.

ويخبرنا ابن بشكوال في كتابه الصلة في ترجمة ابن فطيس<sup>(7)</sup> "أنه كان من أبناء الدنيا، فلماً ولي القضاء غير زيّه، وترك زي الوزراء، وعاد إلى الأخضر زي الفقهاء"<sup>(1)</sup>.

---

(1) أبو خالد هو سعيد بن سليمان بن حشيب بن المعلى بن إدريس بن محمد بن يوسف الغافقي البلوطي، من أهل قرطبة، استقضىه الأمير عبد الرحمن بن الحكم مرتين لقضاء الجماعة. ينظر ترجمته في: الخشني، قضاة قرطبة، ص 61-65. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 54، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 138.

(2) لم نعثر له على معنى دقيق، وأقرب ما وجدناه: القروف الأوعية تتخذ من الجلود ونحوها، وهي أيضا الأدم الأحمر، الواحد قرف، ينظر:

الصاحب، إسماعيل بن عباد. المحيط في اللغة، ج 5، مادة (قرف)، ص 394، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت: 1414-1994م.

(3) كل ثوب يغطى به شيء فهو غفارة، وجمعها غفارات وغفائر، والغفارة زرد ينسج من الدروع يلبس تحت القلنسوة، ينظر: مطلوب، أحمد. معجم الملابس في لسان العرب، ص 89، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت: 1995م.

(4) الخشني، قضاة قرطبة، ص 62.

(5) لم أعثر له على تسمية.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ص 70.

(7) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطين بن أصبغ بن فطيس بن سليمان، ولي خطة القضاء بقرطبة مجموعاً إلى خطة الوزارة والصلاة. ينظر ترجمته في:

ف نجد أنّ ألبسة القضاة لم تكن موحّدة، فأحدهم يلبس الأبيض والثاني يلبس الأخضر  
وآخر يقترب زيّه من زي الرؤساء، وعلى الرغم من عدم توحيدها إلا أن في طبيعة ألبستهم ما  
يميّزهم عن غيرهم من عامة الناس.

وبالنسبة للعمامة<sup>(2)</sup>، فقد لبسوها في غرب الأندلس بينما تركوها في شرقها، يقول  
المقري: "وأما زيّ أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمامة، ولا سيما في شرق الأندلس، فإنّ  
أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا إليه إلا وهو بعمامة، وقد تسامحوا بشرقها  
في ذلك"<sup>(3)</sup>.

كما نجد الطيلسان<sup>(4)</sup> لباسا شعبيّا عندهم، "فلا تجد في خواص الأندلس، وأكثر عوامهم  
من يمشي دون طيلسان، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظّمون"<sup>(5)</sup>. كما يظهر  
لنا تواضع القضاة، فلم يركبوا الخيول والبغال والعربات، حتّى إنهم امتنعوا عن ركوب الحمار  
داخل المدينة، وأثروا المشي على القدمين، فيقول الخشني في ترجمة سعيد بن سليمان الغافقي:  
"ثم خرجنا معه نمشي، ولم يركب"<sup>(6)</sup>، ويقول فيه أيضا: "كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في  
المسجد الجامع، ويأتي إليه ماشيا"<sup>(7)</sup>.

كما وجدنا في ترجمة القاضي محمد بن بشير أنه أحدث في لباسه، وجاء بما لم يأت به  
قاض قبله، فقد كان يُرى "داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة، وعليه رداء معصفر ،

---

ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص309\_313. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص87\_88. الضبي، بغية الملتمس،  
ص309.

(1) ابن الأبار، الصلة، قسم1، ص312.

(2) جمع عمامة، من لباس الرأس، وهي ما تلف على الرأس تكويرا، ينظر: الصعيدي ، عبد الفتاح، وحسين يوسف  
موسى، الإفصاح في فقه اللغة، ص376. ط2، دار لالفكر العربي: 1384هـ\_1964م. مطلوب، معجم الملابس في لسان  
العرب، ص88.

(3) المقري، نفع الطيب، مج1، ص222.

(4) الطيلسان: ضرب من الأكسية من لباس العجم، وجمعها طيلالس وطيلالسة. ينظر في: الصعيدي، عبد الفتاح وحسين  
يوسف موسى. الإفصاح في فقه اللغة، ج1، ص371

(5) المقري، نفع الطيب، مج1، ص222.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ص64.

(7) المصدر نفسه، ص64.

وفي رجليه حذاء يصرّ، وعليه جمّة<sup>(1)</sup> مفرقة، ثم يقوم فيخطب، ويقضي وهو في هذا الزي<sup>(2)</sup>، وحكي عنه أيضا "أنّه أتاه رجل لا يعرفه، فلما نظر إلى زيّ الحداثّة، من الجمّة المفرقة والرداء المعصفر، وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء في يديه لم يتوسّم عليه القضاء"<sup>(3)</sup>، "وقد لبس ابن بشير الخزّ فلم يتبعه الناس"<sup>(4)</sup>.

### عاشرا: ألقاب القضاة:

أ- قاضي الجند، وجد هذا اللقب من بداية الفتوحات الإسلامية، حيث كان هذا القاضي مرافقا للجنود ومختصا بالقضاء بينهم، "فلما دخل الإمام عبد الرحمن بن معاوية قرطبة، وقام بالإمامة ألقى فيها يحيى بن يزيد قاضيا، فأثبتته على القضاء، ولم يعزله إلى أن مات. قال: وكان يقال له وللقضاة قبله بقرطبة قاضي الجند... وإن تسمية القاضي اليوم بقاضي الجماعة اسم محدث لم يكن في القديم"<sup>(5)</sup>.

ب- المسدّد، وهو من وليّ القضاء على بلدة صغيرة، فقد جاء: "وأما خطّة القضاء بالأندلس، فهي أعظم الخطط عند الخاصّة العامّة، لتعلقها بأمر الدين، وكون السلطان لو توجّه عليه حكم حضر بين يدي القاضي، هذا وضعها في زمان بني أمية، ومن سلك مسلكهم، ولا سبيل أن يتسمّى بهذه التسمية إلا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة جلييلة، وإن كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها إلا مسدّد خاصة"<sup>(6)</sup>، ويظهر أن هذه التسمية كانت تطلق في عصر ولاية بني أمية.

ج- قاضي الجماعة، وهو في الأندلس نظير قاضي القضاة عند المشاركة، وفي رواية الخشني "أن القاضي يحيى بن يزيد التبيجي هو أول من سمّي قاضي الجماعة، وأنه اسم محدث لم يكن في القديم"<sup>(1)</sup>.

(1) الجمّة من الإنسان: مجتمع شعر ناصيته، أو ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص32.

(3) المصدر نفسه، ص32.

(4) المصدر نفسه، ص36.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص21.

(6) المقرئ، نفح الطيب، مج1، ص217-218.

د- قاضي القضاة، وأول ما عرف هذا اللقب في المشرق، ويبدو انه عرف في الأندلس منذ الفتح حتى أواخر عصر الولاة، فقد جاء أن "قاضي القضاة يقال له: قاضي القضاة وقاضي الجماعة"<sup>(2)</sup>، كما يظهر أن لقب قاضي القضاة حل محل قاضي الجماعة في الدولة العامرية، فورد في ترجمة القاضي أبي العباس بن ذكوان أن الحاكم عبد الرحمن بن المنصور<sup>(3)</sup> "رفع منزلته، وولاه الوزارة مجموعة إلى قضاء القضاة، وبقي ذلك إلى أن انقضت دولة بني عامر بقيام المهدي بن عبد الجبار المرواني"<sup>(4)</sup> عليهم، أول ملوك الفتنة... وأزال عنه اسم قاضي القضاة، واقتصر به على قضاء الجماعة"<sup>(5)</sup>.

هـ- خليفة القاضي: إنَّ التخليف والنيابة أمران طبيعيين ومعلومان بالضرورة، فكل مسؤول أو صاحب ولاية له مخلف ينوب عنه في غيابه أو تعذر قيامه بمهامه، والقضاة في الأندلس شأنهم شأن باقي الولاة كان لهم مخلفون يتابعون مهام القضاء في حالة غياب القاضي أو عجزه عن متابعة قضاء بعض أقاليمه، فقد كان أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسن الجذامي المتوفى عام واحد وستين وأربعمئة "مخلفا للقضاة بالبيرية وبجانة"<sup>(6)</sup>، وفي ترجمة أبي الربيع سليمان بن عمر بن محمد الأموي المعروف بابن صهيبية أنه "كان ابن يعيش يستخلفه على القضاء، وكان يدعى بالقاضي"<sup>(7)</sup>.

---

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص14.

(2) المقرئ، نفع الطيب، مج1، ص217-218.

(3) هو عبد الرحمن الناصر بن المنصور بن أبي عامر ويلقب بشنجل، وهو حاجب الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة وآخر العامريين، ولي الحجاب بعد أخيه المظفر، وطلب من الخليفة هشام أن يوليئه العهد من بعده فولاه هشام ذلك لضعفه. ينظر ترجمته في:

المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص424\_426. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج3، ص38\_50.

(4) هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي الملقب بالمهدي بالله، خرج على المؤيد بالله الأموي بقرطبة سنة399هـ، وبايعه الناس وملك قرطبة وحبس المؤيد في القصر ثم أظهر أنه مات، واستقر أمره إلى أن انتقض عليه سليمان بن الحكم وتغلب عليه، فسار ابن عبد الجبار إلى طليطلة وجمع عسكريا وعاد إلى قرطبة فاستولى عليها وجدد البيعة بها لنفسه. ينظر ترجمته في:

ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج3، ص50\_62. المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص426.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص86.

(6) ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص62.

(7) المصدر نفسه، قسم1، ص199.

## حادي عشر: مذاهب القضاة:

لم يكن هناك في الأندلس بداية مذهب متبع، ولئن وجدنا أنّ المذهب الأوزاعي كان سائداً في الأندلس منذ بداية الفتح، غير أنّ الولاة والأمراء لم يحملوا القضاة على القضاء بهذا المذهب، بل وجدنا أنّ كلّ قاض كان يقضي بما يراه مناسباً، فالمصعب بن عمران "كان لا يقلّد مذهباً، ويقضي بما يراه صواباً"<sup>(1)</sup>، وبقي القضاء في الأندلس على هذه الحال حتى عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل، فألزم القضاة جميعهم بالتزام مذهب مالك، وصير القضاء والفتيا عليه عام سبعين ومائة للهجرة<sup>(2)</sup>.

وجدت بالذکر أنّ عمل أهل قرطبة كان حجّة في المغرب، "قال الإمام ابن عرفة - رحمه الله -: في اشتراط الإمام على القاضي الحكم بمذهب معين - وإن خالف معتقد المشتراط اجتهدا وتقليداً - ثلاثة أقوال: الصحة للباقي<sup>(3)</sup> ولعمل أهل قرطبة"<sup>(4)</sup>، من هنا يظهر أنّ ابن الباقي كان يجيز اشتراط الإمام على القاضي الحكم بمذهب معين، كما أنّ قضاة قرطبة كانوا يحكمون بمذهب الإمام، وهو المذهب المالكي الذي انتشر على يد الفقيه يحيى بن يحيى، وأصبح هو المتبع في الأندلس، وقد كان القاضي منذر بن سعيد البلوطي "متقننا في ضروب العلوم، غلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن عليّ الإصبهانيّ المعروف بالظاهريّ، فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه، ويحتجّ لمقالته، ويأخذ به في نفسه وذويه، فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه، وهو الذي عليه العمل بالأندلس، وحمل السلطان أهل مملكته عليه"<sup>(5)</sup>.

## ثاني عشر: العروبة:

(1) المصدر نفسه، قسم 1، ص 47.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج 1، ص 55.

(3) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التبيجي القرطبي الباقي، فقيه مالكي كبير، ومن رجال الحديث، ولد في باجة عام 403هـ، وتوفي عام 474هـ، ينظر ترجمته في:

الكتبي، محمّد شاكر. فوات الوفيات والذيل عليها، ج 2، ص 64\_65. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: 1973 ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 408\_409. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 120\_122.

(4) المقرئ، نفع الطيب، مج 1، ص 556.

(5) المصدر نفسه، مج 2، ص 21.

وكان الأمر كان امتدادا للدولة الأموية بدمشق التي كانت تستأثر بمناصبها للعرب، وتحرم الموالي من تبوّؤ المناصب الهامة وشغلها، فقد كان هذا الحال في الأندلس، حيث كان معظم القضاة من العرب، وأخصّ بالذكر منصب قاضي الجماعة، وقلة قليلة من الموالي التي حظيت بهذا المنصب، ففي ترجمة عمرو بن عبد الله بن ليث القبة أنه كان "أول من ولي قضاء الجماعة للخلفاء من الموالي، فشق ذلك على العرب... فقال العرب: أما القضاء فإننا لا نعرض فيه لأنه من سلطانه، وأما الصلاة فإننا لا نصلي وراءه، فولّى الأمير -رحمه الله- الصلاة النميريّ عبد الله بن الفرّج<sup>(1)</sup>"<sup>(2)</sup>.

### ثالث عشر: علوم القضاة ورحلاتهم:

تعتبر الرحلات العلمية عند الأندلسيين امتدادا لرحلات المشاركة، ولا سيما أئمة الحديث الذين جابوا البلاد والأمصار شرقا وغربا جمعا للأحاديث النبوية والتحقّق من صحتها، ولما كانت بغداد كعبة العلم آنذاك فلا عجب أن نرى علماء الأندلس يشدّون الرحال إلى الديار المشرقيّة للسمع والنقل عن أئمة اللغة والفقه والسنن وغيرها، حتّى غدوا هم بدورهم أعلاما بارزين يقصدهم طلاب العلم من كل حذب وصوب.

والقاضي معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي "كان من جلة أهل العلم وكبار رواة الحديث، شارك مالكا بن أنس في بعض رجاله، وأخذ عنه جملة من الأئمة، منهم سفيان الثوري<sup>(3)</sup> والليث بن سعد<sup>(1)</sup> وابن عيينة<sup>(2)</sup>... ورحل إليه زيد بن الحباب<sup>(3)</sup> من الكوفة، فسمع منه بالأندلس حديثا كثيرا"<sup>(4)</sup>.

(1) هو عبد الله بن الفرّج بن جميل بن سليمان النميري، من أهل قرطبة، توفي سنة 260هـ. ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتمس، ص 303. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 177.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص 67.

(3) هو شيخ الإسلام الفقيه الكوفي أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور، كان سيد أهل زمانه علما وعملا، ولد عام 97ق، وتوفي 191ق. ينظر ترجمته في:

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 386-39. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 15، ص 278-280. الذهبي، الإمام أبو عبد الله شمس الدين. تذكرة الحفاظ، مج 1، ج 1، ص 203-207. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وكثيرا ما كان هؤلاء القضاة يتجشّمون عناء السفر بعيدين عن الأهل والأوطان جامعين الروايات من مختلف الأصقاع، فالقاضي ابن أبي عيسى "ولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها إلى المشرق، وجمع فيها الروايات والسماع كلّ مفترق، وجال في آفاق ذلك الأفق، لا يستقرّ في بلد، ولا يستوطن في جلد<sup>(5)</sup>، ثم كرّ إلى الأندلس فسمت رتبته"<sup>(6)</sup>، وكثيرا ما كان هؤلاء يستقضون بعد رحلاتهم هذه التي يجمعون فيها مختلف العلوم، ولا سيّما الشرعيّة من فقه وحديث، ويسمعون من كبار العلماء والرواة ويأخذون عنهم.

وأمثال هذه الرحلات كثيرة جدا عند القضاة، فمن يستعرض تراجمهم وأخبارهم يجدها حافلة بها، الأمر الذي جعل صاحب النفع يورد بابا خاصا في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق<sup>(7)</sup>.

ويذكر الدكتور وائل أبو صالح بأنّ رحلات علماء الأندلس كانت على درجتين: داخلية، وتكون بين المدن الأندلسية بعد مرحلة الكتاب، وخارجية، وتكون خارج حدود الأندلس بعد الرحلة الداخلية<sup>(8)</sup>، حيث جمع القضاة علوما شتّى، فالقاضي محمد بن بيقى بن زرب "كان أحفظ

---

(1) هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن، إمام أهل مصر في الفقه والحديث، ولد بقلقشندة سنة 94هـ. ينظر ترجمته في:

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص127-132. الذهبي، تذكرة الحفاظ، مج1، ج1، ص224-227.

(2) هو شيخ الإسلام الإمام الكوفي ثم المدني أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، طلب العلم وهو غلام وسمع من كبار أئمة الفقه والحديث، وقيل إنّه حج سبعين حجة، ولد سنة 107هـ، وتوفي 198هـ. ينظر ترجمته في: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص281\_282. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص391\_393. الذهبي، تذكرة الحفاظ، مج1، ج1، ص262-265.

(3) هو زيد بن الحباب بن الريان أو رومان، أبو حسين العكلي الخراساني، كان حافظا زاهدا رحالا جوالا، روى له مسلم والأربعة، وتوفي سنة 203هـ. ينظر ترجمته في:

الذهبي، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص160-161. ت: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت: 1414-1993م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص44.

(4) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص43.

(5) الجلد: الأرض

(6) المقري، نفع الطيب، مج2، ص12.

(7) ينظر: المقري، نفع الطيب، ج2، الباب الخامس، ص5-704.

(8) أبو صالح، وائل. منذر بن سعيد البلوطي، ص6، جامعة النجاح الوطنية: 1987م.

أهل زمانه للفقهاء على مذهب مالك وأصحابه<sup>(1)</sup>، وللقاضي محمد بن خليفة الأنصاري<sup>(2)</sup> على الموطأ شرح حسن بليغ<sup>(3)</sup>، كما كان القاضي أبو الوليد أحمد بن رشد الأكبر "صاحب التصانيف في الأصول والفروع والخلافات"<sup>(4)</sup>، وللقاضي محمد بن يبي "حظاً كبيراً في علم الإعراب والفقهاء"<sup>(5)</sup>. وهكذا فقد كان للقضاة حظاً وافراً من العلوم والمؤلفات. كما كان لبعضهم أثر جَمَّ في هذه التصانيف والمؤلفات، نذكر منهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وله "كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع والردّ على أهل الأهواء والبدع"<sup>(6)</sup>، وللقاضي أبي بكر محمد بن حسن الزبيدي<sup>(7)</sup> كتب في مختلف العلوم ولا سيما اللغوية، أهمها (طبقات النحويين واللغويين) و(مختصر العين) و(الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية) وغيرها، وللقاضي أبي الوليد سليمان الباجي كتب في الفقه والأصول، منها (اختلاف الموطآت)، و(الحدود)، و(المنقلى)، وللقاضي أبي عمر يوسف بن عبد البر<sup>(8)</sup> (التمهيد)، و(بهجة المجالس)، و(جامع بيان العلم)، وغيرها.

ومن هنا نرى أنّ القضاة لم يقتصرُوا على دراسة العلوم الشرعية فقط، بل درسوا مختلف العلوم وبرعوا فيها، ووضعوا الكتب والتصانيف، كما نشير إلى أنهم عنوا عناية خاصة

(1) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 78.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن خليفة بن عبد الواحد الأنصاري، فقيه مشهور من أهل مالقة، ولي القضاء بها، توفي سنة 499هـ، وقيل 500هـ. ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتمس، ص 67. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 100.

(3) ابن عسكرو، أبو عبد الله وأبو بكر بن خميس. أعلام مالقة، ص 74. تقديم: د. عبد الله المرابط الترغي، ط 1، دار الأمان: 1420-1999م.

(4) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج 1، ص 106.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 77.

(6) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 238.

(7) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، عالم باللغة والأدب وشاعر، ولد بإشبيلية عام 316هـ، وولي القضاء فيها إلى أن توفي عام 379هـ، ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتمس، ص 57. السيوطي، بغية الوعاة، ص 34. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 7، ص 372-374.

(8) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة عام 368هـ، ورحل رحلات طويلة، ولي قضاء لشبونة وشنترين، وتوفي عام 463هـ، ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتمس، ص 427-428. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 7، ص 66-72. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 357-359.

بموطأ الإمام مالك، وهذا يظهر في تصانيفهم، وهو دلالة إضافية على اعتناق أهل الأندلس المذهب المالكي.

## خصوصيات القضاء

أولاً: مجلس القضاء:

لابد للقاضي من مكان معروف يباشر فيه عمله القضائي، ويجب أن يكون المكان مريحاً له وللخصوم، ويصل إليه الناس بسهولة ويسر، قال الشافعي: وأحب أن يقضي في موضع بارز للناس، ومراده بهذا شيئان: أحدهما، ألا يحوج مع البروز إلى الاستئذان عليه، والثاني، أن يكون الموضع فسيحاً تروح فيه النفوس، ولا يسرع فيه المثل<sup>(1)</sup>، وفي حين أن القضاة لم يختصوا مكاناً واحداً للقضاء، إلا أنهم غالباً ما كانوا يتخذون المساجد لذلك، فالمسجد أعدل المجالس له، لأنه لا يحجب فيه، ولو قعد في المسجد وقتاً، وفي داره وقتاً لتصل إليه الحائض والذمي كان حسناً<sup>(2)</sup>، فيذكر الخشني في ترجمة سعيد بن سليمان الغافقي، أنه "لما قدم قرطبة، ولاه الأمير - رحمه الله - القضاء، فجلس للحكم في المسجد..."<sup>(3)</sup>، وفي موضع آخر، "كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في المسجد الجامع، ويأتي إليه ماثياً..."<sup>(4)</sup>.

وربما بالغ بعضهم زيادة في التقوى ومخافة الله، وتوخي العدل في الحكم بما أنزل الله، فحفر قبره أمامه في المسجد ليذكره بالآخرة ويوم الحساب، ففي ترجمة محمد بن سليمان الأنصاري المالقي "كان حضور القاضي أبي عبد الله المذكور لتنفيذ الأحكام بالمسجد المذكور له من داخل مألقة، بإزاء قبر كان قد حفره بالزيادة هنالك، وأعدّه لنفسه، وفيه دفن..."<sup>(5)</sup>.

وربما أتخذ أحدهم سقيفة له في رحاب المسجد للقضاء فيها، فقد "كان محمد بن بشير يقضي في سقيفة معلقة بقبلي مسجد أبي عثمان"<sup>(6)</sup>، ولعل هذا ما أشار إليه مالك بن أنس بقوله:

(1) الماوردي، أدب القاضي، ج1، ص196.

(2) ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، كتاب أدب القاضي، ص499.

(3) الخشني، قضاة قرطبة، ص62.

(4) المصدر نفسه، ص64.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص100.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ص30.

"كان من أدركت من القضاة لا يجلسون إلا في الرحبات خارجا،... ويستحب ذلك ليصل إليه اليهودي والحائض"<sup>(1)</sup>.

وبالرغم من أن بعض الفقهاء اشترط في مكان القضاء أن يكون في موضع بارز حتى لا يحوج إلى الاستئذان، فإننا نجد بعضهم كان يتخذ بيته مجلسا للقضاء، فنرى أن "إبراهيم بن العباس ربما جلس يقضي في بيته بين الناس، وخادمه ينسج في ناحية البيت"<sup>(2)</sup>.

ومهما تعددت مجالس القضاء فالقاضي كان يخصص لنفسه مكانا أو أكثر يعلنه للناس فيقضي فيه، فقد كان مجلس القضاء معروفا لهم.

### ثانيا: وقت القضاء:

لم يكن للقضاء وقت محدد، ولكن مع تطور الحياة المدنية، وزيادة العمران، وجدنا بعض القضاة يتخيرون بعض الساعات والأيام للقضاء، فبعضهم كان يفرغ نفسه في يوم الجمعة للعبادة والقيام بشؤون دنياه، فقد ورد عن القاضي سليمان بن أسود الغافقي أنه "لما عزل عن قضاة ماردة وافى باب القصر بقرطبة، وكتب إلى الأمير محمد -رحمه الله-: أن بيدي مالا تجمع من أرزاقى، وجب علي صرفه إلى بيت المال، وهو مما حاسبت فيه نفسي من أيام الجمع..."<sup>(3)</sup>.

والبعض الآخر كان يختار غير يوم الجمعة، فهذا المصعب بن عمران لما تولى القضاء اشترط على هشام بن عبد الرحمن "أن يأذن له في اطلاع ضيعته يومين في الجمعة: السبت والأحد، ويحكم لسائر الأيام، فأجابه إلى ذلك"<sup>(4)</sup>.

وربما تفرغ بعضهم طيلة شهر رمضان للعبادة، وامتنعوا عن الحكم، مثل محمد بن ييقى بن زرب الذي "كان لا يحكم في شهر رمضان، ويفرغ فيه نفسه للعمل والعبادة، ولم يزل مواظبا على ذلك إلى أن مات رحمه الله"<sup>(1)</sup>.

(1) القرافي، الذخيرة، ج10، ص60.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص51.

(3) المصدر نفسه، ص73.

(4) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص45\_46.

وقد يتخير بعضهم ساعات من النهار للقضاء، جاء أن محمد بن بشير المعافري "كان يقعد لسماع الخصومة من غدوة إلى قبل الظهر بساعة، ثم يقعد بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، لا يكون نظره غير السماع من البيئات، ولا يسمع من بيئة في غير ذلك الوقت...<sup>(2)</sup>، والبعض الآخر كان يجلس فترة ما قبل الظهر وفترة العشاء، حيث "قضى سعيد بن سليمان يوماً في المسجد إلى أن مضى صدر النهار، ثم قام منصرفاً إلى داره، فلما همّ بدخول الدار فإذا بوالد نصر الفتى مقبلاً وأعوانه بين يديه، وكان أعجمي اللسان، فصاح على البعد بالعجمية: كلموا القاضي يثبت عليّ أكلّمه، فقال القاضي: قولوا له بالعجمية: إنّ القاضي قد أدركته الملائة والسامة من طول الجلوس للقضاء، فإذا جلس بالعشيّ في المسجد للنظر بين الناس تعود إليه لينظر في حاجتك إن شاء الله، ثم دخل القاضي داره، ولم يقف عليه"<sup>(3)</sup>، وهذا دليل على أنّ بعض القضاة كانوا يجلسون في المسجد للقضاء، ولا ينظرون في الخصوم إلا فيه.

وقد جاء في الذخيرة أنه لا يفضل الجلوس بين العشائين، ولا يتعب نفسه فيقضي النهار كلّه، وليقعد ساعات من النهار، ولا ينبغي أن يجلس أيام النحر ويوم الفطر ويوم عرفة ويوم الطين والوحد، ويوم خروج الناس للحجّ، إلا عند الضرورة<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً: ديوان القضاء:

فقد وجد للقضاء في الأندلس ديوان خاص به، أورد الخشني عن قاضي القضاة أنه "لمّا ولي عمرو بن عبد الله القبعة القضاء أبي أن يقبض الديوان إلا من أحمد بن زياد"<sup>(5)</sup>، وكان هذا الديوان يضم ويجمع أسماء القضاة وسيرهم، ويحوي كتبهم وأجوبة الحكام إليهم، فقد جاء "وقرأت في الديوان جواب الحكم - رضي الله عنه - إلى الفرج بن كنانة"<sup>(6)</sup>.

(1) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص78.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص64.

(4) القرافي، الذخيرة، ج10، ص61.

(5) الخشني، قضاة قرطبة، ص67.

(6) المصدر نفسه، ص42.

كذلك كان يختصّ هذا الديوان بميزانية القضاء من صادرات و واردات، يقول الخشني في ترجمة قاضي القضاة سليمان بن الأسود وقد اتهم بالاختلاس: "وكان الديوان يومئذ لا شهود عليه... لو دلست في هذا المال لما أبقيت ذكره في الديوان".<sup>(1)</sup> ويظهر من هذه النصوص أن قاضي الجماعة بقرطبة هو من كان يختصّ بهذا الديوان.

#### رابعاً: استقلال القضاء:

مع أن تعيين القضاة كان بيد الحاكم غير أن القضاء حافظ على مكانته واستقلاليتها، فلم يك يوماً ألوية بيد الحكام، بل كان القضاة يقفون موقفاً صلباً في إحقاق الحقّ ورد المظالم عن أصحابها، فلم يكونوا يميّزون بين غنيّ وفقير، وحاكم ومحكوم، فالجميع أمام القضاء سواسية، فقد جاء: "وأما خطّة القضاء بالأندلس، فهي أعظم الخطط عند الخاصّة والعامّة، لتعلقها بأمور الدين، وكون السلطان لو توجّه عليه حكم حضر بين يدي القاضي..."<sup>(2)</sup>.

و كان كثير من القضاة يشترطون على الحاكم شروطاً لقبول ولاية القضاء، جاء في ترجمة محمد بن بشير المعافري أنّ الحكم بن هشام<sup>(3)</sup> استقضاه، "وقيل قضاءه على شروط: منها نفاذ حكمه على كلّ واحد، من الأمير إلى الحارس إلى السوق..."<sup>(4)</sup>، كما نجده يرفض شهادة الأمير الحكم بن هشام في خصومة عمّه، فقد كان لا يجيز الشهادة على الخطّ في غير الأحباس، ولا يرى القضاء باليمين مع الشاهد<sup>(5)</sup>.

وللقضاة مواقف حازمة مع الأمراء والخلفاء يرفضون تدخلهم في شؤون القضاء، روي أن حبيبا القرشيّ شكّا إلى الأمير عبد الرحمن بن معاوية القاضي نصر بن ظريف اليحصبيّ في

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص 85.

(2) المقرئ، نفع الطيب، مج 1، ص 217-218.

(3) هو الأمير أبو العاصي الحكم بن هشام المعروف بالربضي، ولد 180 هـ، وتوفي عام 206 هـ، كان شجاعاً أديباً خطيباً مفوهاً وشاعراً مجوداً، كما وصف بالطاغية المسرف، فهو الذي أوقع بأهل الربض الواقعة المشهورة فقتلهم، وهدم ديارهم ومساجدهم، ينظر ترجمته في:

ابن الأبار. الحلة السيرة، ج 1، ص 43-50. الضبي، بغية الملتمس، ص 19.

(4) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 47.

(5) المصدر نفسه، ص 48-51.

ضبيعة ادّعى عليه الاغتصاب لها، فأرسل الأمير إلى القاضي، وكلمه في حبيب فخرج القاضي وعمل بضد ما أراد الأمير<sup>(1)</sup>، ويحكى أن العباس بن عبد الملك المرواني اغتصب رجلا من أهل جيان ضيعته، فهلك الرجل وترك أيتاما، فلما كبروا شكوا مظلمتهم إلى القاضي المصعب بن عمران، وأثبتوا حقهم، ففزع العباس إلى الأمير الحكم بن هشام، فأوصى الحكم القاضي أن يتخلّى عن النظر في القضية ليكون هو الناظر فيها، فرفض القاضي وعقد حكمه للأيتام بالضبيعة<sup>(2)</sup>.

ولم يجامل القضاة الحكّام، بل كانوا ينصحونهم ويعظونهم، فلما ابنتى الناصر مدينة الزهراء، وانهمك في زخرفتها وإيقانها، فانشغل عن شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتّخذه ثلاث جمع متواليات، قام القاضي منذر بن سعيد بوعظه في غير مجلس حتى إنه غض منه في خطبة الجمعة<sup>(3)</sup>.

#### خامسا: ضمّ أعمال مختلفة إلى القضاء:

ولما للقضاة من مكانة مرموقة في المجتمع، ولتقّة أولي الأمر والرعية بهم، فقد شغلوا كثيرا من المناصب الحساسة التي لها صلة بمصالح الشعب، ومن أهمّها:

أوّلا: الأمانات: حيث استقضى الناصر ابن أبي عيسى قضاء البيرة "وقلّده مع القضاء أمانة البيرة والنظر في عمالها"<sup>(4)</sup>.

ثانيا: النظر في الأحساب: فقد قام القاضي سحنون بالنظر في الحسبة، وبمحاربة البدع، وبجعل الودائع عند الأمانة، "وهو أول من نظر في الحسبة من القضاة، وأمر بتغيير المنكر، وأول من فرّق حلق البدع من الجامع، وشرّد أهل الأهواء منه، وأول من جعل الودائع عند الأمانة، وكانت قبل في بيوت القضاة"<sup>(5)</sup>.

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص 23-24. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 44.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص 25-26. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 46.

(3) المقري، نفع الطيب، مج 1، ص 570-574.

(4) النباهي، تاريخ علماء الأندلس، ص 60.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 29.

**ثالثا: الصلاة وخطبة الجمعة:** وكثيرا ما كان قاضي الجماعة بقرطبة يجمع إلى ولاية القضاء الصلاة، فخطبة القضاء من أعظم الخطط قدرا ولا سيما إذا اجتمعت إليها الصلاة، فهذا قاضي الجماعة الفرّج بن كنانة "بقي قاضيا وصاحب صلاة زمانا ثم استعفى"<sup>(1)</sup>، ومنهم قاضي القضاة معاوية بن صالح "فلما قدم معاوية بن صالح من الشام على الأمير عبد الرحمن ولاه القضاء والصلاة"<sup>(2)</sup>، غير أنّ قاضي الجماعة عمرو بن عبد الله بن ليث اقتصر على القضاء ولم يجمع إليها الصلاة وذلك لاعتراض العرب عليه لأنه من الموالي<sup>(3)</sup>، ومنهم من جمع إلى قضاء الجماعة الصلاة والخطبة، حيث إنّ أحمد بن بقى بن مخلد<sup>(4)</sup> "ولي تفريق الصدقات والصلاة، ثم قضاء الجماعة مقرونا بالخطبة"<sup>(5)</sup>.

**رابعا: الاستسقاء:** وغالبا ما كان يقوم قاضي الجماعة بصلاة الاستسقاء، ففي ترجمة عنتر بن الفلاح أنّه "استسقى يوما بالناس، فأحسن في دعائه وقيامه بالخطبة..."<sup>(6)</sup>، ويتأهب القاضي قبل صلاة الاستسقاء بالقيام والصيام والإكثار من النوافل، فلما أصاب الناس القحط في أيام الناصر أمر القاضي منذر بن سعيد البلوطي "بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فتأهب لذلك، وصام بين يديه أياما ثلاثة تنفلا وإنابة ورهبة... فلم ينقض النهار حتّى أرسل الله السماء بماء منهمر"<sup>(7)</sup>.

**خامسا: صلاة الخسوف والكسوف:** وقد يتولّى القاضي صلاة الكسوف والخسوف، جاء في ترجمة قاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني: "وصلّيت صلاة الكسوف مع ابن معمر في الجامع بقرطبة..."<sup>(8)</sup>، كذلك فإنّ يحيى بن معمر "صلّى بالناس صلاة الخسوف بقرطبة"<sup>(9)</sup>.

(1) المصدر نفسه، ص54.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص17.

(3) المصدر نفسه، ص67.

(4) هو أبو عبد الله أحمد بن بقى بن مخلد، توفي عام 344هـ وقيل 324هـ، ينظر ترجمته في:

ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص38. الضبي، بغية الملتمس، ص148.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص65.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ص12-13.

(7) المقرئ، نفع الطيب، مج1، ص572.

(8) الخشني، قضاة قرطبة، ص46.

(9) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص430.

**سادسا: الصلاة على الأموات:** وكثيرا ما نجد القضاة في الأندلس يصلّون على الأموات، وفي ترجمة أبي بكر أحمد بن سعيد بن سليمان الصوفي أنه "صلى عليه القاضي أحمد بن ذكوان"<sup>(1)</sup>، وفي ترجمة أحمد بن قاسم النحويّ المعروف بابن حبيب أنه "صلى عليه القاضي أبو الوليد الزبيدي"<sup>(2)</sup><sup>(3)</sup>، ومن هنا نرى أنّ مكانة القضاة في الأندلس بلغت مبلغا عظيما، فأصبح للقاضي الصدارة في كل شيء، فلا يتقدمه أحد بحضوره.

**سابعا: الوزارة:** ومنهم من تولّى الوزارة كالقاضي أبي العباس بن ذكوان حيث إنّ الحاكم عبد الرحمن بن المنصور "رفع منزلته، وولاه الوزارة مجموعة إلى قضاء القضاة، وبقي ذلك إلى أن انقرضت دولة بني عامر بقيام المهديّ بن عبد الجبار المرواني<sup>(4)</sup> عليهم، أول ملوك الفتنة... وأزال عنه اسم قاضي القضاة، واقتصر به على قضاء الجماعة"<sup>(5)</sup>، وهنا يظهر أن لقب قاضي القضاة حلّ محل قاضي الجماعة في الدولة العامرية.

**ثامنا: الوزارة والصلاة:** وبعضهم جمع بين خطة القضاء والوزارة والصلاة، حيث إن أبا المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس "ارتقى إلى ولاية القضاء بقرطبة، مجموعا إلى خطة الوزارة والصلاة، وقلّ ما اجتمع ذلك لقاض قبله في الأندلس"<sup>(6)</sup>.

**تاسعا: السفارة والإشراف على الثغور:** وفي ترجمة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى: "كان الخليفة لا يخلّيه مع قيامه بالقضاء من تصريفه في مهمّات أموره، وإخراجه في السفارات إلى

---

(1) ابن بشكوال، الصلّة، قسم 1، ص 23.

(2) هو أبو بكر محمّد بن الحسن بن عبيد الله بن مزحج الزبيديّ الإشبيلي، أصله من حمص، كان عالما باللغة والأدب والنحو شاعرا، ولد ونشأ بإشبيلية، ثم ولي القضاء بها، وله مؤلفات كثيرة خاصة في اللغة والنحو، توفي عام 379ق، ينظر ترجمته في: السيوطي، بغية الوعاة، ص 34. الضبي، بغية الملتمس، ص 57. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 366. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج 2، ص 80-81. تحقّق: د. مفيد محمّد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1403-1983م. الحموي، معجم الأديباء، مج 9، ج 18، ص 179-184. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 417-418.

(3) المصدر نفسه، ص 52.

(4) هو أول ملوك الشيعة، توفي عام 322ق، ينظر ترجمته في:

ابن الأبار. الحلة السيرة، ج 1، ص 190-194.

(5) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 86.

(6) المصدر نفسه، ص 87.

كبار الأمراء، والأمانات إلى الثغور والأطراف للإشراف عليها، وللإعلام بمصالحها، والبنيان لحصونها، وترتيب مغازيها...<sup>(1)</sup>

**عاشرا: الخروج للحرب:** ومنهم من كان يخرج لملاقاة العدو في الغزوات، فالحسن بن عبد الله الجذامي<sup>(2)</sup> "كان كثير البدارة إلى ملاقات العدو بنفسه"<sup>(3)</sup>، كما "غزا معاوية بن صالح وهو قاضي الجماعة مع الأمير عبد الرحمن غزاة سرقسطة..."<sup>(4)</sup>.

**حادي عشر: الشرطة والسكة والمواريث:** ولعل هذه الخطط لم تجتمع يوما لغير المنصور بن أبي عامر وذلك في أيام المستنصر الأموي فقد "ولي الشرطة والسكة"<sup>(5)</sup> والمواريث، والسكة يومئذ أعلى الخطط في الإفادة، وقرن له بهذا كله القضاء بإشبيلية<sup>(6)</sup>، ولأهمية دار السك فإن الإشراف الأعلى عليها كان مسؤولية القاضي لإشاعة الثقة في المعاملات ولضمان شرعية الدنانير أو الدراهم التي تصدر بأسماء السلاطين والحكام من حيث العيار والوزن.

---

(1) المصدر نفسه، ص60.

(2) وهو أول قضاة الدولة العامرية بكورة رية، وتوفي عام 392م.

(3) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص82.

(4) الخشني، قضاة قرطبة، ص18.

(5) ويقصد بها فن ضرب العملة، وتعرف بدار السك أو الضرب، وكان يتولى عليها رئيس مسؤول. ينظر في:

عطية الله، أحمد. القاموس الإسلامي، مج3، ص399-400. ط1، دار النهضة المصرية، القاهرة: 1390-1970م.

(6) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم4، ص60.

## الفصل الثاني

### الأغراض الشعرية لقضاة الأندلس

- الشعر من منظور الإسلام
- الوصف
- الشوق والحنين
- المديح
- الهجاء
- الفخر
- الرثاء
- الشكوى
- الغزل
- الاستصراخ
- العلم
- الزهد
- الإخوانيات والمراسلات
- الأخلاق

## الشعر من منظور الإسلام

رأيت قبل أن أتناول الأغراض الشعرية التي تناولها القضاة في الأندلس أن أبين موقف الإسلام من الشعر، حتى أرى إن كان هؤلاء القضاة في قرضهم الشعر قد جانبوا روح العقيدة الإسلامية السمحاء أم سايروها.

فقد اهتمّ الدارسون قديما وحديثا بموقف الإسلام من الشعر، وأثيرت حوله عدّة تساؤلات: ما حكم التعاطي مع الشعر نظما واستماعا ورواية في الإسلام؟، وهل ضعف الشعر بمجيء الإسلام؟، وهل هناك تعارض بين الشعر والدين؟، وفي هذا ينبغي لنا أن ندرس الشعر على مستويين: مستوى المعاني، ومستوى الشكل والفنّ الأدبي، لقد جاء الإسلام بنظام جديد، وقيم روحية وعقلية واجتماعية وإنسانية نبيلة، فسمت بالإنسان عن مواطن القبح والرذيلة إلى معارج السموّ والرفعة والأخلاق، فحرّم الإسلام كثيرا من الأفعال والأقوال، حرّم الكذب والغش والخبيثة والنميمة، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، والسبّ والشتم وإيذاء الآخرين، كلّ هذا لم يكن مقصورا على لون معيّن من ألوان الكلام وفنون القول دون آخر، فكان واقع الشعر كواقع غيره من الكلام وفنون النثر.

والدارس لأشعار شعراء العصر الإسلامي يرى كثرة الشعراء المخضرمين، ولا يخفى علينا موقف الرسول من الشعر والشعراء، فقد اتخذ حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة مدافعين عن الإسلام ورسوله أمام شعراء قريش، وقد استعطف كعب بن زهير الرسول بقصيدته التي ألقاها على مسمعه في المسجد النبويّ، فعفا عنه، وخلع عليه بردته، "كلّ ذلك معناه أنّ الإسلام لم يبتط عن الشعر إلا حين وقف معارضا لدعوته، أمّا بعد ذلك فقد كان يرتضيه ويستحسنه"<sup>(1)</sup>. ونجد في القرآن الكريم مهاجمة للشعراء في قوله تعالى: "والشُعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا"<sup>(2)</sup>، ونرى في هذه الآية أنّها

(1) ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربيّ 2، العصر الإسلاميّ، ص45. ط6، دار المعارف بمصر: 1963م.

(2) الشعراء. آية 224-227.

جاءت بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فلم تهاجم الشعراء كافة، وإنما هاجمت الشعراء الذين كانوا يقصدون الرسول الكريم بالسبّ والإيذاء، ولم يهاجم الشعر لذاته، وإنما هوجم لتلك المعاني السيئة.

ونجد للأستاذ عبد الله حمادي في دراسته (الدين بمعزل عن الشعر) رأياً مغايراً وجديداً في هذه الآية، حيث يقول: "إنّ الآية الكريمة التي تكون وردت لتحديد الخاصّ فقد باتت اليوم تعني العام، نظراً لصلاحية القرآن لكل زمان ومكان، فإذا كان الله تعالى بموجب صريح آية العموم هذه أجاز للشعراء أن يقولوا ما يريدون، فقد فعل هذا الامتياز الضمني، فعله في مسيرة الأدب اللغويّة والنقدية، فقد أجاز اللغويّون للشعراء بدورهم ما لا يجوز لغيرهم، وهم مكرهون على ذلك، وبقيت بذلك أبواب الضرورات الشعرية مفتوحة أمام الشعراء، جمعت فيها مخالفتهم للقواعد النحويّة والصرفيّة وحتى اللغويّة، وقدروها أنها ارتكبت تحت طائلة الضرورات التي تبيح المحظورات قياساً..."<sup>(1)</sup>، وهو يكرس مبدأ الدين بمعزل عن الشعر، فقد جعل للشعراء إجازات خاصّة، لا لشيء سوى لأنّ الشعر أدرج ضمن الامتيازات الخاصة التي لا يحاسب فيها الشعراء على أقوالهم<sup>(2)</sup>.

ونجد القاضي الجرجاني يشير إلى الفكرة نفسها، فيقول: 'فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخّر الشاعر، لوجب أن يمّحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدّت الطبقات، وكان أولاهم بذلك أهل الجاهليّة، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبير وأضرابهما ممن تناول رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- وعاب من أصحابه بكما خرسا، وبكاء مفحمين، ولكنّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر"<sup>(3)</sup>، وجدير بالذكر أنّ هذا الرأي لا يبعد عن الصواب، ولئن كنّا لا نطلقه على عمومه، ولا نعطي الإجازة للشعراء كاملة ليقولوا ما يحلو لهم، بل تبقى هناك ضوابط ومعايير ينبغي على الإنسان التقيد والتحلّي بها، سواء أكان شاعراً أم غير ذلك.

(1) حمادي، عبد الله: الدين بمعزل عن الشعر. نزوى، 2001/26، ص85.

(2) ينظر: المرجع نفسه. ص81.

(3) الجرجاني، القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبّي وخصومه، ص58. تحقيق: أحمد عارف الزين. مطبعة الفرقان، صيدا: 1331.

ونحن في كل ذلك نرى فئات مختلفة ممن يشهد لهم بحسن إسلامهم وأخلاقهم، لا يحجمون عن قول الشعر والسماع له وروايته، فقد كان للخلفاء الراشدين أشعار، فلسيدنا أبي بكر قصيدة من خمسة عشر بيتاً يقول في مطلعها:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث      أرقّت أوامر في العشيرة حادث

"الطويل"

وكان سيدنا عمر - رضي الله عنه - من أنقد أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه معرفة، ومن شعره:

توعدني كعب ثلاثا يعدها      ولا شك أن القول ما قال لي كعب  
وما بي خوف الموت إني لميت      ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

"الطويل"

ومن شعر سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :

غنى النفس يُغني النفس حتى يكفها      وإن عضها حتى يضر بها الفقر  
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها      بكائنة إلا سيبتعاً يسر

"الطويل"

وكان سيدنا عليّ -كرم الله وجهه- مجوداً في الشعر، وهو القائل بصفين:

لمن راية حمراء يخفق ظلها      إذا قلت قدمها حصين تقمما  
فيوردها في الصف حتى يرد<sup>(1)</sup> بها      حياض المنايا تقطر الموت والدماء

"الطويل"

ف نجد هذه الأشعار ذات معان سامية، ولا تضر بعقيدة هؤلاء الخلفاء، كما كان لطبقة الفقهاء والقضاة نصيب وافر من الشعر، فقد كان القاضي شريح بن الحارث شاعراً مجوداً، وقد

(1) سکن الفعل للضرورة الشعرية، وكان حقّه النصب.

استقضاه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -، وكتب إلى مؤدّب ولده ، وقد وجده يلعب بجر و  
كلب وقت الصلاة، وأودع الأبيات رقعة، وبعثها مع ولده مختومة إلى المؤدّب:

تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْلِ يَسْعَى بِهَا	طَلَبَ الْهَرَّاشِ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجْسِ
فَلْيَأْتِيَنَّكَ غُدْوَةٌ بِصَحِيفَةٍ	كَتَبْتُ لَهُ كَصَحِيفَةِ الْمُتَمَسِّسِ
فَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ فَبَدْرَةٍ	وَإِذَا بَلَغْتَ بِهِ ثَلَاثًا فَاحْبَسِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا أَتَيْتَ فَنَفْسُهُ	مَعَ مَا يُجْرَعُنِي أَعَزَّ الْأَنْفُسِ <sup>(1)</sup>

"الكامل"

ونحن نلاحظ مدى اهتمام القاضي بفرائض الإسلام، ومقدار عنايته بتأديب ولده، وتربيته التربوية  
الإسلامية الصحيحة، كما نلمس من هذه الأبيات الطابع والأثر القضائي، فهو يقضى بتعزيز ولده  
ويحكم عليه بأن يضرب بالعصى ويحبس.

ومن كلّ هذا نجد أنّ الشعر لم يكن قاصيا عن الدين والمسلمين، ولم يتحرّجوا يوما من  
نظمه، ولم يكن الشعر عارا على قضائنا، ما دام ملتزما بأحكام الإسلام وآدابه.

وبعد، فهذه مقدّمة رأيت مناسبا أن أمهدّ بها، ولنعد الآن إلى الأغراض الشعرية لقضاة

الأندلس.

---

(1) الأبيات التي وردت سابقا، تنظر في: القيرواني، أبو عليّ الحسن بن رشيق. العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج2،  
ص12-19. ط1، تصحيح: السيّد محمد بدر الدين النعسانيّ الحلبيّ. محلّ محمد أمين الخانجيّ الكتبيّ وشركاه بمصر:  
197-1325م.

## الوصف

لم يكن الوصف قديماً غرضاً مستقلاً بنفسه، فلم يعدّه النقاد من أغراض الشعر الأساسية، بل كان يأتي حشواً في ثنايا الأغراض الشعرية التقليدية من غزل ومديح ورناء وهجاء، وهو ما يصطلح الدكتور إسماعيل شلبي على تسميته بالثنائية<sup>(1)</sup>، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أنّ الوصف عنصر أصيل يدخل في جميع الأغراض الشعرية، "إذ المديح نوع من وصف خصال المحبوب، والرناء ضرب من وصف مناقب الفقيد، والغزل نمط من وصف محاسن المرأة"<sup>(2)</sup>.

وأما في العصر الأندلسي فإننا نجد شعراءه "يقتفون أثر الشعراء المشارقة، ولذلك كانت فنون الشعر تتضح في الأندلس بعد أن تكون قد بلغت أوجها في المشرق، ففي القرن الرابع الذي بلغ فيه وصف الطبيعة ذروته في حلب، وأصبحت مدارس الروضيات والزهريات والتلجيات والمائيات في أوج إبداعها، كانت هذه الأغراض لا تزال تحبو في محاولات فردية على ألسنة شعراء الأندلس وقرائحهم"<sup>(3)</sup>، وبدأ يأخذ تميّزه ولكن دون أن يصل أوجهه، فكثيراً ما كان يقتصرن ببقاى الأغراض الشعرية لا سيما شعر المتعة الحسية كالخمر والغزل.

ونستطيع القول إنّ وصف الطبيعة أخذ يتسّم مكان الذروة في القرن الخامس الهجري، لذلك فإننا نجد الوصف إلى جانب ثنائيته غرضاً مستقلاً بذاته على شكل مقطوعات، ولم يقف الوصف عند هذا الحدّ بل أصبح يحلّ محلّ أبيات النسيب في قصائد المديح<sup>(4)</sup>، ويصطلح الدكتور شلبي على تسميته بالإنفرادية<sup>(5)</sup>، وذلك لدواعي تجاوب الشاعر الأندلسي مع بيئته الجديدة التي تعلّق بها وحضارته العريقة التي ارتبط بها، والتي كانت مثار افتتان الشعراء بها، فاستهوت أفئدتهم واستثارت عواطفهم ومشاعرهم، ففاضت قرائحهم تجاه محاسن هذه الطبيعة وجمالها ببديع القول ومحاسنه، فقد ربطوا الطبيعة بالموضوعات الأخرى، كما كان لحياة اللهو

---

(1) شلبي، د. أسعد إسماعيل. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف -، ص 177. نهضة مصر، القاهرة: 1978م.

(2) الدقاق، د. عمر. ملامح الشعر الأندلسي، ص 206. دار الشرق، بيروت: 1975م.

(3) الشكعة، د. مصطفى. الأدب الأندلسي - موضوعاته وفنونه -، ص 249. ط2، دار العلم للملايين، بيروت: 1975م.

(4) المرجع نفسه، ص 251-256.

(5) شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص 177.

والاستمتاع التي عاشها أهل الأندلس أبلغ الأثر في ظهور غرض الوصف وانتشاره<sup>(1)</sup>، فالإنسان ابن بيئته، ولا يمكن نزعه من الوسط الذي يعيش فيه، أو القول بسلبية البيئة والطبيعة تجاهه، وفي ذلك يقول أبو إسحق إبراهيم بن خفاجة شاعر الطبيعة الأكبر في الأندلس:

يا أهل أندلس لله دركمُ      ماء وظلّ وأنهار وأشجارُ  
ما جنّة الخلد إلا في دياركمُ      ولو تخيّرت هذا كنت أختارُ  
لا تخنثوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا      فليس تُدخل بعد الجنّة النار<sup>(2)</sup>

"البسيط"

ونحن في دراستنا لأشعار القضاة في الأندلس نقسم الوصف إلى قسمين:

أولاً: الطبيعة الصامتة:

1- الطبيعة المطبوعة: ونقصد بها المناظر والظواهر التي لم يشكلها الإنسان، ولم تكن له قدرة التأثير فيها والتحكم بها، كالصحاري والفيافي والبحار والأنهار والأمطار وغيرها، ونجد لهذه المظاهر أبلغ الأثر، وذلك بحكم التضاريس والمناخ الأندلسي، فالقاضي الشاعر عباس بن ناصح<sup>(3)</sup> يصف السراب وسط الصحراء فيقول:

قَطَعْتُ بِهَا خَرَقًا كَأَنِّي وَالْهُ      أَمَامِي وَخَلْفِي رَاكِبٌ لُجَّةَ الْبَحْرِ<sup>(4)</sup>

"الطويل"

ويصف طول ليله، فيقول:

---

(1) عتيق، عبد العزيز. الأدب العربي في الأندلس، ط2، ص291-292. دار النهضة العربية، بيروت: 1396-1976م.  
(2) ابن خفاجة. ديوان ابن خفاجة، تحقيق: كرم البستاني، ص17. دار صادر، بيروت، بيروت: 1381-1961م.  
(3) هو أبو العلاء عباس بن ناصح الجزيري النقي الأندلسي، من أهل العلم واللغة، ومن الشعراء المجودين، نشأ بمصر، وتردد على الحجاز طالبا العلم، ثم رحل إلى العراق، فلقى الأصمعي وغيره من علماء البصريين والكوفيين، ثم رحل إلى الأندلس، وولي قضاء الجزيرة مع شذونة، وتوفي بعد الثلاثين والمائتين. ينظر ترجمته في: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص239. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص644-646.  
(4) الطبيب، أبو عبد الله محمد بن الكتاني. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص170. تحقيق: د. إحسان عباس، دار الشروق، بيروت والقاهرة.

فبتُّ أرقبُ صُبْحاً سُدَّ مَطْلِعُهُ  
 كأنَّهُ ونجومُ الليلِ قدْ جُعِلَتْ  
 راعٍ تَلَبَّثَ قدْ أوصى بصرْمَتِهِ  
 يا ليلُ أصْبِحْ ويا صُبْحُ استترْ فلقدْ  
 فلا أرى الليلَ عن مرقاته انصدعا  
 تهوي على السَّمْتِ منها غُوراً خضعا  
 أُخرى الرِّعَاءِ يُرَجِّي سائقا هُبعا  
 أبرحتماني فإنْ لم تفعلَا فدعا<sup>(1)</sup>

### "البسيط"

فقد عاش في القرن الثالث، حيث لم يكن الوصف بعد انفراديا مستقلا بذاته، فجاء وصفه عرضا تقليديا، وقد اعتمد على التشبيه، ففي البيت المستقل يصور نفسه وقد أحاط به السراب من كل جانب بأنه في وسط البحر تحيط به المياه من كل جانب، ويصف في المقطوعة طول ليله ويصور النجوم التي لا تغيب من السماء فتبقى حركتها وثيدة وبطيئة، يصور ذلك بقطيع الغنم أول نتاجه وآخره، فيمشي أول النتاج (الأمهات) ببطء شديد متمهلة حتى يعقبها ويلحق بها آخر النتاج (صغار الغنم)، وهي صورة رائعة طريفة، ونجد ألفاظه جزلة، ومعانيه مستوحاة من البيئة الصحراوية الجاهلية، فلم توح بالحضارة والطرافة، فشاعرنا يشكو من طول ليله فهو يقاسي الأحزان والشدائد والسهر الناجم عنهما، فجاءت ألفاظه ومفرداته معبرة عن أحاسيسه وعواطفه (أرقب، سد، انصدعا، تهوي، تلبث، يا ليل، أبرحتماني، فدعا)، ولعلّه متأثر في ذلك بقول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله  
 فقلت له لَمَّا تمطى بصلبه  
 ألا أيها الليل الطويل ألا انجل  
 فيا لك من ليل كأن نجومه  
 عليّ بأنواع الهموم ليبتلي  
 وأردف أعجازا وناء بكلكل  
 بصيح وما الإصباح منك بأمثل  
 بكل مغار الفتل شدت بيذبل<sup>(2)</sup>

### "الطويل"

(1) الطبيب. كتاب التشبيهات، ص138.

(2) الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد. شرح المعلمات السبع، ط2، ص34-36. دار الجبل، بيروت، مكتبة المحتسب، عمان: 1972م.

والقاضي أبو الوليد يونس بن الصفار<sup>(1)</sup> الذي عاش في أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس يشخص الديار - وقد سقتها السحب فنبتت الورود والأزهار - فيصورها بالأناس الذين يكسون البرود وحلل الثياب:

ديارٌ عليها منْ بشاشةِ أهلها      بقايا تسرّ النفس أنسا ومنظرا  
رُبوعٌ كساها المزنُ منْ خلعِ الحيا      برُودا وحلاها منْ النورِ جوهرًا  
تسرُّكٌ طورا ثمَّ تشجوكَ تارةً      فنرتاحُ تأنيسا وتشجى تذكرا<sup>(2)</sup>

"الطويل"

وهكذا فإننا نجد الوصف على لسان ابن الصفار في هذه الفترة قد أكتمل واستقل في مقطوعة معتمدا على التصوير والتشبيه، فالمعاني توحى بالحضارة والطرافة، وجاءت الألفاظ والتراكيب سهلة وبسيطة تعكس إحساس الشاعر المرهف بجمال الطبيعة.

2- الطبيعة المصنوعة: لئن أكثر شعراء الأندلس من وصف جماداتهم الصامتة من قصور وبرك وتمائيل وآلات حرب وأساطيل بحرية وغيرها في ثنايا أغراضهم الشعرية، إلا أنهم استقلوا من وصفها في قصائد أو مقطوعات شعرية مستقلة، وكل ما وجدناه في أشعار القضاة هو وصف انفرادي للطبيعة المصنوعة، وهو قول القاضي أبي الوليد الباجي يصف قلما:

وأسمرَ ينطقُ في مشيهِ      ويسكتُ مهما أمرَ القلمُ  
على ساحةٍ ليلها مشرقٌ      منيرٌ وأبيضها مدلهمُ  
وشبهتها ببياضِ المشيب      يخالطُ نورَ سوادِ اللمم<sup>(3)</sup>

"المتقارب"

(1) هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث المعروف بابن الصفار، قلده الأمير هشام بن محمد المرواني قضاء الجماعة بقرطبة عام 419هـ، كان زاهدا فاضلا يميل إلى التصوف، وله تصانيف عديدة، ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتمس، ص447. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص360.

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص291.

(3) ابن بسام، الذخيرة، مج1 قسم2 ص98.

فالقاضي يشخص القلم بالإنسان الذي ينطق، كما يستعير عن سواد الصحيفة بالليل والإشراق، ويصور بياض الصحيفة الذي يخالط سواد المداد بالشيب الذي يخالط سواد الشعر، وطبيعي أن يحتل القلم مكانة في أشعار القضاة، فقد كان يشترط فيهم أن يكونوا من أهل العلم والاجتهاد، فالقلم ذو صلة وثيقة بالقاضي، والذي يمثل بدوره لسان العلم والمعرفة، وجدير بالذكر أن مثل هذا الوصف لا ينبع من إحساس وشعور عاطفي، بل هو أقرب ما يكون إلى الفكر العقلي والمنطقي، فكانت الصورة جامدة غير نابضة.

ولعل سائلا يسأل عن سبب اقتصار أشعار القضاة في الطبيعة المصنوعة على مثل هذا الوصف، وأغفلوا ما كان سائدا من وصف للقصور والبرك والتمائيل وغيرها، ونقول: إن مثل هذا الوصف لم يكن مقصودا لذاته، وإنما كان يتخذ وسيلة إلى المدح والثناء على أصحابها الخلفاء والأمراء، وهذا ما لم يكن يشتغل به القضاة فضلا عن زهدهم في الدنيا، بل على العكس من ذلك، كانوا يستقلون بالقضاء بعيدين عن مظاهر الترف والنعيم، "فالعالم يوجه إلى أخطر ملوك الأندلس فضلا عن عامتهم من أسباب النصح وأساليب الزجر إذا اقتضى الأمر ما لم يسبق له مثل في تاريخ الحياة الثقافية الإسلامية"<sup>(1)</sup>، وفي ذلك نرى القاضي منذر بن سعيد البلوطي يعظ الأمير الناصر بسبب انشغاله ببناء مدينة الزهراء وزخرفتها وتزيينها، وزهوه وإعجابه بها:

يا باني الزهراء مستغرقا      أوقاتهُ فيها أمّا تمهّل  
لله ما أحسنها رونقا      لو لم تكن زهرتها تذبل<sup>(2)</sup>

"السريع"

فهو يناشده أن يتمهل، ويذكره بأنها على الرغم من حسنها وجمالها ستذبل وتنتهار يوما من الأيام، وهذا حال نعيم الدنيا، بينما نعيم الآخرة وعمارتها باقيان.

(1) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص 98.

(2) المقري، نفح الطيب، مج 1، ص 576.

## ثانياً: الطبيعة المتحركة:

1- النبات: نظراً لما تمتاز به الطبيعة الأندلسية من خصوبة أراضيها وغناها، وتعدد ألوان نباتاتها، وظهور نباتات وحيوانات لم تكن معروفة في الجزيرة العربية، ومع تمدن الإنسان وحضارته اهتم بوصف الرياض والأزهار والأشجار، وتميز في ذلك، واستقل بها في أشعاره، ونحن في دراستنا هذه لم نجد للقضاة أشعاراً في ذلك سوى للقاضي محمد بن إسماعيل بن عباد الذي يكثر من وصف زهرة الياسمين، وهي من بين الأزهار كلها أعجب بها الملوك والخلفاء والأمراء<sup>(1)</sup>، فيشبهه شجرة الياسمين بمطرف أخضر:

وياسمين حسن المنظرِ      يفوق في المرأى وفي المخبرِ  
كأنها<sup>(2)</sup> من فوق أغصانهِ      دراهم في مطرف أخضر<sup>(3)</sup>

"السريع"

فقد أعجب القاضي ابن عباد بهذه الزهرة، فهو يتحدث عن جمال الياسمين منظراً ومخبراً، ويصور أزهاره البيضاء -داخل أوراقه الخضراء- بالدرهم البيضاء في المطرف الأخضر، ويؤكد هذه الصورة بأشكالها مجسداً الجمال على هامة الياسمين بقوله:

يا حبذا الياسمينُ إذ يزهرُ      فوق غصونٍ رطبيةً نُضَّرُ  
قد امتطى للجبالِ ذروتها      فوق بساطٍ من سندسٍ أخضرُ  
كأنه والعيونُ ترمقهُ      زُمردٌ في خلالهِ جوهر<sup>(4)</sup>

"المنسرح"

ويقول في زهرة الظيان، وهي الياسمين البري ذو الزهرة الصفراء:

(1) الشكعة. الأدب الأندلس موضوعاته وفنونه، ص283.

(2) وردت في المصدر (كأن) وبها لا يستقيم الوزن.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ج1، قسم2، ص23. ابن الأبار، الحلة السبراء، قسم2، ص38.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ج1، قسم2، ص23. ابن الأبار، الحلة السبراء، قسم2، ص39. المقري، نوح الطيب، ج4، ص242.

كَأَنَّ لَوْنَ الظِّيَّانِ حِينَ بَدَا      نَوَّارَهُ أَصْفَرَا عَلَى وَرْقِهِ  
لَوْنٌ مَحَبٌّ جَفَاهُ ذُو مَلَلٍ      فَاصْفَرَّ مِنْ سُقْمِهِ وَمِنْ أَرْقِهِ<sup>(1)</sup>

"المنسرح"

فيصور اصفرار لون هذه الزهرة باصفرار لون وجه المحب، ويقول فيها أيضا، وقد  
سُقيت بماء السحاب واصفا إياها بالذهب الأصفر:

تَرَى نَاصِرَ الظِّيَّانِ فَوْقَ غَصُونِهِ      إِذَا هُوَ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ يَغْتَذِي  
وَحَفَّتْ بِهِ أَوْرَاقُهُ فِي رِيَاضِهِ      وَقَدْ قُدَّ بَعْضٌ مِثْلَ بَعْضٍ وَقَدْ حُدِّي  
كَصْفَرٍ مِنَ الْيَاقُوتِ يَلْبَسُ فِي الضُّحَى      مَنْضَدَةً مِنْ فَوْقِ قُضْبِ الزَّمْرَدِ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

ويقول في زهرة النيلوفر، فيصورها بكأس من اللؤلؤ في وسطه خرزة سوداء:

يَا نَاطِرِينَ لَذَا النَّيْلُوفِرِ الْبَهَجِ      وَحُسْنَ مَخْبَرِهِ فِي الْفَوْحِ وَالْأَرْجِ  
كَأَنَّهُ جَامٌ دُرٌّ فِي تَأْلُقِهِ      قَدْ أَحْكَمُوا وَسَطَهُ فَصَا مِنَ السَّبَجِ<sup>(3)</sup>

"البسيط"

والقاضي ابن عباد يبدع في وصف هذه الورود، ويستخدم التصويرات والتشبيهات  
الرائعة، فقد عاش في أوج ازدهار هذا الغرض، فضلا عن حياة النعيم والرخاء التي عاشها في  
ظل ثراء عائلته، فجاءت تراكيبه سهلة خالية من التعقيد ومفرداته طريفة موحية بالثراء والعز  
والجاه والسلطان (دراهم، سندس، زمرد، جوهر، الياقوت، درّ، السبج "اللؤلؤ").

(1) ابن الأبار، الحلة السبراء، قسم 2، ص 39.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ج 1، قسم 2، ص 23. ابن الأبار، الحلة السبراء، قسم 2، ص 39.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 134. الضبي، بغية الملتبس، ص 101. ابن الأبار، الحلة السبراء، قسم 2، ص 39.  
المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 228.

وبهذا فإننا إذا ما استثنينا القاضي ابن عباد، فإنّ القضاة لم ينشغلوا في وصف جمال هذه الطبيعة، ولعل سبب ذلك يعود إلى طبيعة القضاة الذين لم يكونوا يحتفلون بمثل هذه المظاهر، بل انشغلوا عنها بأمور الدين والقضاء، أما ابن عباد فإنّ القضاء لديه لم يك مهنة بل كان فترة مؤقتة وعابرة انتهت به إلى الاستقلال بملك مدينة إشبيلية.

2- **الحيوان:** ولم يكثر القضاة أيضا من وصف الحيوان، وكلّ ما عثرنا عليه هو قول عباس بن ناصح يصف طيور الحدج وهو يرفع أجنحته وسط السراب، فيصورها بالسفن التي يقودها الملاحون عائمة في وسط البحر.

تعوّم أحداجهم في الآلِ رافعةً      عومَ السفائنِ تُرْجِيها نَوَاتِيها<sup>(1)</sup>

"البسيط"

وعلى الرغم من استخدامه المفردات المعجمية الموروثة إلا أننا نجد في الصورة نوعا من الجدة والطرافة التي تتمّ عن الأثر الذي تتركه البيئة في شعرائها ومدى تعلّقهم بها.

ولم يغفل الأندلسيون وصف الحشرات كالبقّ والبرغوث والذباب والعقرب<sup>(2)</sup>، فمنذ القرن الرابع تحدّث الشعراء عن الحشرات من أجل إثبات القدرة الفنية وإضحاك الجمهور المتعطش للضحك والاستمتاع، ولهذا جاء شعرهم في الحشرات التي ذكروها جديدا في أسلوبه ومنهجه، ولم نشاهده بهذه الصورة الطريفة الضاحكة من قبل<sup>(3)</sup>، وفي ذلك يقول القاضي أبو عمر يوسف بن عبد البرّ يصف ما لاقى من البعوض بإشبيلية في الشرف، وفي مدينة قبتور ومدينة قبطيل<sup>(4)</sup>، وذلك أثناء مبيته بها، وما منه يلقي أهل المدينة أيضا:

(1) الطبيب، كتاب التشبيهات، ص170.

(2) الشكعة. الأدب الأندلسي، ص247.

(3) أبو حاتم، نبيل خليل. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص283. دار الثقافة، الدوحة: 1985م.

(4) الشرف: جبل واسع عريض، غربي إشبيلية بالأندلس. قبتور: وتسمى كبتور أيضا قرية كبيرة من أعمال إشبيلية. القبطيل: وتعرف أيضا بالعسكر، وهي مدينة على شاطئ البحر بإشبيلية. ينظر صفحة جزيرة الأندلس من الروض المعطار للحميري، ص149، 101.

بعوضُ قَبْتورَ والقَبْطيلِ والشرفِ  
 فمنُ مثيرِ دخانِ يستجيرُ بهِ  
 قدْ غَيَّبَ الرأسَ والرجلينِ مستترا  
 ويَلِي منَ الجرجسِ المَثْيِيِّ عَقْرِبُهُ  
 قدْ آذنتُ بذهابِ النفسِ والتلفِ  
 وأخرِ مُخْتَفٍ في الثوبِ ملتَحِفِ  
 بالببيتِ منْ طَرْفٍ فيهِ إلى طَرْفِ  
 ينصبُّ مثلَ عَقَابِ جاعٍ مختَطِفِ  
 خرطومُهُ كسنانٍ لا يقومُ لهِ  
 ثوبٌ مُثْنَى ولو كانَ منَ الخَرْفِ  
 يا وَيْلَهُ منْ عدوٍّ لستَ تدْفَعُهُ  
 إلا بلطمٍ على الأعضاءِ منصَرِفِ  
 نفى البعوضُ أناسا منْ مساكنِهِمْ  
 على البحيرةِ في غَرْبٍ منَ الشَّرَفِ<sup>(1)</sup>

"البيسط"

فيذكر القاضي أنّ هذا البعوض حرم الناس طيب النوم والعيش، فهم يستخدمون كلّ الوسائل لدرئه، فلا يجدي معه شيء فهو صاحب الطبع العنيد، ويصفه وصفا دقيقا في منتهى الإبداع والروعة، كما يظهر في البيتين الرابع والسادس، كذلك يختار المعاني الرقيقة واللطيفة، وهو في كل ذلك يجمع بين البراعة والطرافة والفكاهة، وقضاة الأندلس كعامتهم كانت لديهم روح من الفكاهة والدعابة، ولكنها لا تخدش الدين والأخلاق.

وبهذا فإننا نخرج بأهم سمات شعر الوصف لدى القضاة:

1. لم يحفل القضاة بالوصف، وكل ما جاء لا يعدو كونه محاولات ضيقة لا تتناسب وكمّه لدى شعراء الأندلس، وعلى الرغم من ازدهاره وشيوعه لديهم إلا أن القضاة انشغلوا عنه بأمور القضاء، وكان زهدهم سببا في انصرافهم عنه.
2. نهج القضاة في الوصف نهج معاصريهم من شعراء الأندلس، وكانت أشعارهم على شكل مقطوعات، فكان "شعر الطبيعة يخرج عن مألوف الشعر العربي من حيث الابتعاد

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم 2، ص 104\_105.

عن القصيدة إلا في حالات قليلة، ويعمد الشاعر إلى قول المقطوعة التي تستوعب طاقة خياله، وتصور عطاء شاعريته، غير عابئ بعدد الأبيات، أو النظام التقليدي للقصيدة<sup>(1)</sup>.

3. احتقلت أشعارهم في الوصف بالصورة الفنية، شأنهم في ذلك شأن باقي الشعراء.

4. على الرغم من أنّ الوصف كان يقترن عند شعراء الأندلس بفن آخر من فنون شعر المتعة الحسية ونطاق الغزل أو الخمر أو الغلمان<sup>(2)</sup>، إلا أنه عند القضاة كان بعيدا عن الفسق والمجون، مستقلا بذاته.

---

(1) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص255.

(2) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص252.

## الشوق والحنين

لم ينس عرب الأندلس في يوم من الأيام مواطنهم في المشرق، بل بقيت ذكراها عامرة في قلوبهم، فتنقادهم الأشواق وتشجيهم الذكريات، ومن هنا نرى الأندلسيين يحتذون حذو المشاركة في شعر الحنين، فلحقوا بهم وتفوقوا عليهم في هذا الفن كما وكيفا<sup>(1)</sup>، وكما مرّ بنا في الفصل الأول من هذا البحث حول علوم القضاة ورحلاتهم فإن الناظر في كتب تاريخ القضاة الأندلسيين يجدها مليئة بالرحلات العلمية والدينية إلى بلاد المشرق، حتّى إنّنا من الصعوبة بمكان أن نجد قاضيا أندلسيا خلت حياته من رحلة<sup>(2)</sup>، وبهذا كانت رحلات القضاة عاملا إضافيا لأشعار الحنين، الأمر الذي يجعلنا نجد في أشعارهم كما غير قليل يصفون فيه رحلاتهم هذه، وما يختلج في أنفسهم من شوق وحنين إلى الأهل والديار، مبيّنين في ذلك مدى الألم والعناء من مرارة الفراق التي لحقت بهم، وبذلك كان شعر الحنين غرضا بارزا عند شعراء الأندلس، ولعلّ الأمير عبد الرحمن الداخل هو أول من وصف تجربته في ذلك فقال:

تبدّت لنا وسط الرّصافة نخلةً      تتأعت بأرض الغرب عن بلد النخلِ  
فقلت: شبيهي في التغرّب والنوى      وطول التناهي عن بنيّ وعن أهلي  
نشأت بأرض أنت فيها غريبة      فمئتك في الإقصاء والمنتأى مثلي  
سقتك غواذي المزن من صوبها الذي      يسحّ ويستمرّي السماكين بالوبل<sup>(3)</sup>

"الطويل"

ونجد القاضي أبا الوليد بن الفرزي<sup>(4)</sup> الذي عاش في نهايات القرن الرابع يصور معاناته من فراق أهله، فهو لا يستلذّ الحياة بعيدا عنهم، وأنّ طول هذا الفراق لم ينسه الأحباب،

(1) عتيق. الأدب العربيّ في الأندلس، ص273.

(2) ينظر: المقرّي. نفع الطيب، ج2، الباب الخامس، ص5-704، ج3، الباب السادس.

(3) ابن الأثير. الحلة السيراء، ج1، ص37.

(4) هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزديّ المعروف بابن الفرزي، مؤرخ وحافظ وأديب، ولد بقرطبة عام 351ق، وتولّى قضاء بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني، وتوفي عام 403ق، ينظر ترجمته في:

ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج3، ص105-106. الضبي. بغية الملتبس، ص290-291.

بل كان يجدد له ذكراهم، فكان الأمل في اللقاء يخفف عنه هذه المعاناة فيستسهل البرّ والبحر،  
فيقول:

مضت لي شهورٌ منذ<sup>(1)</sup> غبتُم ثلاثةً      وما خلّتني أبقى إذا غبتُم شهرا  
وما لي حياةٌ بعدكم أستلذها      ولو كان هذا لم أكن بعدها حرا  
ولم يسلني طول التناهي عليكمُ      بلى زادني وجدا وجدد لي ذكرى  
أعلل نفسي بالمنى في لقائكمُ      واستسهل البرّ الذي جبتُ والبحرا  
وتالله ما فارقنكم عن قلى لكمُ      ولكنها الأقدارُ تجري كما تجرى  
رعتكم من الرحمن عينٌ بصيرةٌ      ولا كشفت أيدي الردى عنكم ستر<sup>(2)</sup>

"الطويل"

ويختتم قصيدته بإيمانه بالقضاء والقدر، وأن لا مناص منه، كما يسأل الله أن يحفظ أهله،  
فهو تركهم في رعاية الرحمن، وبذلك نلمح الأثر والوازع الديني الذي كان يسيطر عليه، كما  
نحسّ بصدق العاطفة وحرارتها فجاءت التراكيب سهلة وبسيطة، والمفردات واضحة بعيدة عن  
الغرابة والوحشية، فكانت هذه المقطوعة الشعرية قريبة من لغة العوام، وتتناسب مع البعد الديني  
والعلمي له.

ونجد في أشعارهم ما يعكس نفسياتهم، فكلّ ما يرونه في بلاد الغربية يكون باعث ألم  
ومرارة، يذكرهم بأحبابهم وديارهم، يقول القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى:

لا تلمني على البكا والعويلِ      ذكّرتني نخيلُ فاسٍ نخيلي  
وانسكاب الأمواه من حللِ الضّ      حَى دموعَ الأحبابِ يومَ الرحيلِ

(1) وردت في التراجم (مذ)، والوزن لا يستقيم إلا ب(منذ).

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام، الذخيرة، مج2، قسم1، ص615-616. المقري، نوح الطيب، ج2،  
ص131. الضبي، بغية الملتبس، ص291. الحميدي، جذوة المقتبس، ص398-399. ابن بشكوال، الصلة، قسم1،  
ص255. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص62.

وبدت لوعتي وهاج غليلي	فعلت زفرتي وطال انتحابي
طان دمع جرى برغم العذول	ولنعم البلاد للنزاح الأو
د عن الدمع عند ذكر الخليل	وقبيح صبر الخليل أخي الوجـ
من فؤاد صب وجسم نحيل <sup>(1)</sup>	وبنفسى نائي المحل قريب

"الخفيف"

فعندما يرى القاضي نخيل فاس في المغرب يتذكر نخيل بلاده في الأندلس، كما تنعكس نفسيته الحزينة في شعره، فعندما يرى أمواه الغربية يتذكر دموع الأحباب يوم رحل عنهم، وبذلك يعلو نحيبه ويزداد هيجانا ومرارة، فلا يجد ما يسلي عنه غير الدموع، فلا يجدر بالإنسان حسب زعمه حبس دموعه عند ذكر الخلان والأحباب، ولئن كانوا بعيدي المحل عنه إلا إنهم قريبون من قلبه وروحه، ولا شك أن القاضي افتتح مقطوعته الرائعة هذه ببيت تتفجر منه عاطفة الشوق والحنين إلى موطنه في قرطبة، فقد بلغ أثر هذه العاطفة من نفسه حد البكاء، بل وصل إلى العويل وهو ارتفاع الصوت، فالنخيل كان باعث ذكرى لديه كما كان باعثا لدى عبد الرحمن الداخل صقر قریش، وبهذه المقطوعة يرتقي القاضي إلى مصاف الشعراء، فهو يحس بالأشياء من حوله ويخلع عليها أحاسيسه وعواطفه، فكل ما تقع عليه عين القاضي يكون صورة شجية للمثال الأم الذي يحتفظ به في ذاكرته حيث موطنه وأهله وصباه، والمقطوعة مفعمة بالحزن والمرارة الصادقين فالألفاظ والتراكيب قريبة من الطبع.

ويبين لنا مدى مكابته في سبيل العلم، وتجشمه مخاطر الأسفار، ولوعة البعد عن

الأحبة والديار:

على قضيب بذات الجزع مياس	ماذا أكابد من ورق مغردة
في عبرة ذرفت في الحب من باس	رددن شجوا شجا قلب الخلي فهل
بين الأحبة في أمن وإيناس	ذكرنه الزمن الماضي بقرطبة

(1) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص72. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص411.

همُ الصبابةُ لولا همّة شرفتُ  
فصيّرتُ قلبه كالجندلِ القاسي  
كم بين آل عيسى<sup>(1)</sup> وراكبهم  
من صحن سَهَبٍ وطودِ شامخِ راسي  
ومن بحارٍ إذا هالتُ بصاحبها  
أهدتُ له الخوفَ محمولاً على الراسِ<sup>(2)</sup>

"البيسط"

فصورة الحمامة مغردة على غصن الشجرة هي باعث حزن في قلب القاضي، حيث يتذكر ماضيه بقرطبة بين الأحبة والديار، وبهذا تتعكس أحزانه على كل ما يحيط به، فنحس بصدق العاطفة وحرارتها، ولكنهم بمجرد عودتهم إلى وطنهم ينسون عناء السفر ومشاقه، وكأنهم لم يغتربوا قط، فيقول<sup>(3)</sup>:

كأن لم يكن بيني ولم تك فرقة  
إذا كان من بعد الفراق تلاق  
كأن لم تارق بالعراقيين مقلتي  
ولم تمر كف الشوق ماء مآقي  
ولم أزر الأعراب في جنب أرضهم  
بذات اللوى من رامة وبراق  
ولم أصطبج بالبيد من قهوة الندى  
وكأس سقاها في الأزاهر ساق<sup>(4)</sup>

"الطويل"

ونرى في هذه المقطوعة صورة فنية جميلة، إذ يصور قطرات الندى التي بالخمير، وهم بذلك يمزجون بين الحنين والطبيعة في صورهم الشعرية.

(1) الشطر غير مستقيم الوزن.

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص261. المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص13. الثعالبي، بيتمة الدهر، ج2، ص72. الحميدي، جذوة المقتبس، ص126.

(3) وبعضهم ينسبها لمحمد بن عبد السلام الخشني. ينظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين، ص268. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة: 1973. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص118.

(4) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص260-261. المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص13.

ولم تك أشعار القضاة في الشوق والحنين مقصورة على الأسفار والرحلات الخارجية فقط، بل نجد أثر الرحلات الداخلية بين مدن الأندلس ظاهراً، فالقاضي أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي يشتاق وهو بقرطبة قاض للجماعة إلى إشبيلية موطن نشأته، فيستأذن الأمير الحكم في زيارة أهله، فيرفض الأمير، فيكتب القاضي إلى جاريته سلمى:

ويحك يا سلم لا تراعي	لا بدَّ للبين من زماع
لا تحسبيني صبرتُ إلا	كصبر مَيِّتٍ على النزاع
ما خلق الله من عذابٍ	أشدَّ من وقفة الوداع
فكلُّ شملٍ إلى افتراق	وكلُّ شعبٍ إلى انصداع
وكلُّ قُربٍ إلى بَعادٍ	وكلُّ وَصلٍ إلى انقطاع <sup>(1)</sup>

"مخلع البسيط"

يقول إنَّ الفراق لا بدَّ له أن يزول، وأنَّ صبره كصبر ميت على النزاع، كما يرى أنَّ أشدَّ عذاب هو موقف الوداع، بعد ذلك يخرج بأبيات من الحكمة تؤكد على ضرورة الوصل واللقاء وحتميتهما.

وقد تكون الهجرة قسرية نتيجة ظروف سياسية، أو اضطهاد فكري أو عرقي أو ديني، وعثرنا في ذلك على قصيدة للقاضي أبي عبد الله محمد بن سليمان الأنصاري، وقد تغرب في الفتنة إلى جهة تدمير، فيقول:

أعاد الله أيام التلاقي	كما كنا بها قبل الفراق
وأكمل بالسرور إياب نفسي	فقد آل السرور إلى محاق
نأى صبري غداة نأيت عنكم	وهل تنأى همومٌ واشتياقي

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، قسم 1، ص 88. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 2، ص 351. الحموي، معجم الأديباء، مج 9، ج 18، ص 184. الضبي، بغية الملمس، ص 57. المراكشي، المعجب، ص 65. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 278-279. المقرئ، نفع الطيب، ج 4، ص 7-8.

لَنْ ضَنَّ الْأَسَى بِالصَّبْرِ عَنِّي      فما ضنّنتُ بأدمعها مآقي  
أحنُّ إلى الرفاق لأنَّ أنسي      بأخبارِ الأحبةِ في الرفاقِ  
كأنِّي مذْ نأيتُ وصرتُ رهناً      بتدميرِ أسيرٍ في وثاقِ  
أرى ليلي عليَّ إذا تدجّى      سواءً والنهار بما ألاقى<sup>(1)</sup>

"الوافر"

فهو يلتجئ إلى الله، ويتمنى أن يعيد عليه أيام اللقاء، فلم يعد يقدر أن يصبر على الفراق، حتى إنه ليسارع بالبكاء، فيرى نفسه أسيراً في بلاد الغربة، وقد بلغ من ألم الفراق أن أصبح الليل والنهار عنده سواء.

وهكذا فقد شغلت أشعار الشوق والحنين لدى القضاة حيزاً واضحاً من أشعارهم نتيجة لواقعهم الترحالي والتنقلي، وكثير من الباحثين يرى أن هذا اللون من الشعر ازداد شيوعاً بعد انتهاء عصر الخلافة الأموية<sup>(2)</sup>، وهذا صحيح فيما ينطبق على السفر والرحلات الناجمة عن الفتن والحروب التي انتشرت بعد انهيار الخلافة الأموية وقيام دول ملوك الطوائف الضعيفة، أما فيما يختص بالرحلات العلمية فقد كانت منتشرة وسائدة منذ الفتح، كما كثرت في هذا الغرض القصائد، وقلّت المقطوعات، وذلك بفعل عاطفة الشوق والحنين التي طالت بهم في بلاد الغربة، فهم أحوج ما يكون إلى التذكر والتسلي، ولهذا كانوا يطيلون أشعارهم، فطول المقطوعة تعكس طول المعاناة وشدتها، وقد لمسنا فيها صدق العاطفة وحرارتها، فجاءت أشعارهم خالية من الصور الفنية في معظمها، ولغتهم وتراكيبهم سهلة وواضحة، وقريبة من لغة العامة، وقد مزجوا بينها وبين مظاهر الطبيعة كالبرّ والبحر والنخيل والأمواه والورق والجندل والبحار والبيد والندى والأزهار، كما نراهم قريبين من الله عزّ وجلّ، فهم يدعونه ويلتجئون إليه، فلا كاشف عنهم الضرّ إلا هو، وهم يستسلمون لقضاء الله وقدره، ويسألونه اللطف فيه.

(1) ابن عسكراً، أعلام مالقة، ص76.

(2) الشناوي، عليّ غريب محمّد. القصيدة الأندلسية في كتاب أعلام مالقة "دراسة فنية"، ط1، ص135. مكتبة الآداب، القاهرة: 2003م.

## المديح

كان غرض المديح في الأندلس امتدادا له في المشرق، وقد كان شكل المديح تقليديا، يتكسب به الشعراء، فيقصدون الحكام والولاة والقادة والأمراء، ويصفونهم بصفات الأخلاق والمعاني الموروثة من كرم وهيبة وشجاعة وعدل مبالغين في ذلك أيما مبالغة، وجانب آخر يتحدث عن معارك الممدوحين وانتصاراتهم ونصرة الإسلام والمسلمين، ولعلَّ أبرز شعرائه ابن هانئ الأندلسي وابن الدراج القسطلي وابن حمديس الصقلي.

ويحدثنا الدكتور أشرف نجا عن قصيدة المديح في الأندلس، فقد كانت تدور حول عدّة قيم، أولها قيم اجتماعية تُعنى بالأخلاق والصفات المعنوية والنفسية والعقلية الموروثة، والتي اهتموا إليها من وحي المجتمع العربي كالشجاعة والفروسية والكرم والحلم والوفاء والعفاف والصدق والأمانة والصبر وغيرها، وثانيها قيم سياسية تحفل بالحياة السياسية في المجتمع الأندلسي على المستويين: الداخلي والخارجي، فقد شكّلت المعارك والفتوحات رافدا قويا لشعر المديح، كما كان للثورات الداخلية والخارجية والعداء بين الأندلسيين والبربر في عصر ملوك الطوائف الضعيفة بالغ الأثر، وثالثها قيم دينية، تمثلت في الإشادة بأخلاق الممدوح الدينية وحمايته للإسلام وشرعه، ولكنَّ هذه القيمة ضعفت في عصر ملوك الطوائف فقد كانوا ضعافا من الناحية الدينية كضعفهم من الناحية السياسية، فأفسدوا في الأرض، وانغمسوا في الملذّات والشهوات، ورابعها قيم ذاتية تعبّر عن هموم الفرد الشخصية ومشكلاته الذاتية، وتصور الآمه وعواطفه ونفسيته<sup>(1)</sup>.

وفي دراستنا أشعار القضاة نجد لهم مدائح في الولاة والأمراء، فالقاضي ابن عبد البرّ

يمدح المعتضد بن عبّاد متوجها من دانية قاصدا إياه في إشبيلية:

لنُبْصِرَ مَقْلَتِي مَا حَلَّ سَمْعِي	قَصَدْتُ إِلَيْكَ مِنْ شَرْقٍ لَغْرَبٍ
دَعَاكُمْ رَاغِبًا فِي خَيْرِ فَرْعٍ	وَتَعَطَّفُكَ الْمَكَارِمُ نَحْوَ أُصْلِ

(1) نجا، أشرف. قصيدة المديح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية "عصر ملوك الطوائف"، ص 27-105. ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية: 2003م.

فإن جُدْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ عَفْوٍ      فليسَ الْفَضْلُ عِنْدَكُمْ بِيَدِعِ  
فوعدك كَي يُسْكِنُ خَفَقَ قَلْبِي      ويرقاً منْ جفوني سكب دمعِي<sup>(1)</sup>

"الوافر"

ونرى أَنَّ المقطوعة مجتزأة، ولا نعلم لها مناسبة، ومهما يكن الأمر فإننا نجد لها ذات قيم ذاتية، تعبر عن مشكلات الفرد الخاصة وتعكس همومه وآلامه، كما تطرح آمال الشخصية ومطامحها، ولا نجد فيها استجداء، غير أَنَّ القاضي قصد المعتضد ليراه، وقد سمع عن أصله وفضله كثيرا، والمقطوعة تخلو من الصور الفنية والمحسنات اللفظية، فلم يتجشم صاحبها الجهد والعناء، فهي أشبه بلغة النثر منها إلى لغة الشعر، وقد كانت الألفاظ سهلة، والتركييب مقتضبة موجزة. وللقاضي أبي الوليد الباجي قصيدة يمدح بها أمير حلب معزّ الدولة أبا علوان بن أسد الدولة:

لرِيَاهُمْ فِي عَرَفِ رَبْعِكَ عَنَوَانُ      ومِنْ حَسَنِهِمْ فِي حَسَنِ مَغْنَاكَ تَبْيَانُ  
وَفِيكَ مِنَ الْحَيِّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا      مَخَايِلُ أَغْصَانِ تَمِيسٍ وَكُثْبَانُ  
وَكَمْ لَيْلَةٍ فِيهَا تَعَسَّفَتْ حَوْلَهَا      وَكَالْتِهَا مِنِّي مَشِيحٌ وَيَقْطَانُ  
سَرِينَا كَمَا يَسْرِي الْخِيَالُ وَغَضَّضَتْ      عَلَى رَكْبِنَا مِنْ نَاطِرِ اللَّيْلِ أَجْفَانُ  
لَبَسْنَا بِرُودَ اللَّيْلِ حَتَّى تَشَقَّقَتْ      جُيُوبٌ تَضِيءُ بِالصَّبَاحِ وَأُرْدَانُ  
حَوَيْتَ مَعَزَّ الدَّوْلَةِ الْمَلِكَ فَاعْتَزَى      بِذِكْرِكَ فِي الْآفَاقِ مُلْكٌ وَسُلْطَانُ  
فَلْمَجِدِ سَالِكٌ قَدْ أَجِيدَ نِظَامُهُ      وَأَنْتَ لَذَاكَ السَّلَكِ دَرٌّ وَمَرْجَانُ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فيبدأ القاضي قصيدته مخاطبا الممدوح بالإشادة بخيره، وحسن مغناه، وعظيم كرمه، كل ذلك بتشبيه جميل رائع، وصورة فنية ناطقة معبرة، فيصور عطايا الممدوح وقد ماست وترنحت

(1) ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج2، ص329.

(2) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص103.

فوق المراكب بالأوراق والأغصان التي تهتز وتميس على الأشجار، ثم يبين بعد ذلك قصده الممدوح سرًا تحت وطأة الليل حتى لا يشعر به الكاشحون والمبغضون، فيشيد بملكه وهيبته، ثم يختتم القصيدة بصورة فنية رائعة، حيث يشبه المجد بالسلك جيد النظم، والممدوح بالدرّ والمرجان فيه، وجدير بالذكر إننا لم نجد في مثل هذا المديح مبالغة ولا استجداء، بل كان يعبر عن رأي ذاتي صادق تجاه الممدوح، فلمس صدق العاطفة وحرارتها، كما رأينا أن شعر الطبيعة "أصبح محلّ محلّ أبيات النسيب في قصائد المديح"<sup>(1)</sup>. وله - أيضا - قصيدة في المعتضد بن عباد ملك إشبيلية:

عباد استعبد البرايا      بأنعم تبلغ النعائم  
مديحة خيم كل نفس      حتى تغنت به الحمائم<sup>(2)</sup>

"مخلع البسيط"

ولا نرى في هذه المقطوعة مديحا بالمعنى الدقيق سوى ذكر لفصائل الممدوح ونعمه، ولهج النفوس بمديحه والثناء عليه، من غير أن يتكلم عن نفسه، حيث لم يرد فيها ضمير للمتكلم، ولا ننكر إعجاب القاضي بالممدوح، وإنما ننكر أن يكون المديح بقصد الهبة والعطاء، فقد جاءت المقطوعة فاترة العاطفة ضعيفة من حيث الإبداع الفني.

وللدكتور وائل أبو صالح دراسة في أشعار أبي الوليد الباجي، فقسم مدائحه إلى قسمين: مدائحه التي قالها في مقتبل حياته في المشرق وتتمثل في قصيدته التي قالها في أمير حلب، ومدائحه التي قالها بعد عودته إلى الأندلس، وتتمثل في مقطوعته في المعتضد، ويعقد الدكتور مقارنة بين هاتين المدحتين، فالأولى قصيدة تحوي سبعة أبيات، وتراكيبها اللغوية جزلة، وكذلك حفلت بصور جميلة ورائعة، بينما مدحته في المعتضد تتكون من بيتين فقط، والألفاظ سهلة وبسيطة، فكانت أقل جودة من نظيرتها مع أن المعتضد شاعر مجيد ويعده من الأدباء، فكان الأولى به أن يجعل مدحته له أكثر جودة من سابقتها.

(1) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص256.

(2) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص100. المقري، نفع الطيب، مج2، ص76. الحموي، معجم الأدباء، مج6، ج11، ص250.

ويرجع الدكتور ذلك إلى اقتناع الباجي بشخصية معزّ الدولة أكثر من اقتناعه بشخصية المعتضد، فسيرة المعتضد سيئة ويبغضه الناس، بينما كان معزّ الدولة كريما حلّيا، عدا عن العلاقة المتميزة التي كانت تربطه به فبسببه تحول معزّ الدولة من الاتجاه الشيعي إلى الاتجاه السني، كما أنّ الباجي قال الأولى في مقبل حياته وهو مقلا من الناحية المالية فأعدّ قصيدته إعدادا جيّدا حتى يحقّق من ورائها أكثر من هدف، ممّا جعل أمير حلب يعيّنه قاضيا، في حين لم يكن بحاجة إلى الشهرة والمال عند مدحه المعتضد، فكانت شهرته كفقيه مالكي مدافع عن هذا المذهب في وجه ابن حزم<sup>(1)</sup>. وكتب القاضي محمد بن السليم إلى الحكم المستنصر بالله:

لو أنّ أعضاء جسمي ألسن نطقتُ  
بشكرِ نعماك عندي قلّ شكري لكُ  
أو كان ملكني الرحمن من أجلي  
شيئا وصلتُ به يا سيدي أجلكُ  
ومن تكُّ في الوري آماله كثرتُ  
فإنما أملي في<sup>(2)</sup> أن ترى أملاك<sup>(3)</sup>

"البسيط"

ونرى في هذه الأبيات الصنعة والتكلف جليين، ولئن كنا نرى نوعا من التملق والمبالغة، والذي يبرّره هو أنّ مثل هذا المدح لم يكن في ضعاف الحكام وسيئهم أو حكام ملوك الطوائف بل كان في حاكم دولة الخلافة الأندلسية المستنصر، ففي عهده بلغ مجد المسلمين ذروته، إلا أنّ مثل هذا الشعر لا يخرج عن كونه نوعا من الدعابة والتسلية، فليس المدح هنا مقصودا لذاته، وكل ما نراه هو نوع من استعراض المهارات الكلامية والفلسفية، أليس شاعرنا قاضيا ذا خبرة ومعرفة بمثل هذه المهارات، كما نجد أنّ كلّ بيت من هذه الأبيات يمثل أسلوبا شرطيا، وبهذا نرى الشاعر أبعد ما يكون عن الطاعة والانقياد الأعميين للممدوح، وهذا يؤكد رأينا في عدم ابتغاء المدح في ذلك ويعمقه، ومهما يكن الأمر والرأي فإنّ قاضينا لم يتكسب أو يستجد في مثل هذا القول، ولم يخلع على الممدوح صفات العظمة والتقدير.

(1) أبو صالح، وائل: شعر أبي الوليد الباجي جمع ودراسة. مجلة جامعة بيت لحم للأبحاث/ 1996/15، ص138-142.

(2) كلمة (في) غير موجودة في المرجع وقد وضعها ليستقيم الوزن.

(3) المقري، نوح الطيب، مج3، ص466.

كما نجد لدى القضاة مديحا ذا قيم دينية في أهل العلم والفقه والصلاح، فالقاضي أبو الوليد الباجي يمدح قاضي بغداد السمناني ناصح الدين تاج الإسلام، وذلك قبل ولايته القضاء، في أثناء إحدى رحلاته، فينهج نهج القدامى في بناء القصيدة التقليدية، حيث يبدوها بالمقدمة الغزلية وذكر المحبوبة، ويقف على الديار كما فعل طرفة حين وقف على الأطلال، مازجا ذلك بوصف الطبيعة ورياضها:

يا بعدَ صبرِكَ أتهموا أمْ أنجدوا	هيهاتَ منكَ تصبُّرٌ وتجلُّدُ
يأبى سُلوكُ بارقٍ متألِّقٌ	وشميمٌ عَرفِ عرارةٍ ومغرِدُ
في كلِّ أفقٍ ليَ علاقةٌ خولةٌ	تهدي الهوى وبكلِ أرضٍ ثممُ
ما طالَ عهدي بالديارِ وإنما	أنسى معاهدَها أسَى وتلبَّدُ
لله أيامُ الشبابِ وحسنُها	وغصونُهنَّ المائساتُ الميِّدُ
أيامَ أنفضُ للمراحِ ذوابتي	بينَ اللداتِ ودرعِ بردي مُجسدُ
أتقنصُ الظبياتِ في سبلِ الصبا	فيصيدهنَّ لي العذارُ الأسودُ
وسقتني الدنيا زُعاقَ خمارها	وسعى إليَّ من الخطوبِ مُعربدُ

وينتقل بعد ذلك إلى وصف الرحلة، فيصف مشاق سفره إلى الممدوح، وعزمه على الوصول إليه والحلول بدياره:

ما هالني صَعَبُ المَرامِ ولا الذي	تستبعدُ الأيامُ عندي يبعُدُ
أستقربُ الهدفَ البعيدَ بهمةٍ	أدنى منازلها السُّها والفرقدُ
أسري إذا اعتكرَ الظلامُ وقادني	أملٌ مطالِبُ العلاءِ والسؤددُ

وينتهي بغرضه الرئيس، وهو المدح ذو القيمة الاجتماعية، فيصف الممدوح بصفات خلقية ونفسية وعقلية موروثه كالسماحة والعزة والحرم والكرم، ويضيف إليها صفات مستجدة كالعلم ونصرة الإسلام، وقمع أهل الكفر والضلال:

ورسّت قواعدُه وحلّ المقوّد	حيثُ التقتُ ظُبّةَ السّماحةِ والعلّا
لا يستضامُ ونبعُه لا يقصدُ	فجنابُه لا يستباحُ وجره
ذامٌ ولا للفضلِ عنه مبعّدُ	حرّمُ المكارمِ لا ينالُ فناءه
إذٌ بالحضيضِ لغيره مستوقّدُ	عالي محلّ النارِ في كلبِ الشتا
علمُ الهدى هذا الشهابُ الأوحدُ	هذا الشهابُ المستضاءُ بنوره
كانتُ شياطينُ الضلالِ تمرّدُ <sup>(1)</sup>	هذا الذي قَمَعَ الضلالةَ بعدَمّا

"الكامل"

وهكذا فقد نهج الباجي في هذه القصيدة نهج القصيدة التقليدية، فألفاظها معجمية جزلة، وتراكيبها متينة وأنيقة ورصينة ومحكمة السبك، ومعانيها مطروقة، وقد حفلت بالصور والتشخيص، والكناية والاستعارة، فأولى قصيدته العناية والاهتمام وأطال بها مما يعكس أعجابه بالمدوح ومحبه له، فالمدوح قاض اشتهر بالفقه والعلم والصلاح، ولا ننسى أنه قالها في مقتبل حياته في المشرق. ونخرج من هذا الغرض موجزين أهم خصائصه فيما يأتي:

1. نجد أشعار المديح تتوزع ما بين المقطوعة والقصيدة، كما نجد شعر الطبيعة في أشعار القضاة يحتلّ مكانة واضحة، ولربما حلّ محلّ أبيات النسيب في كثير من الأحيان.
2. أضاف القضاة في مدائحهم إلى صفات المدوح التراثية من كرم ومروءة وشجاعة صفات أخرى جديدة ذات صلة بواقعهم العلمي والسياسي، فوصفوه بناصر الإسلام وهازم أهل الكفر والضلال، وشهاب العلوم.
3. لم ينح قضائنا في مدائحهم منحى غيرهم من الشعراء في التوسل والاستجداء، فلم يكن الدافع الباعث وراء مديحهم مكسبا مادياً أو تزلفا كاذبا فنجد لهم مدائح في غير الملوك والقوّد والأمراء كما كان الحال في مدح قاضي بغداد السمناني.

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص99-100. المقري، نفح الطيب، ج2، ص76. الحموي، معجم الأدباء، مج6، ج11، ص249.

## الهجاء

الهجاء غرض شعريّ تقليديّ، ظهر وازدهر في وقت مبكر في بلاد المشرق، ولا يغيب عن أذهاننا أبرز أعلامه، أمثال الحطيئة، والثلاثي الهجائيين: جرير والفرزدق والأخطل، وبشار بن برد، وابن الرومي وغيرهم، ولم يكن الحال في الأندلس مغايرا عنه في المشرق، فقد عرف هذا اللون وازدهر، لا سيّما في عصر ملوك الطوائف، وعلى الرغم من إغفال صاحب الذخيرة -المرجع الأساسي لشعر هذا العصر- أشعار الهجاء ترفعا وأنفة، زد على ذلك أنّ كثيرا من الشعراء تخلصوا من أهاجيهم عند جمع أشعارهم وتدوينها، فقد كانت لهم مخلفات هجائية كثيرة، أفحشوا القول فيها، فقد كان لديهم تطرّف في كلّ غرض من أغراضهم<sup>(1)</sup>، فلا بد سارة "أهاج سددها نبالا، وأورث بها خبالا، إلا أنه قوّض اليوم عن فنائها، ونفض يده من اقتنائها"<sup>(2)</sup>.

وللهجاء عندهم أسباب عدّة، فمنه فرديّ يكون ملاحاة بين اثنين استحكمت بينهما الأحقاد والعداوات، ولم يسلم من هذا الهجاء أعظم الناس حتى الملوك والحكام، والفقهاء المرانين والمتكسبين بالشعر، وهو أشبه ما يكون بالنقد الاجتماعي، كما كان للعصبيّة اليمنيّة أو المضريّة دافع للهجاء في بداياته، بعد ذلك انتشر وشاع بين الطوائف في الحروب الدائرة بين العرب والمولدين، وعندما استقلّ بعض الثائرين ببعض الحواضر انتقل هذا الهجاء إلى هجاء المدن، وتحولت هذه الأهاجي فيما بعد إلى ما يشبه النقائص غير أنّها كانت ذات طابع شعبيّ عامّ، ولم تكن لأحقّاد شخصيّة، ولكنّ هذا اللون من الهجاء نكاد نراه يختفي في عصر ملوك الطوائف، وذلك لظهور العداوة بين العرب والبربر، ثمّ بين المسلمين من جهة واليهود والمسيحيين من جهة أخرى<sup>(3)</sup>.

أمّا أهاجي القضاة فقد كانت نوعا من الهجاء الاجتماعي، إذ كانوا أبعد ما يكونون عن الفحش والبذاءة لما روعي فيهم واشترط من مكارم الاخلاق، وحسن السيرة، وسماحة النفس،

(1) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص54.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ج2، قسم1، ص61.

(3) ينظر: عتيق، الأدب العربيّ في الأندلس، ص241-254. شلبي، البيئة الأندلسيّة وأثرها في الشعر، ص469-477. شلبي، د. سعد إسماعيل. الأصول الفنيّة للشعر الأندلسيّ "عصر الإمارة"، ص164-172. دار النهضة، الفجالة-القااهرة: 1983م.

ولتتزههم عن مجاراة العوام، ولبعدهم عن الانحطاط والسفاهات، فهذا الشاعر أحمد بن عبد ربه<sup>(1)</sup> يذكر في أرجوزته الخلفاء، ويجعل معاوية رابعهم، ولم يذكر عليًا فيهم، ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد، فلمّا رأى ذلك القاضي منذر بن سعيد البلوطي غضبّ وسبّ ابن عبد ربه، وكتب على حاشية الكتاب:

أوماً عليٌّ - لا برحت ملعنا -  
يا ابن الخبيثة عندكم بإمام  
ربُّ الكساء<sup>(2)</sup> وخيرُ آلِ محمدٍ  
داني الولاء مقدّمُ الإسلام<sup>(3)</sup>

"الكامل"

فهو لا يطيق أن يطعن أحد في صحابة رسول الله، فكيف الحال إن كان من الخلفاء الراشدين، وابن عمّ الرسول، وزوج ابنته وأبا سبطيه، ومن هنا نرى أن غضب القاضي وثورته لم تكن لمصلحة ذاتية، بل كانت ذودا عن الإسلام ورجاله، دون أن يجامل في ذلك أصحاب السلطة من الأمويين. وله وقد آذاه شخص فخاطبه منذر بالكنية، فقيل له: أيؤذيك وأنت تخاطبه بالكنية؟ فقال:

لا تعجبوا من أنني كنيته  
من بعد ما قد سبنا وأذانا  
فإنه قد كنى أبا لهب وما  
كناه إلا خزيةً وهوانا<sup>(4)</sup>

"الكامل"

(1) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حذير بن سالم القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل، كان واسع الحفظ والأطلاع على أخبار الناس، وله الكتاب الشهير بالعقد الفريد، توفي عام 328هـ. ينظر ترجمته في: الحميدي، جذوة المقتبس، قسم 1، ص 164-167. الضبي، بغية الملتبس، ص 127-130. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 41. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 270-275. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 110-112.

(2) ما روي عن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) في بيت أم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا، فجلّهم بكساء وعليّ خلف ظهره، فجلّهم بكساء، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت إليّ خير. ينظر: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، ج 5، حديث رقم (3787)، ص 663. تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، ط 2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر: 1395-1975م.

(3) المقرئ، نفع الطيب، مج 2، ص 511-112.

(4) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 248-249. المقرئ، نفع الطيب، ج 1، ص 374.

وليس هذا من الهجاء بالمعنى الدقيق والمعروف، بل على العكس من ذلك يظهر فيه طيب الخلق وحسن الخطاب، فعلى الرغم من تعرضه للإيذاء والشتيمة، إلا أنه لم يبادل أقواله وأفعاله، وإنما حلم به وكنا، وهو في كل ذلك يستشعر المعاني الإسلامية، ويستشهد بآيات من القرآن الكريم. وللقاضي أبي بكر الزبيدي مقطوعة يذم ويهجو بها أناس زمانه:

أشعرن قلبك ياسا	ليس هذا الناسُ ناسا
ذهب الإبريزُ منهم	فبقوا بعدُ نحاسا
سامريين <sup>(1)</sup> يقولو	ن جميعا: "لا مساسا!" <sup>(2)</sup>

"مجزوء الرمل"

فهو يرثي حال الناس، ويأس منهم لما رأى من غفلتهم عن الحق، وضياع قيم الإسلام لديهم، فأصبحوا نحاسا بعدما ذهب الإبريز منهم، ويسخر منهم فيشبههم بالسامريين (اليهود) الذين يدعون بأن لا تمسهم النار، وهي صورة مستوحاة من القرآن الكريم.

كما نجد لديهم اتجاهات اجتماعية في أهاجيتهم، شأنهم في ذلك شأن كثير من شعراء الأندلس، فمنهم قاضي المرية أبو الحسن مختار الرعيني، يقول وقد دخل حماما فجلس بإزائه عامي أساء إليه الأدب:

ألا لعن الحمامُ دارا فإنَّهُ	سواءً به ذو العلم والجهل في القدرِ
تضييعُ به الآدابُ حتى كأنَّها	مصابيحُ لم تنفقْ على طلعةِ الفجرِ <sup>(3)</sup>

"الطويل"

(1) راجع سورة طه 20: 94-97. السامري رئيس قوم من اليهود، أمر قومه بعبادة العجل في غياب موسى عن الطور. لا مساس: لا تقربني.

(2) المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص475-476. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد. بهجة المجالس وأنس المجالس، وشذذ الذاهن والهاجس، قسم1، ص673. تحقيق: محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الفجالة.

(3) المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص405.

وبذلك يهجو ظاهرة اجتماعية، وهي الحمامات العامة التي يدخلها الشريف والوضيع، فتضيع فيه المنازل والرتب، وما في هذا تكبر ولا غرور من القضاة، سوى أن في ذلك فحشا وسوء أخلاق يتسامى عنه أهل التقوى والإيمان.

وإضافة إلى ما سبق فإننا نجد نوعا جديدا من الهجاء، يمكننا أن نطلق عليه الهجاء العلمي، فنرى بعضهم يذم أناسا حملوا علوما، ولم يتفكروا أو يتدبروا فيها، فهم غير قادرين على تمييز الخطأ من الصواب، وفي ذلك يقول القاضي منذر:

وَرُمَّ أَسْفَارًا تَجِدُ حَمَارًا	أَنْعَقُ بِمَا شئتَ تَجِدُ أَنْصَارًا
فَمِثْلُهُ <sup>(1)</sup> كَمَثَلِ الْحِمَارِ	يَحْمَلُ مَا وَضعتَ مِنْ أَسْفَارِ
إِنْ كَانَ مَا فِيهَا صَوَابًا أَوْ خَطَا	يَحْمَلُ أَسْفَارًا لَهُ وَمَا دَرَى
مَا إِنْ كَذَّبْنَا وَلَا اعْتَدِينَا	إِنْ سئِلُوا قَالُوا كَذَا رُوِينَا
لَأَنَّهُ قَدَّ أَهْلَ الْجَهْلِ <sup>(2)</sup>	كَبِيرَهُمْ يَصْغُرُ عِنْدَ الْحَفْلِ

"الرجز"

فيشبه حامل العلم من غير معرفة بالحمار الذي يحمل الكتب، وهي صورة مستوحاة من القرآن الكريم، ويقول: إِنْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْجَهَالِ الَّذِينَ يَكْبُرُونَ وَيَعْظُمُونَ أَمَامَ جَهَّالِ النَّاسِ ظَاهِرِيًّا يَصْغُرُونَ وَيَحْقَرُونَ أَمَامَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ عَلَى مَرَأَى مِنَ الْجَمِيعِ.

وله أيضا فيمن يروون للأئمة، ولا يعرفون للقول وجهها:

عَذِيرِي مَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ كَلِّمًا	طَلَبْتُ دَلِيلًا هَكَذَا قَالَ مَالِكُ
فَإِنْ عُدْتُ قَالُوا هَكَذَا قَالَ أَشْهَبُ	وَقَدْ كَانَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ
فَإِنْ زِدْتُ قَالُوا قَالَ سَحْنُونُ مِثْلَهُمْ	وَمَنْ لَمْ يَقُلْ مَا قَالَهُ فَهُوَ آفِكُ

(1) وردت في المصدر (مثله) دون فاء، ولا يستقيم الوزن إلا بها.

(2) ابن عبد البر. أبو عمر يوسف النمري القرطبي. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وجمعه، ص 413. تحقيق: عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، القاهرة: 1975م.

فإن قلتُ قالَ اللهُ ضجُّوا وأكثرُوا  
وقالوا جميعاً أنتَ قرْنٌ ممالكُ  
وإن قلتُ قدَّ قالَ الرسولُ فقولُهُمُ  
أنتَ مالكا في تركِ ذاكِ المسالكِ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

وفي هذه المقطوعة نجد قاضينا يتعرض في هجائه لما كان عليه أهل بلده من أتباع للمذهب المالكي، وعلى الرغم من اشتراط العمل بمذهب مالك في القضاء، إلا أنه كان يرفض التقليد الأعمى، ويدعو إلى العلم والاجتهاد، وينبذ تقديس الأشخاص، ولا سيما أن الاجتهاد كان مشروطا في القضاة.

وهكذا فإن أهاجي القضاة من حيث الشكل شابته غيرها من أهاجي شعراء الأندلس، فكانت "تكثر فيه المقطوعات، وتكاد تنعدم الطوال"<sup>(2)</sup>، وذلك لعدم انشغالهم بها، كما أنها لم تمنح منى تقليديا، تنتهك فيه الأعراض، وتضيع فيه الآداب، وتعرض للمحارم والأعراض، بل نحت منى جديدا، فكانت أهاجيهم على نوعين: أهاج اجتماعية، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتندم سوء أحوال الناس ومعيشتهم بسبب انتشار الفحش والرذيلة بينهم، وأهاج علمية، تدعو إلى العلم والاجتهاد، وتذم الجهل والتقليد الأعمى، كما نلاحظ في أهاجيهم التأثر الواضح بالقرآن الكريم، فقد جاءت معظم أشعارهم متضمنة آياته ومعانيه، وهذا يجعلنا نقف موقف شموخ وإعجاب أمام قضاةنا، وكيف أنهم ضربوا أروع الأمثلة والسير في التقوى وحسن الخلق والاستقامة.

(1) ابن عبد البر. أبو عمر يوسف النمري القرطبي. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وجمعه، ص 496.

تحقيق: عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، القاهرة: 1975م.

(2) عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 245.

## الفخر

كثيرا ما كان يعتدّ الشاعر بنفسه، ويفخر بأصله ونسبه وشجاعته، وهو أمر امتدّ على طول الحقبة التاريخية للشعر العربي ابتداء من العصر الجاهلي، مروراً بالعصر العباسي وبلوغ ذروته عند المتنبّي، فإذا ولّينا وجوهنا شطر الأندلس وجدنا الحال نفسه، فلا يفاخر الشاعر الأندلسي إلا بأبيات قليلة تأتي في ذيل قصائد المديح، حيث يباهي بشعره، على العكس منه عند ملوك الأندلس الذين لم يكونوا يباهون بشاعريتهم، بل كانوا يستعلون ويفخرون بشجاعتهم، وبلاتهم في الحروب، وفتحهم المدن والحصون<sup>(1)</sup>.

ونجد من هؤلاء الملوك القاضي أبا القاسم بن عبّاد، يفخر بشجاعته وكرمه، ويمني نفسه في اتساع ملكه فيقول:

ولا بدّ من يومٍ أسودّ على الورى	ولو رُدّ عمرو للزمانِ وعامرُ
فما المجدُّ إلا في ضلوعيّ كامنٌ	ولا الجودُ إلا من يمينيّ تائرُ
فجيشُ العلا ما بين جنبيّ جائلٌ	وبحرُ الندى ما بين كفيّ زاخرُ <sup>(2)</sup>

"الطويل"

وهي مقطوعة قصيرة تتكون من ثلاثة أبيات جاءت مفرداتها سهلة وتراكيبها بسيطة غير معقّدة، ونراه يكثر فيها من استخدام الكناية، فتارة ينسب المجد إلى ضلوعه، وأخري ينسب الجود إلى يمينه، والعلا إلى جنبيه، والندى إلى كفيّه، وفي هذا إشارة واضحة إلى تضخم ضمير الأنا لدى الشاعر، فقد تجلّى ضمير المتكلم في جميع أبياتها، ومعروف أنّ القاضي ابن عبّاد كان قاضيا للمنصور بن أبي عامر في إشبيلية، ثمّ استقلّ بها، وأسس الدولة العبّادية، فكانت ولايته للقضاء تمثل مرحلة قصيرة نسبيا، ولكننا في غير هذا الموضع لا نجد للفخر البطولي أثرا في أشعارهم، فلم يتفاخروا بالقوة والشجاعة والكرم والجود، بل نجد أنواعا أخرى من المباهاة، يتمثل بعضها في التفاخر بالعلوم والمعارف، يقول القاضي ابن عبد البر:

(1) شلبي، البيئة الأندلسية، ص407.

(2) ابن الأبار، الحلة السراء، قسم2، ص38.

ودع ما كان من عَظْمِ رَمِيمِ	إذا فاخرتَ فافخرُ بالعلومِ
وعلمي حلَّ بي بين النجومِ	فكم أمسيتُ مُطَّرَحًا بجهلِ
فلازمني ملازمة الغريمِ	وكائن من وزيرٍ سارٍ نحوي
فقامَ إليَّ من ملكٍ عظيمِ	وكم أقبلتُ متَّئداً مُهابا
بذكري مثلَ عَرَفٍ في نسيمِ <sup>(1)</sup>	وركبِ سارٍ في شرقٍ وغربِ

"الوافر"

إنَّ شاعرنا يستخدم أسلوب الخطاب، فلا يرى ما يستحق أن يفخر به غير العلم، فيبدأ مقطوعته بنصيحة يجعلها حكمة لكل من أراد المفاخرة والمباهاة، فلا شيء أجل من العلم، فيرى أن العلم يجعله يحلق بين النجوم، فتسمو مكانته ومنزلته بين الناس، فيجعله الملوك والوزراء، ويتسابقون إلى إكرامه، وفي ذلك خروج عن الصورة التقليدية للفخر، وهو في كل ذلك يبتعد عن المبالغة والغرور، كما نلاحظ في هذا أثر القضاء جلياً في أشعارهم، حيث كان القاضي على درجة عالية من العلوم والمعارف، وقد طالت المقطوعة، وجاءت لغتها سهلة غير متكلفة وقريبة من اللغة الدارجة، ويقول القاضي أبو بكر الزبيدي في طلب العلوم والمعارف:

ما طلبتُ العلومَ إلا لأني	لم أزلُ من فنونها في رياضِ
ما سواها لهُ بقلبي حَظٌّ	غيرَ ما كانَ للعيونِ المراضِ <sup>(2)</sup>

"الخفيف"

فهو يشبه العلوم بالرياض التي يسرّح طرفه فيها، وليس له حظّ واشتغال بغير هذه العلوم، كمثل عدم اشتغاله وتعلقه بالحسان.

ونجد توجهها آخر للفخر، وهو الفخر بالفصاحة والبلاغة، وجرأة النفس، وثبات القلب أمام الجموع، وعدم الخوف والارتباك، وموقف القاضي منذر البلوطي في هذا عظيم ومشهور،

(1) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص329

(2) المقري، نفح الطيب، ج3، ص475.

وقد ألقى خطبته أمام ملك الروم صاحب القسطنطينية بجنان ثابت، وكلام بليغ مؤثر، بعدما أخذ الخوف والهيبة من نفوس سابقيه، وليس غريبا مثل هذا عليه، فقد عرف بقوة الحجة، ومجادلة أهل البدع والضلال من أصحاب الملل والأهواء، يقول:

مقالٌ كحدِّ السيفِ وسَطُ المحافلِ	فرقتُ به ما بينَ حقٍّ وباطلِ
بقلبِ ذكيٍّ ترتمي جَنبَاتُهُ	كبارقِ رعدٍ عندِ رِيشِ الأنامِ
فما دَحَضتُ رجلي وما زلَّ مقولي	ولا طاشَ عقلي يومَ تلكَ الزلازلِ
بخيرِ إمامٍ كانَ أو هوَ كائنٌ	لمقتبلٍ أو في العصورِ الأوائلِ
وقد حدقتُ نحوي عيونٌ إخالها	كمثلِ سهامٍ أثبتتُ في المقاتلِ (1)

"الطويل"

فهو يفخر بخطبته ذات الروح الإسلامية التي فرق فيها بين الحق والباطل، كل هذا بعقل واع وذكاء وقاد، دون أن يهاب من الموقف فيرتبك ويعي، ومن غير أن يأخذه الزهو والغرور، وقد اتسمت هذه القصيدة برصانة أسلوبها وجزالة ألفاظها، فقد اعتنى بنظمها، وكانت طويلة وتحتوي على التشبيهات والصور الفنية.

وبهذا يكون الفخر لدى القضاة قد خرج عن صورته التقليدية، وكل ما وجدناه في أشعارهم هو الفخر بالعلوم والمعارف والفصاحة والبلاغة.

---

(1) المقري، نفع الطيب، ج1، ص373. الحموي، معجم الأدياء، مج10، ج19، ص184-185. المراكشي، المعجب، ص56. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص296. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص244.

## الرتاء

الرتاء غرض شعريّ أصيل وجد منذ العصر الجاهليّ، وتابع طريقه في الإسلام مكتسبا معاني جديدة، وناظرا إلى الموت والحياة من منظار الشريعة الإسلاميّة الجديدة، ولم يكن حاله في الأندلس مغايرا عنه في المشرق، فمنه ما كان ينبع من العقل أكثر مما ينبع من القلب والوجدان، فتساق القصيدة لتخفيف المصاب على قلوب المصابين بالعظة والعبرة، ومنه ما كان ترجمة وتأريخا لحياة المرثي، فيذكرون أعمالهم وعلومهم وحوادثهم، وآخر خاص برثاء الملوك والأمراء وأسراهم، وهناك اتّجاه يتمثل في رثاء الآباء والأمهات والأبناء والأصفياء، وآخر يتمثل في رثاء المدن والممالك الأندلسيّة<sup>(1)</sup>.

ولئن عرف في الأندلس رثاء المدن والممالك، غير أننا لم نجده في مخلفات قضائنا الشعرية، ويعزو الطالب ذلك إلى المرحلة التي هي موضع دراستنا، وهي تنتهي بعصر ملوك الطوائف، وإنّما كان هذا النوع من الرثاء في عهود متأخرة، وهي العصور التي تلت ملوك الطوائف من المرابطين والموحدين وما بعدها.

ولم نعثر في دراستنا على غير شكلين من الرثاء، تمثّل أحدهما برثاء العلماء، والآخر برثاء الأبناء، فللقاضي أبي بكر الزبيدي في رثاء شيخه علي بن إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغويّ قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب، صاغها صوغ فحول العرب، وضمّتها قطعة من غريب كلامهم، وهي قصيدة طويلة أولها:

تالله لا يبقى لصرفِ النوى      ذو جِدِّ في رأسِ نيقِ منيف<sup>(2)</sup>

"السريع"

ولم نستطع العثور على أبيات هذه القصيدة سوى ما ذكر، وبها دليل على تقدير القضاة لشيوخهم واحترامهم لهم، فقد كان لهم الأثر البالغ في صقل شخصياتهم، وبناء علومهم، فكان

(1) عتيق. الأدب العربيّ في الأندلس، ص 195-202.

(2) الثعالبي، ينيمة الدهر، ج 2، ص 81.

رثاؤهم نابعا عن شعور عميق بالفقدان والخسارة، إضافة إلى كونه شكلا من أشكال حفظ الجميل والصنيع.

ولأبي الوليد الباجي قصيدتان يرثي بهما ابنه، وقد ماتا مغتربين، فيقول في إحداهما:

رعى الله قليين استكانا ببلدة	هما أسكناها في السواد من القلب
لئن غيِّبا عن ناظري وتبوّءا	فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
يقرّ بعيني أن أزور تراهما	وأصق مكنون الترائب بالترب
وأبكي وأبكي ساكنيهما لعنني	سأنجد من صحب وأسعد من سخب
فما ساعدت ورق الحمام أبا أسى	ولا روحت ريح الصبا عن أخي كرب
ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى	ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب
أحن ويثني اليأس نفسي على الأسى	كما اضطرّ محمول على المركب الصعب <sup>(1)</sup>

"الطويل"

فالقاضي يبدأ قصيدته بالدعاء لابنيه، فيزور قبريهما، ويزرف الدموع على تراهما، ويحرم طيب المنام، ويزهد في طيبات الطعام، ونحن أمام هذه الأبيات نستشعر صدق العاطفة وحرارتها، ومقدار الألم والحزن الذين يسيطران على القاضي، "فالأندلسيون أهل عاطفة رقيقة ووجدان حيّ، يؤثر فيهم المصاب، وتحزنهم النازلة"<sup>(2)</sup>، ومعاني الباجي في رثائه مطروقة إلا أنها جاءت مليية لنداء قلبه وشعوره ووجدانه، ولم يشغل نفسه بالمحسنات البديعية التي كانت سائدة في عصره، فالمصاب جل، والموقف لا يحتمل التكلف والتصنع، ولا يسع القارئ إلا أن يبدي الحزن والأسى على ما أصاب الباجي متأثرا بألفاظه ومعانيه التي تحمل مدلول الألم

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقري، نوح الطيب، مج2، ص75. الحموي، معجم الأدباء، مج6، ج11، ص250-251. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص807. ابن خاقان، الفتح. قلائد العقيان، ص189. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص327.

(2) عيسى، عبد العزيز محمد. الأدب العربي في الأندلس، ص133. مطبعة الاستقامة، مصر: 1355.

والحزن والمرارة (السواد، غيِّبا، التباعدا، تراهما، مكنون الترائب، الترب، أبكي، ورق الحمام، أسي، كرب، اليأس، محمول، المركب الصعب).

ويرثي في قصيدته الأخرى ابنه محمدا فيقول:

أحمدٌ إن كنتُ بعدك صابرا	صبرَ السليمَ لما به لا يسلمُ
ورزئتُ قبلكَ بالنبِيِّ محمدٍ	ولرزوهُ أذهى لديٍّ وأعظمُ
فلقد علمتُ بأنني بك لاحقٌ	من بعد ظني أنني مُتقدِّمُ
وبكلِّ أرضٍ لي من أجلك روعةٌ	وبكلِّ قبرٍ عبْرَةٌ وترنمُ
فإذا دعوتُ سواك حادٍ عن اسمه	ودعاهُ باسمِكَ مَقولٌ بك مُغرَمُ
حكْمُ الردى ومناهجٌ قد سنَّها	لأولي النهى والحذقِ قبلُ متيمٌ
فلئن جُرعتُ فإنَّ ربي عاذرٌ	ولئن صبرتُ فإنَّ صبري أكرمُ <sup>(1)</sup>

"الكامل"

ونرى في "رثائهم لأبنائهم بكاء مرا ينبعث من فؤاد جريح، وقلب منقطر"<sup>(2)</sup>، وعلى الرغم من فجيعة الأب بابنه، إلا أنه يصبر نفسه بموت الرسول عليه الصلاة والسلام، وبهذا يظهر مدى عمق إيمان القاضي، وحرارته الدينية، ونحن أمام كلِّ هذا نرى صدق العاطفة، فاللغة سلسة وبسيطة، والمعاني مطروقة بعيدة عن الزخارف اللفظية التي تتنافى مع الطبع وصدق العاطفة، فالخطب جسيم، والموقف جدّ مثير، وجدير بالذكر أننا لم نلاحظ في رثاء القضاة أثرا لشعر الطبيعة، والذي كان كثير من الشعراء يطعمون به مرثيهم<sup>(3)</sup>، وفي هذا دليل آخر على صدق العاطفة وحرارتها، حيث لم يحتفلوا ولم يلتفتوا أو ينشغلوا بمظاهر الطبيعة.

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص101-102. المقري، نفع الطيب، ج2، ص75. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص189.

(2) عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص134.

(3) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص256.

وبهذا فقد جاء شعر الرثاء عند القضاة على شكل قصائد طويلة، لأنّ الرثاء لديهم كان نابعا من عاطفة حزينة قد برّح بها الحزن أعظم تبريح، فكان الموقف يستدعي الإطالة علّ الرثاء والبوح عن الآلام يخفّفان منها، كما تميز رثاؤهم بصدق العاطفة وحرارتها، واستحضار المعاني الإسلامية، وعدم الاحتفال بمظاهر الطبيعة أو المحسنات البديعية.

## الشكوى

تمرّ على الإنسان أوقات وليال عصبية، ينهمّ بها المرء، ويتكدر صفو حياته، نتيجة عوامل مختلفة تُخلف وراءها هموما ومصائب، فيأخذ في الشكوى والتضجر من آلام هذه الحياة وشقائها وضنك عيشها، وكثيرا ما عبّر الشعراء عن هذه المعاني، فيذمّون الحياة، ويقصدون أولي الجاه والنفوذ، فيبثونهم أحزانهم مادحين لهم، ومتوسلين إليهم، ساتلين العون والخلص.

وقد تنوعت أسباب الشكوى في العصر الأندلسي، فقد مثّل أبو المخشي عاصم بن زيد في شعره بدايات شعر الشكوى التي قالها بعد أن وشى به الحاسدون عند الأمير هشام فقطع لسانه وفقاً عينيه<sup>(1)</sup>، وهناك أيضا شكوى السجناء السياسيين من الثوار والقوَّاد.

لئن كان هذا هو حال معظم الشعراء، فإننا لم نجد في أشعار القضاة، وإنما كانت الشكوى لديهم من نوع آخر، فرضتها عليهم حالة المسلمين من الغفلة والصدّ عن ذكر الله، واختفاء مكارم الأخلاق، يقول القاضي أبو الوليد الباجي:

مضى زمنُ المكارمِ والكرامِ	سقاءُ الله من صوبِ الغمامِ
وكانَ البرُّ فعلا دونَ قولٍ	فصارَ البرُّ نطقا في الكلامِ
وزالَ النطقُ حتّى لستَ تلقى	فتى يسخو برداً للسلامِ
وزادَ الأمرُ حتّى ليسَ إلا	سخي بالأذى أو بالملامِ <sup>(2)</sup>

"الوافر"

فالقاضي يشكو من فساد الأخلاق، ويعنى المكارم، فقد حلت الأقوال محلّ الأفعال، ولم يعد يسخو أحدهم برد السلام، بل على العكس من ذلك يسخون بالسوء والأذى، والباجي عاني سوء الظنّ والمعاملة، فقد اتهم بالزندقة والإلحاد، لأنه أفتى في أمر مثير للجدل على الرغم من

(1) المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك . الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ص103. تحقّق:

الدكتور محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت.

(2) المقري، نفع الطيب، مج2، ص85.

أنّ عددا من علماء الأندلس وصقلية أيدوا رأيه في هذه المسألة<sup>(1)</sup>، إضافة إلى أنه عاش في عصر ضاعت فيه الأخلاق وتفشت المعاصي والمنكرات عند الحكام والعامّة، وتتبع من هذه المقطوعة عاطفة صادقة ملؤها الحزن والأسى على ما آل إليه حال المسلمين، فكانت المفردات قريبة من لغة العوامّ، والتراكيب سهلة سلسلة تخلو من الصور والمحسنات البديعيّة، وجاء كلامه هذا أقرب إلى لغة النثر، فهو في حال لا يسمح له بإطالة القول وزخرفته، وهو لا يحفل بجودة العمل الأدبي بمقدار ما يهتم بعمق المعاني وإيصال رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مختلف الناس حكّامهم وعوامّهم، عالمهم وجاهلهم.

ويكرر القاضي أبو عبد الله محمد بن سليمان الأنصاري المعنى نفسه، فيذمّ أهل زمانه شاكيا سوءهم فيقول:

كَانَ الزَّمَانُ وَكَانَ النَّاسُ أَشْبَهَهُ      فَالْيَوْمَ فَوْضَى فَلَ دَهْرٌ وَلَا نَاسُ  
أَسَافِلٌ قَدْ عَلَتْ لَمْ تَعْلُ مِنْ كَرَمٍ      وَمَشْرِفَاتُ الْأَعَالِي مِنْهُ أَنْكَاسُ<sup>(2)</sup>

"البيسيط"

وقد عاش هذا القاضي في أواخر عصر ملوك الطوائف المليء بالانقسامات والضعف والفتن وتخاذل الحكام عن نصره ديار الإسلام، الأمر الذي أدّى إلى سقوط المدن والممالك الأندلسيّة تباعا، فزمان القاضي غير زمان سابقه، فهو يعيش في عصر يسوده الفوضى، ونقرأ في البيت الثاني تعريضا مبطنًا بحكّام ملوك الطوائف، فهم لا يتّصفون بالكرم وفضائل الأخلاق بل هم جبناء وضعفاء، فسيوفهم أنكاس لا تستطيع الذود عن حياض الإسلام ومحارمه، وللقاضي أبي عمر بن عبد البرّ في الشكوى من الناس:

وَقَائِلَةٌ مَا لِي أُرَاكَ مُرَحًّا      فَقُلْتُ لَهَا: صَنَّةٌ وَاسْمَعِي الْقَوْلَ مُجْمَلًا  
تَتَكَّرَ مِنْ كُنَّا نُسَرُّ بِقُرْبِهِ      وَصَارَ زُعَافًا بَعْدَمَا كَانَ سَلْسَلًا

(1) النباهي. تاريخ قضاة الأندلس، ص202.

(2) ابن عسکر، أعلام مالقة، ص75. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص100.

وَحَقٌّ لِّجَارٍ لَمْ يُؤَافِقْهُ جَارُهُ  
 وَلَا لِعَمَّتِهِ الدَّارُ أَنْ يَتَحَوَّلَا  
 بُلَيْتُ بِحَمَصٍ وَالْمَقَامُ بَبْلَدَةٍ  
 طَوِيلًا لَعَمْرِي مُخْلَقٌ يُورِثُ الْبِلَا  
 إِذَا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ  
 وَلَمْ يَنْعَمِ بِالْأَمْثَالِ إِلَّا بِعَالِمٍ  
 وَمَا عَوِّبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْقِلَ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

فهو يسوق الأبيات بأسلوب حوار بينه وبين زوجته أو ابنته، ويشير إلى عنت ناله بإشبية، فحمله على الرحيل، فهو يشكو من الناس، فقد تنكر له الأصحاب بعدما كانوا قريبين منه، فيرى السفر خير علاج، وهو في ذلك يضمن مقطوعته أبياتا من الحكم والأمثال، وطبيعي من إنسان كان يحتلّ أشرف الرتب أن يكون موضع حسد من معاصريه، كما أنّ كثيرا من أصحاب الهوى والنفوس المريضة يضيّقون ذرعا بأحكام القضاة إن كانت في غير صالحهم، ونراه كذلك يؤكد هذا المعنى بقوله:

وَلَسْتُ بِنَاجٍ مِنْ مَقَالَةٍ طَاعِنٍ  
 وَلَوْ كُنْتُ فِي غَارٍ عَلَى جَبَلٍ وَعَرٍ  
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِمًا  
 وَلَوْ غَابَ عَنْهُمْ بَيْنَ خَافِيَتِي نَسْرٍ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فيرى أنّه مهما كان القاضي عادلا في أحكامه لا يخلو من أن يطعن به أحدهم نتيجة مآرب ذاتية، ومواقف شخصية، ويصيغ قاضينا ذلك بنوع من الحكمة، وهذا الموقف ليس مقصورا على قاض دون آخر، فالقاضي منذر البلوطي أحسنّ بما أحسنّ به ابن عبد البر، فهو يشكو من تنكر أبناء بلده له، ولكنه يسلي نفسه ويعزيها بوجود الخلافة التي لا يستبدل بها شيئا، فيقول:

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم 1، ص 243. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 295\_296. المقرئ، نفع الطيب، ج 4، ص 29.

(2) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص 471.

هذا المقال الذي ما عابَهُ فَنَدُّ  
لكنَّ صاحِبَهُ أزرى بهِ البِلْدُ  
لو كنتُ فيهِمْ غريباً كنتُ مطرَفاً  
لكنَّني منهمُ فاعتالني النكدُ  
لولا الخِلافةُ - أبقى اللهُ بهجَتَها -  
ما كنتُ أبقى بأرضٍ ما بها أحدٌ<sup>(1)</sup>

"البسيط"

وفي هذه الأبيات إشارة واضحة إلى إعجاب الأندلسيين بالمشاركة، وعدم تقديرهم إلى علماء بلادهم، وقد عبّر عن هذا أيضا ابن حزم الأندلسي، حين قال:

أنا الشمسُ في جوِّ العلوم منيرةٌ  
ولكنَّ عيبي أنَّ مطلعِي الغربُ  
ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ  
لجدَّ على ما ضاع من ذكرِي النهبُ<sup>(2)</sup>

ومن هنا فإنَّ الشكوى عند القضاة لم تكن نتيجة مشاكل ذاتية أو هموم فردية من أثر المصائب أو الضيق المادي كما كان عليه الحال عند باقي الشعراء، بل كانت بدافع الغيرة على الدين ومحارمه، ومن أجل بثِّ روح الإسلام عميقا في النفوس، كما رأينا دخول أسلوب المثل والحكمة في شكوى القضاة، وذلك أعمق في النفوس، وأكثر تأثيرا، بالإضافة إلى ذلك فإنَّ جميع هؤلاء القضاة باستثناء منذر البلوطي كان ينتمي إلى عصر ملوك الطوائف، فكانت شكواهم نتيجة لما ساد تلك الحقبة من ضعف وقلقل وهزائم متتالية.

(1) الضبي، بغية الملتمس، ص406. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم2، ص556. المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص374.

المراكشي، المعجب، ص55. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص296.

(2) المقرئ. نفح الطيب، ج2، ص81.

## الغزل

كان لطبيعة الأندلس الفاتنة أثر واضح في استثارة المشاعر، وانقياد العواطف، وطرب النفوس، فكلّ ما في هذه البيئة الجديدة يفتن ويوحى بالسحر والجمال، مما عزّز من ظهور فنّ الغزل وانتشاره بكثرة، وقد اتّسم برقته النائثة من التفنّن البيانيّ في وصف محاسن نساء الأندلس الجميلات، وتصوير مشاعرهم المتضاربة تجاههنّ، ولكنهم لم يبدلوا من نظرتهنّ إلى المرأة، ومن مفهومهم لقيم الجمال فيها، وظلّ الغزل الأندلسيّ كأخيه المشرقيّ حسيّاً يهتم بظاهر الجسد، ولا يحفل بالنفس الإنسانيّة وما يختلجها من مشاعر وأحاسيس<sup>(1)</sup>.

وكان للغزل عند الأندلسيّين عدّة اتّجاهات: الغزل الحسيّ الصريح، والغزل العذريّ العفيف، والغزل بالنصرانيات، والغزل بالمدكّر وأبرز أعلامه ابن سهل الإسرائيليّ، فقد سار في ذلك على خطى شعراء المشرق أمثال حمّاد عجرد وحسين الضحّاك وأبي نواس.

"وما افتنّ الشعراء في شيء كالغزل، ولا تباروا في غيره مثلما تباروا فيه"<sup>(2)</sup>، فعلى حين نجد شيوع الغزل الحسيّ الصريح والغزل بالمدكّر في الأندلس، بفعل انتشار مجالس اللهو والغناء والجواري والقيان، يمكننا القول: إنّنا لم نجد في أشعار القضاة من الغزل إلا أبيات قليلة لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وهو يمثل اتّجاه العفاف، يقول القاضي أبو الوليد الفرضي:

إنّ الذي أصبحت طوعَ يمينه      إنّ لم يكن قمرا فليس بدونه  
ذليّ له في الحبّ من سلطانه      وسقامُ جسمي من سقامِ جفونه<sup>(3)</sup>

"الكامل"

وهو -وكما نراه- عفيف في غزله، لا يصرح ولا يذكر مفاتن المحبوبة، وليست نتفته

هذه إلا محاولة تقليدية تخلو من العاطفة، ويقول القاضي محمد بن سليمان الأنصاري:

(1) عتيق. الأدب العربيّ في الأندلس، ص169.

(2) عيسى، الأدب العربيّ في الأندلس، ص128.

(3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص286. المقرئ، نفع الطبيب، ج2، ص130. الضبي، بغية الملتمس، ص291. الحميدي، جذوة المقتبس، ص399. ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص255. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج3، ص106. ابن بسام، الذخيرة، مج2، قسم1، ص616.

ومن عَجَبٍ أَنِّي أَهْيَمُ بِحَبِيهِ      وأوليهُ إِعْرَاضاً وَفِي القَلْبِ يَرْتَعُ  
كذِي رَمَدٍ فِي مَقَلَّتِيهِ يَزِيدُهُ      سَنَا الشَّمْسِ ضِراً وَهُوَ بِالشَّمْسِ مَوْلَعٌ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

فالقاضي يهيم بالمحبيب، ولكنّه يعرض عنه، فيصور نفسه بمن كان بعينه رمد،  
فيعرض عن الشمس وهو مولع بها، وهي صورة جميلة رائعة.

وبهذا فإننا نجد أشعار القضاة في الغزل قليلة جدا لا تتعدى بضعة الأبيات، وهي مع  
قلتها تتجه اتجاهها عفيفا شريفا بعيدا عما كان سائدا عند شعراء عصرهم من الغزل الحسيّ  
الصريح، كما أنّها تخلو من العاطفة، فاقترنت على شكل نتف صغيرة، حتّى إنهم استبدلوا  
أشعار الطبيعة بالمقدمة الغزليّة في كثير من أغراضهم الشعريّة الأخرى.

---

(1) ابن عسكّر، أعلام مالقة، ص76.

## الاستصراخ

تأتي على الإنسان كوارث وأزمات يعاني منها الجزع والويلات، فيستصر الضعيف بالقوي ويستصرخه، فيهب للدفاع عنه وردّ حقوقه له، وهذا هو حال البشرية منذ بدء الخليقة، وكانت النجدة والنصرة في الجاهلية مبنية على العصبية القبلية، وشيم الأخلاق العربية، فلما جاء الإسلام أصبح الدافع دينياً هدفه الذود عن حياض الإسلام والمسلمين، ونحن نستذكر تلك المرأة المسلمة التي اعتدى عليها الروم، فاستغاثت بالمعتصم قائلة: "وامعتصماه"، فهبّ لنجدها بجيش جرّار فتح به عمورية.

وقد دهى الأندلس بعد انتهاء حكم الأمويين بها وابتداء عصر أمراء الطوائف أزمات سياسية، وأحداث مزللة، فأخذ الأمراء يعيشون للهو والمتعة، ولم يفكروا في مصير الأندلس، واشتدّ نزاع أهل الأندلس، وسدّدوا أسلحتهم إلى صدور بعضهم بعضاً، بدلا من أن يستدّوها إلى صدور أعدائهم، فاستغلّ الإسبانيون ضعف المسلمين وانصداع شملهم، وأخذوا يستجمعون قواهم، ويزحفون باتجاه المدن والمعقل الأندلسية لاسترجاع بلادهم، فتساقطت تباعا، كلّ هذا أثر في نفوس الشعراء، وجعلهم يرسلون النداءات إلى القواد والحكام، ويستغيثون بهم، عسى أن يكون بهم بقية باقية من نخوة أو إيمان، فيستثيرون بهم معاني الجهاد، ونصرة أهل الإسلام بعدما لحقهم الدمار والذل والهوان<sup>(1)</sup>.

ولا نجد في دراستنا هذه أشعارا للقضاة في غرض الاستنفار والاستصراخ، سوى مقطوعة واحدة تعود لعصر الإمارة في استنصار الحكم بن هشام، فيسمع القاضي عباس بن ناصح في الثغر بوادي الحجارة امرأة تقول: واغوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتّى كلب العدو علينا، فأيمنا وأيتمنا، فسألها عن شأنها، فقالت كنت مقبلة من البادية في رفقة، فخرجت علينا خيل العدو، فقتلت وأسرت، فصنع قصيدته التي أولها:

تململت في وادي الحجارة مُسَهراً      أراعي نجوماً ما يُردنَ تغوراً

(1) ضيف، شوقي: عصر الدول والإمارات الأندلس، ص378. ط3، دار المعارف، القاهرة: 1989م. عيسى: الأدب العربي في الأندلس، ص150-151.

إليك أبا العاصي نَضِيتُ مطيبي

تسيرُ بهم سريا<sup>(1)</sup> مُهَجِّرا

تداركُ نساءَ العالمينَ بنصرةٍ

فإنَّكَ أحرى أن تغيثَ وتَنصُرَ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فلما دخل على الحكم أنشده القصيدة، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فغزا ناحيتهم، وأتخن فيها، وفتح الحصون، وخرّب الديار، وقتل عددا كبيرا، فأحضر المرأة وجميع من أسر له أحد في تلك البلاد، فأحضر، فأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتها.

ولعلّ سبب ندرة غرض الاستصراخ في أشعار القضاة يعود إلى عدّة أسباب:

أولا: كان غرض الاستصراخ بمفهومه العامّ نتيجة لسقوط المدن والقلاع الأندلسيّة، واعتداء الإسبان على الإسلام وأهله، وهذا كان في أواخر عصر ملوك الطوائف، وأشعار القضاة التي تمثّل تلك الحقبة قليلة.

ثانيا: لا نفترض أنّ جميع أشعار القضاة قد وصلتنا، فطبيعة النقل والرواية تفقد جزءا من هذه الأشعار، فربّما كان في الجزء المفقود شيء من هذا الغرض.

ثالثا: لم يعول القضاة على ملوك الطوائف، وذلك لما عرف عنهم من فساد الدين والأخلاق، والانهماك في الرذائل والشهوات، والتغافل عن مصير الأندلس، فكان لسان حال القضاة يقول:

لقد أسمعَت لو ناديت حيا

ولكن لا حياة لمن تتادي<sup>(3)</sup>

"الوافر"

(1) ورد في المصدر (ساريا)، وبها لا يستقيم الوزن.

(2) لمقري: نفع الطيب، ج1، ص343.

(3) البيت لعبد الرحمن بن الحكم الثقفى، ينظر: ابن عاشور، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، مج4، ج7، ص208. دار سحنون للنشر والتوزيع: تونس 1997م.

## العلم

كان القضاة على درجة كبيرة من العلم والمعرفة، فقد "كان شعب الأندلس شعبا يقبل على العلم للعلم ذاته... وكان الرجل ينفق كل ما عنده من مال حتى يتعلم، ومتى عُرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال"<sup>(1)</sup>، وقد كانت للقضاة - كما مرّ بنا في الفصل السابق - رحلات علمية ومؤلفات جمّة، حيث كانوا يمثلون طبقة العلماء في المجتمع الأندلسي، فكان من الطبيعيّ أن يظهر أثر ذلك جليًا في أشعارهم، فتراهم يدعون للعلم ويحثون على اكتسابه، ولكن كيف يُنال هذا العلم الذي يدعون إليه؟، إنه لا ينال بالجمع والحفظ، بل يجب أن يقترن هذا بالفهم والوعي، فيقول في ذلك القاضي محمد بن بشير:

أما لو أعي كل ما أسمعُ	وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفد غير ما قد جمعتُ	لقليل هو العالم المقنعُ
ولكن نفسي إلى كل فنّ	من العلم تسمعُهُ تتزعجُ
فلا أنا أحفظ ما قد جمعتُ	ولا أنا من جمعه أشبعُ
ومن يك في علمه هكذا	يكن دهره القهقري يرجعُ
إذا لم تكن حافظا واعيا	فجمعك للكتب لا ينفعُ
أحضر بالجهل في مجلسٍ	وعلمي في الكتب مستودعُ؟ <sup>(2)</sup>

"المتقارب"

وقد امتاز أسلوبه في هذه القصيدة بالسهولة والوضوح، واقتربت لغته من لغة العوام، كما خلت من الصور الفنية والتشبيهات والمحسنات اللفظية فكان شعره قريبا من لغة النثر، ونلاحظ كذلك الإسهاب وعدم الإيجاز الذي يدور حول نفس الفكرة من أجل توكيدها وتعليقها في ذهن القارئ، فهو يصيغ المعاني بجمل وتراكيب مختلفة، وهو في ذلك كله يركز على معاني

(1) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص 71.

(2) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص 86.

العلم والمعرفة (أعي، أحفظ، أستفد، العالم، المقنع، فنّ، جمعت، علمه، حافظاً، واعياً، الكتب)، وله في فضل الكتب وحمد العناية بالدفاتر قصيدة من أجمل ما قيل في الكتاب، فيذكر لنا احتجابه عن الناس، ومصاحبته الكتب متخذاً إياها خير جليس، فهي التي تحدّثه، وتوفيه بالأخبار:

أقبلتُ أهربُ لا آلو مِباعِدةً	في الأرضِ منهمُ فلمُ يُحصنيَ الهَرَبُ
لمّا رأيتُ بأنّي لستُ مُعجِزَهُمُ	فَوَتا ولا هَرَباً قدِ بَتُّ احتجِبُ
فَصِرْتُ في البيتِ مسروراً تُحدّثني	عَنْ عِلْمٍ ما غابَ عَنّي في الوري الكُتُبُ
فرداً تُخبرُني الموتى وتَنطقُ لي	فَلَيْسَ لي مِنْ أناسٍ غيرِهِمُ إربُ

ثمّ يأخذ بعد ذلك في تعداد مناقبها وفوائدها، فهي التي لا يخشى منها السوء والأذى، كما تمدّ الإنسان بالحكم والعبر والآداب من سيرة الرسول، وأيام العرب، وسير الملوك، فكأنه عايش تلك العصور وشاهدها على الرغم من بعد المكان والزمان:

الله مِنْ جلساءَ لا جليسُهُمُ	ولا خليطُهُمُ للسوءِ مرتَقِبُ
لا بادراتِ الأذى يخشى رفيقُهُمُ	ولا يلاقِيهِ منهمُ مَنْطِقُ ذَرِبُ
أبقوا لنا حكماً تبقى منافعُها	أخرى الليلي على الأيامِ وانشعبوا
إن شئتَ مِنْ محكمِ الآثارِ يرفعُها	إلى النبيِّ ثِقاةَ خيرةٍ نُجِبُ
أو شئتَ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بأولِهِمُ	في الجاهليّةِ تُنبيني بها العَرَبُ
أو شئتَ مِنْ سِيرِ الأملاكِ مِنْ عَجَمُ	تُنبي وتُخبرُ كيفَ الرأيِ والأدبُ
حتى كَأني قدْ شاهَدْتُ عَصْرَهُمُ	وقدْ مَضَتْ دونَهُمُ مِنْ دهرنا حَقَبُ

وينهي قصيدته بحكمة تتمثل في عدم موت من ترك أثراً علمياً، فالحضارات خالدة بخلود علومها ومعارفها، وهو بذلك يربط هذه العلوم بالدين، فليس لها قيمة ونفع في معزل عنه:

ما مات قومٌ إذا أبقوا لنا أدبا

وعلم دينٍ ولا بانوا ولا ذهبوا (1)

"البسيط"

وقد امتازت هذه القصيدة بالطول، وجاءت ألفاظها سلسلة بعيدة عن الغرابة والجزالة، وتراكيبها بسيطة خالية من التعقيد، ونحن في ذلك لا نلحظ التكلّف والتصنع بل جاءت مطبوعة مع السليقة، فلم يهتم القاضي بالصور والمحسنات البديعية، فهو ليس بصدد عمل أدبيّ يحاول من خلاله أن يستحوذ على إعجاب الشعراء والنقاد، وإنما هو قاض ينقل تجربته للآخرين، ويقدم النصيحة والمشورة لطالبيها ومحبيها، ولا يخفى علينا أنّ قاضينا في قصيدته هذه يتأثر بعجز بيت شعر المتنبي ويدير معناها حوله:

أعزّ مكان في الدنى سرج ساجح

وخير جليس في الزمان كتاب (2)

"الطويل"

وللقاضي ابن عبد البرّ قصيدة يذمّ فيها المقلّدين الذين لا يدركون علل العلوم ووجوهها، ولا يرون بالاجتهاد، وفي هذا تأكيد آخر على الدعوة للاجتهاد، فما صورة المقلّد الأعمى إلا كالحيوان الذي لا يعقل، ونحن بهذه المعاني نجد أثرا واضحا للقضاء الذي كان الاجتهاد شرطا لتوليه:

يا سائلي عن موضع التقليد خذ

عني الجواب بفهم لبّ حاضر

وأصخّ إلى قولي وذن بنصحتي

واحفظ عليّ بوادري ونوادري

لا فرق بين مقلّد وبهيمه

تتقاذ بين جنادلٍ ودعائر

تبّا لقاضٍ أو لمفتٍ لا يرى

علا ومعنى للمقال السائر

ونلاحظ اقتراب هذا الأسلوب من معنى الهجاء، كما نجد التمثيل الصادق للمذهب المالكي الذي كانت تدور عليه الفتيا والقضاء في الأندلس، والذي يركز على القرآن والسنة

(1) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص 511-512.

(2) المتنبي. الديوان، ص 479. دار بيروت ودار صادر، بيروت: 1377-1958م.

أولاً، والإجماع ثانياً، والاجتهاد ثالثاً، والقاضي في ذلك يرتب مصادر التشريع: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وإجماع التابعين، وقول أهل المدينة، وبعد ذلك يكون الاجتهاد الذي يعتمد على الدليل الشرعي، وقياس الفروع على الأصول :

فإذا اقتديتَ فبالكتابِ وسنةِ الـ	مبعوثِ بالدينِ الحنيفِ الطاهرِ
ثمّ الصحابةِ عندَ عدَمِكَ سنةٍ	فأولئكَ أهلُ نهى وأهلُ بصائرِ
وكذلكَ إجماعُ الذينَ يلونَهُمُ	منَ تابعيهِمُ كابرًا عنَ كابرِ
إجماعُ أمّتنا وقولُ نبينا	مثلُ النصوصِ لدى الكتابِ الزاهرِ
وكذا المدينةُ حُجَّةٌ إنْ أجمعوا	متتابعينَ أوئلاً بأواخرِ
وإذا الخلافُ أتى فدونكَ فاجتهدْ	ومعَ الدليلِ فمِلْ بفهمِ وافرِ
وعلى الأصولِ فقسْ فروعَكَ لا تفسْ	فرعاً بفرعِ كالجَهلِ الحائرِ
والشرِّ ما فيه - فديتُك - أسوة	فانظُرْ ولا تحفلْ بزلةِ ماهرٍ <sup>(1)</sup>

"الكامل"

وينظم القاضي قصيدته، فيبدأ بالعرض مباشرة دون مقدمة، ويجعل من نفسه مجيباً عن أسئلة الآخرين، كل ذلك بصياغة فنية رائعة سهلة الألفاظ سلسلة التراكيب، فيخاطب بها جميع فئات الشعب فيفهمها العالم والجاهل، وهو لا يعبأ بالأسلوب الفني للقصيدة، وصبّ جلّ اهتمامه على الفكرة والمعنى من أجل الوصول إلى الغرض المنشود.

ويؤكد في قصيدة أخرى على ضرورة وعي العلوم وفهمها، وعدم الاكتفاء باقتناء الكتب والمباهاة بها، فقد أولع أهل الأندلس باقتنائها، فأنشأوا المكتبات الخاصة والعامة<sup>(2)</sup>، فكانت قرطبة

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص 291-292.

(2) ينظر: دياب، حامد الشافعي. الكتب والمكتبات في الأندلس، ط1. دار قباء، القاهرة: 1998م.

"أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشدّ الناس اعتناءً بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، حتّى إنّ الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به"<sup>(1)</sup>، فيقول:

يا من يرى فضل<sup>(2)</sup> جمع المال والكتبِ      خُذتَ والله ليسَ الجَدَّ كاللعبِ  
 العلمُ ويحكّ ما في الصدرِ تجمعهُ      حفظاً وفهماً وإتقاناً فذاك أبي  
 لا ما توهمهُ العنديُّ<sup>(3)</sup> من سفهٍ      إذ قالَ ما تبتغي عندي وفي كتبي

ويبين أنّ العلم لا ينال براحة الجسم، أو جمع الأموال، فمن طلب العلاسهر اللبالي:

قالَ الحكيمُ مقالاً ليسَ يدفعُهُ      ذو العقلِ من كان من عجمٍ ومن عربِ  
 ما إن ينالُ الفتى علماً ولا أدباً      براحةِ النفسِ واللذاتِ والطربِ  
 نعمٌ ولا باكتسابِ المالِ تجمعهُ      شتّانَ بينَ اكتسابِ العلمِ والذهبِ

ثمّ يقول إنّ طلب العلم كان سبيل الرسل والأنبياء، ومن تبعهم من الصحابة والصديقين، فتكون بهم قدوتنا:

أليسَ في الأنبياءِ الرُّسلُ أسوتنا<sup>(4)</sup>      عليهمُ صلواتُ الربِّ ذي الحُجبِ  
 حازوا العلومَ وعنهمُ جُملةٌ ورثتُ      وعاشَ أكثرُهُمُ جهداً بلا نَشَبِ

ويختتم القصيدة بمزيد من الحثّ على العلم، فلا حياء في طلب العلوم، وليس به خير إن حال دون تعلّم المرء:

إنّ الحياءَ لخيرٌ كلّهُ أبداً      ما لم يحلّ بينَ نفسِ المرءِ والطلبِ

(1) المقري، نفع الطيب، ج1، ص462-463.

(2) لم ترد هذه الكلمة في المصدر، وإنما أضفناها حتّى يستقيم الوزن.

(3) العندي: المعاند.

(4) لقد وردت في المصدر بلفظ (أرسل)، ولا يستقيم الوزن والمعنى إلا بـ (الرسل).

وكلُّ ما حالَ دونَ الخيرِ لم يكُ في

ما بينَ ذلكَ وبينَ الخيرِ منُ نَسَبٍ<sup>(1)</sup>

"البسيط"

وقد ابتدأ قصيدته هذه بالتصريح، ولا نخفي اعتناء القاضي بهذه القصيدة فقد جاءت تراكيبها متينة حسنة السبك، وقد أكثر من استخدام الطباق (الجد-اللعب، عجم-عرب، جهد-نشب). وله يصف كتابه (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد) :

سميرُ فؤادي مذُ ثلاثينَ حجةً      وصيقلُ ذهني والمفرجُ عنُ همِّي  
بسطتُ لكم فيه كلامَ نبيِّكم      بما في معانيه منَ الفقهِ والعلمِ  
وفيه منَ الآدابِ ما يهتدى به      إلى البرِّ والتقوى وينهى عنِ الظلمِ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

وهكذا فإننا نرى القضاة أولعوا بالعلم والمعرفة، فما في الثياب والرياش يكون قدر المرء ومنزلته، حيث نجد القاضي أبا بكر الزبيدي يوضح هذه المعاني لأبي مسلم بن فهد الهذلي<sup>(3)</sup>، فالعلم شرف عظيم لا يدانيه شرف، ولا يتأتى بالعود واللهم والخمر والقيان، فالقاضي لا يقيم وزنا للمظاهر من جاه وثياب، فيشبه تنوعها وتلونها ببغال اليهود والقسيسين، وهو بهذا يعكس صورة من صور تعدد الأجناس والأديان في الأندلس فيقول:

أبا مسلمٍ إنَّ الفتى بجنائِه      ومقوِّله لا بالمراكبِ واللبسِ  
وليسَ ثيابُ المرءِ تُغني قلامه      إذا كانَ مقصوراً على قِصرِ النفسِ  
وليسَ يفيذُ العلمَ والحلمَ والحجا      أبا مسلمٍ طولُ القعودِ على الكرسيِ  
ولا تُبتنى العلياً بكأسٍ وقينةٍ      وصهباءَ لم تنغزُ بها القدرُ كالورسِ

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص120.

(2) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، مج10، ص611. تحقيق:

محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: 1419-1999م.

(3) لم أعثر له على ترجمة.

أعيرتني أن لم أفرّة مطيّتي  
 فرُبّ ثيابٍ رتّةٍ حشّوها فتّى  
 وأنّ ثيابي غيرُ بيضٍ ولا مُلسٍ  
 وأخرُ برّاقُ الثيابِ وعرضُهُ  
 أجدُّ مُمرُّ غيرُ فسّلي ولا نكسٍ  
 من العارِ والتدنيسِ رجسٌ على رجسٍ  
 مُنوّعةٌ عندَ اليهوديّ والقس<sup>(1)</sup>  
 فإمّا تهولنك البغالُ فإنّها

"الطويل"

ونلاحظ في هذه القصيدة اختلافا عن نظيراتها، فقد أولاهما القاضي العناية والاهتمام، فجاءت تراكيبها جيّدة السبك والصياغة، وقد اهتمّ بالصورة الفنيّة فنجدها موغلة في القصيدة بأكملها.

وبهذا نجد أشعار العلم لدى القضاة كثيرة، وتعبّر عن عمق صلة القضاة بالعلوم وخاصة الشرعيّة منها، كما نرى حثّ القضاة في أشعارهم على نيل العلوم، والدعوة إلى التبصر والاجتهاد فيها، كما غلب عليها طابع القصيدة، ممّا يدل على مدى اهتمامهم بهذا الغرض وتعلّقهم به، وما ذلك إلا لأنّ العلم احتلّ مكانة كبيرة في صدورهم، ونشير كذلك إلى أن قصائدهم هذه خلت من المقدمات بمختلف أشكالها، فدخلوا في الغرض مباشرة، فالموقف عندهم جدّ مثير لا يحتاج إلى البدايات والمقدمات التي تستنزف جهد الشاعر وتأخذ حيزاً من القصيدة على حساب الغرض الرئيس، كذلك فإنّهم لم يهتموا بالصورة الفنيّة والمحسّنات البديعيّة.

(1) ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، ص120. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص86. الحموي، معجم الأدباء، مج9، ج18، ص181. الضبي، بغية الملتبس، ص57. ابن عبد البرّ، بهجة المجالس، قسم2، ص66. المراكشي، المعجب، ص63. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص278. المقرّي، نفع الطيب، ج4، ص7.

## الزهد

لما بددت شمس الإسلام ظلام الجاهلية انصرف الصحابة عن متاع الحياة وزهدوا فيه، وعاشوا للنسك والذكر والابتغال، كما وجدت نزعة الزهد سبيلها في العصر الأموي في مختلف الأقطار الإسلامية لا سيّما العراق وزاهدها الحسن البصري، ولعلّ السبب يرجع إلى ما مني به العراق من فتن وحروب داخلية، وفي العصر العباسي كان أبو العتاهية أول من سنّ وفتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا، وذلك كردّة فعل على ما شاع في عصره عند الشعراء من التهتكّ والمجون والزندقة أمثال أبي نواس<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من كثرة وسائل المتعة في الأندلس، وتطرّف أهلها في الانغراق بالمتع والملذّات، فإننا نرى تطرّفهم في الزهد كذلك<sup>(2)</sup>، ونتيجة عوامل مختلفة كثر شعر الزهد في الأندلس، ويعود بعضها لعوامل الشيخوخة والخوف من الموت، وللتكفير عن الذنوب التي اقترفتها النفس إبان شبابها، ونتيجة تعقد الحياة واضطراب المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، الأمر الذي جعل كثيرا من الشعراء ينحون منحى زهديا في أشعارهم<sup>(3)</sup>، كما كان نتيجة "ردة فعل شديدة ضدّ عدد وفير من أبنائها، ذوي أصوات عالية مسموعة في الانغراق في المادية والابتعاد عن الروحية"<sup>(4)</sup>، ولقد احتلّ الزهد مكانة كبيرة في أشعار القضاة تتمثلت في عدة مواضيع:

### أولا: تحقير الدنيا:

يدرك من كانت صلته بالله قوية أنّ الحياة ليست مادية، وأنّ المصير نحو حياة أخروية دائمة وباقية، فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، ومن هنا نرى القضاة يزهدون في هذه الدنيا ونعيمها محقّرين متاعها، يقول القاضي أبو الوليد الباجي:

(1) الشكعة، الدكتور مصطفى. الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص210-224. ط2. دار العلم للملايين، بيروت:

1975م. عتيق. الأدب العربي في الأندلس، ص216-219.

(2) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص56.

(3) شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر. ص501-502.

(4) الشكعة، الأدب الأندلسي، ص57.

تبلّغ إلى الدنيا بأيسر زادٍ      فإنَّك عنها راحلٌ لمعادٍ  
وغضَّ عن الدنيا وزخرفِ أهلها      جفونكَ واكلها بطولِ سُهَادِ  
وجاهدُ عن اللذاتِ نفسكَ جاهداً      فإنَّ جهادَ النفسِ خيرُ جهادِ  
فما هذه الدنيا بدارٍ إقامةٍ      فيُعتدُّ منْ أغراضها بعنادِ  
وما هيَ إلا دارٌ لهوٍ وفتنةٍ      وإنَّ قصارى أهلها لنفادِ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

فبيدأ مقطوعته بضمير المخاطب، وكأنه يريد زجر قارئها وسامعها، فالحياة قصيرة جداً، فلا يجب علينا أن نشغلها بالمعاصي والملاذات، بل نشغلها بالعبادة والطاعات، وقد جاءت الألفاظ سهلة والمعاني مستوحاة من تعاليم الإسلام، وفي مقطوعة أخرى له يؤكد المعنى نفسه فيقول:

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقينا      بأنَّ جميعَ حياتي كساعةٌ  
فلمْ لا أكونُ ضنينا بها      وأجعلها في صلاحٍ وطاعةٍ<sup>(2)</sup>

"المتقارب"

وقد اقتربت لغة هذين البيتين من لغة النثر فهي توحى بصدق الإحساس لبعدها عن الصنعة والتكلف، فألفاظها سهلة وتركيبتها بسيطة.

ويجمل القاضي ابن عبد البرّ القول في ذلك، فيهون من قدر الدنيا، ويدعو إلى التمسك بحبل الله المتين متأثراً بالقرآن الكريم، فيقول في قصيدة له:

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص103.

(2) الأصفهاني، العماد. خريدة القصر وجريدة العصر، ص505. تحقيق: عمر الدسوقي وعليّ عبد الله العظيم، دار نهضة مصر، الفجالة: 1964م. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص95. الضبي، بغية الملتمس، ص262. المقرئ، نفع الطيب، مج2، ص74. ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص98. ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص201-202. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص120. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص408-409. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص327. الكتبي، فوات الوفيات، مج3، ص65. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص374. الحموي، معجم الأدياء، مج6، ج11، ص250. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص807. الحميري، الروض المعطار، ص75. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص189.

تجافَ عن الدنيا وهونَ لقدرها وخذُ في سبيلِ الدينِ بالعروةِ الوثقى<sup>(1)(2)</sup>

"الطويل"

ثانياً: التذكير بالموت:

فالموت خير واعظ للإنسان، وقد أكثر الزهاد من تداول معاني الموت، ونرى القاضي

ابن أبي عيسى يأمر أن يكتب على سريره:

لا يغرَّتْكَ يا محمدُ ليلٌ	بتَّ فيه على فراشٍ وثيرٍ
مُنعمَ البالِ مطمئناً فلا بدُّ	دَ من النعشِ بعدَ هذا السريرِ
وتذكَّرْ بني أبيكَ أبي عيـ	سى ذوي الجاهِ والعددِ الكثيرِ
قدَّم الزادَ للمعادِ ولا تتـ	سَ إذا ما بطشتَ بطشَ القديرِ
واتَّقِ اللهَ واعلمنَّ <sup>(3)</sup> هذه الأيـ	يامَ واعملُ فيها <sup>(4)</sup> ليومِ النشورِ
قربَ الموتِ منكُ مرُّ الليالي	وأرى النقصَ <sup>(5)</sup> واضحَ التعبيرِ <sup>(6)</sup>

"الخفيف"

ونجد تراكيب هذه القصيدة محكمة السبك، وألفاظها سهلة تحفل بمعاني الموت والفناء

(النعش، المعاد، بطش، النشور، الموت، النقص)، فهو دائماً يجعل الموت نصب عينيه، فلا يريد أن يغيب عنه حتى في منامه، كي يكون ذلك وعظاً وتذكيراً له، فليس معنى راحته ونعمته اليوم أنه سيكون في منأى عن يد المنون، فلا أحد مخلد في هذه الدنيا، وهو يتذكر آباءه وأجداده من بني عيسى، فهم سابقون وهو لاحق بهم، فلا بدَّ له إذن من أن يعمل لآخرته، ويزيد من ميزان حسناته.

(1) وهي مأخوذة من قوله تعالى: (فقد استمسك بالعروة الوثقى)، البقرة، آية 256.

(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم، ص 265. المقري، نفع الطيب، ج 4، ص 28.

(3) أدخلنا نون التوكيد الخفيفة على الفعل ليستقيم الوزن.

(4) أضيفت كلمة (فيها) ليستقيم الوزن.

(5) جاءت في المصدر بإضافة كلمة (منك) ولا يستقيم الوزن إلا بحذفها.

(6) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 409.

ويؤكد القاضي منذر البلوطي على حقيقة الموت، ويشبّهه بالحوض الذي يرد عليه جميع الناس، فلا داعي للخوف والرهبة وراء الأموال والأرزاق وهي مكتوبة ومقدرة من الله تعالى، فيكفي الإنسان من هذه الدنيا حياة الكفاف، ولينشغل بفعل الخيرات والطاعات:

الموتُ حوضٌ وكلنا يَرِدُ      لم ينجُ ممّا نخافُهُ أحدُ  
فلا تكنْ مغرماً برزقِ غدٍ      فلستَ تدري بما يجيءُ غدٌ<sup>(1)</sup>

"المنسرح"

وها هو الشيب ينذر صاحبه بقدوم الموت، ولكنّ الإنسان يتعمى ويتغافل عنه، فيقول:

كم تصابى وقد علاك المشيبُ      وتعمى عمداً وأنت اللبيبُ  
كيف تلهو وقد أتاك نذيرٌ      أن سيأتي الحمامُ منك قريبُ

والموت ليس بداية المطاف، بل تكون قبلها سكرة الموت وعذابها، فلا ينفع معها طبّ ولا دواء، ثمّ يكون بعده النشور والحساب، فالمنايا ترتقب ولا تخطئ:

يا سفيها قد حانَ منك رحيلٌ      بعدَ ذلكَ الرحيلِ يومٌ عصيبُ  
إنَّ للموتِ سكرةً فارتقبها      لا يداويكُ إنَّ أتتكَ طيبُ  
بأمورِ المعادِ أنتَ عليهمُ      فاعمَلنْ جاهدا لها يا أريبُ  
وتذكّرْ يوماً تُحاسبُ فيهِ      إنَّ منْ يُدكّرُ فسوفَ ينيبُ  
ليسَ منْ ساعةٍ منَ الدهرِ إلا      للمنايا بها عليكَ رقيبٌ<sup>(2)</sup>

"الخفيف"

ونحن نجد تأثره في القرآن واضحاً، فقد استمدّ معانيه من آياته، وقد حفلت بالترديد، الأمر الذي يستحوذ على اهتمام السامع، ويجلب انتباهه، والألفاظ رقيقة سهلة تتناسب مع الموقف.

(1) المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص374.

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص239. المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص376.

ويقول القاضي أبو بكر الزبيدي في عظة الموت والقبر:

لو لم تكن ناراً ولا جنّة  
للمرء إلا أنه يُقبرُ  
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ  
ناه لمن يسمعُ أو يُبصرُ<sup>(1)</sup>

"السريع"

### ثالثاً: العبادة والموعظة:

قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"<sup>(2)</sup>، ومن هنا فإن صلة الإنسان بربه تتمثل في العبادات، فالقاضي أبو الوليد الباجي يصور القانت الذي يصلي لله عزّ وجلّ، ويتلو القرآن أثناء الليل وأطراف النهار باكياً من خشية الله، فيقول:

قد أفلح القانت في جُحّ الدجى  
يتلو الكتابَ العربيَ النيرا  
فقائماً وراكعاً وساجداً  
مُبتهلاً مستعبراً مستغفراً  
له حنينٌ وشهيقٌ وبُكا  
بيلٌ من أدمعهِ تربَ الثرى  
إنّا لسفرٌ نبتغي نيلَ المدى  
ففي السرى بغيتنا لا في الكرى  
من ينصبّ الليلَ ينلُ راحتَهُ  
عندَ الصباحِ يحمدُ القومَ السرى<sup>(3)</sup>

"الرجز"

والباجي في هذه الأبيات يضعنا أمام صورة فنيّة تخلو من التشبيهات، كلّ ذلك بأسلوب فنيّ بديع وألفاظ رقيقة ناعمة وتراكيب سلسلة نلتمس بها رقة الإحساس، وفيض الشعور، وصدق العاطفة، وكذلك فإنه يوظف المثل (يحمد القوم السرى).

وللقاضي ابن عبد البرّ في ضرورة التمسك بالحديث، وأتباع الاثر:

(1) الثعالبي، بتيمة الدهر، ج2، ص81.

(2) سورة الذاريات، آية56.

(3) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104\_105.

مقالةُ ذي نُصْحٍ وذاتُ فوائِدٍ      إذا منْ ذوي الألبابِ كانَ استماعُها  
عليكمُ بأثارِ النبيِّ فإنَّها      مِنَ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الرِّشَادِ اتِّبَاعُهَا<sup>(1)</sup>

"الطويل"

ونجد في هذين البيتين الموعظة والنصيحة، وليس فيهما من الشعر غير الوزن والقافية، فقد كانا مرتجلين، ولم يعبأ فيهما بالصنعة الأدبية، فكانا قريبين من لغة النثر.

رابعاً: الانقطاع إلى الله تعالى:

يفرّ القاضي يونس بن الصفار إلى الله من ظلمه لنفسه ومعصيته، "وكان يميل إلى التصوف في العبادة"<sup>(2)</sup>، فهو يتوب إليه، فرضاء الله تعالى غايته، فهو يلهج دائماً بذكره، ويتذكر يوماً يوضع في ظلمات القبر، فيقول:

فررتُ إليك منْ ظلمي لنفسي      وأوحشني العبادُ وأنتَ أنسي  
رضاكَ هوَ المنى وبكَ افتخاري      وذكرُكَ في الدجى قَمَرِي وشمسي  
قصدتُ إليكَ منقطعاً غريباً      لتؤنسَ وحدثي في قعرِ رمسي<sup>(3)</sup>

"الوافر"

فهو يفرّ من العباد إلى الله عزّ وجلّ، فهو مؤنسه في وحشته هذه، ومناه أن ينال رضا الله فهو دائم الذكر والتسبيح حتّى أصبح هذا الذكر بمثابة القمر أو الشمس الذين ينيران دربه.

ويقول القاضي أبو بكر الزبيدي في الخضوع لله والانقياد إليه:

اتركَ الهَمَّ إذا ما طرَقَكَ      وكلَّ الأمرِ إلى منْ خلقَكَ

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص284.

(2) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص360.

(3) الضبي، بغية الملتبس، ص447. الحميدي، جذوة المقتبس، ص613. المطمح، ص289. المقرئ، نفح الطيب، ج4، ص26.

وَإِذَا أَمَلَّ قَوْمٌ أَحَدًا

فَالِى رَبِّكَ فَاْمُدُّدُ عُنُقَاكَ(1)

"الرمل"

**خامسا: التوبة:**

يظهر القاضي أبو الوليد الباجي نادما على رجاء غير الله، فهو تائب مقلع عن معصيته، ويريد أن يكفر عن ذنوبه فيقول:

تداركتُ مَنْ خَطِيئُ نادما  
فلا رُفَعَتْ صَرَعتي إن رُفَعَتْ  
أُموْت وأدعو إلى من يموت(2)  
أن أرجو سوى خالقي راحما  
يدي إلى غير مَولاهما  
بماذا أكفر هذا بما!؟(3)

"المتقارب"

**سادسا: الحمد والشكر:**

وفي ذلك يقول القاضي أبو الوليد الباجي في حمد الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى:

الحمدُ لله حمدَ معترفٍ  
وأنَّ ما بالعبادِ من نِعَمٍ  
وأنَّ شكري لِبعضِ أنعمه  
بأنَّ نِعْمَاهُ ليسَ نحصيها  
فان مولى الأنامِ موليها  
من خيرٍ ما نعمة يواليها(4)

"المنسرح"

ويخص بالذكر من هذه النعم السمع والبصر والكلم، فبالحمد يكون نماؤها، وبالكفر يكون

زوالها:

(1) المقري، نفع الطيب، ج4، ص333.

(2) وردت في المصدر (أموت ولا أدعو إلى من يموت)، وهذا خلل في الوزن والمعنى.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص374.

(4) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104.

وَمُبْدِعِ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْكَلِمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ

يَكْفُرُ فَكَمْ نِعَمٍ آَلَتْ إِلَى نِقَمٍ<sup>(1)</sup>

مَنْ يَحْمَدُ اللَّهَ يَأْتِيهِ الْمَزِيدُ وَمَنْ

"البسيط"

### سابعاً: التضرع والدعاء:

ويترك لنا القاضي أبو الوليد الفرضي مقطوعة في التضرع والتذلل إلى الله عزّ وجلّ، فهو يخاف من ذنوبه التي تحصى له يوم القيامة في صحيفته، كما توحشه ظلمة القبر بعد أن يتركه الأقارب والأصحاب، فيرجو الله الرحمة والمغفرة، فيقول:

عَلَى وَجَلِّ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَأَقِفُ

وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ

يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا

وَمَا لَكَ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفٌ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي

إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ

فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صُحُفِي

يَصُدُّ ذُوو الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَلَّفُ

وَكُنْ مُؤَنِّسِي فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا

أُرْجَى لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَأَلَّفُ<sup>(2)</sup>

لِنُّنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي

"الطويل"

ولم يكن هؤلاء القضاة هم أول من طرق تلك المعاني، بل سبقهم إليها المشاركة، حيث اتخذوا من الموت قارعا ومنبها، وركّزوا على الاعتراف بالذنب وطلب التوبة والغفران من الله عزّ وجلّ، وهوتوا من قدر الدنيا، ودعوا إلى مخاصمتها وتجاهلها، وأكثروا من قول الحكمة، وضمنوا أشعارهم آيات من القرآن الكريم<sup>(3)</sup>.

(1) المصدر نفسه، مج1، قسم2، ص104.

(2) المقري، نفع الطيب، ج2، ص129. ابن بشكوال، الصلة، قسم2، ص253. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج3، ص105.

(3) الشكعة. الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص223-224.

وهكذا فإننا نجد في أشعار القضاة كمًا كبيرًا من شعر الزهد، وتمثل نموذجًا حيًا لهذا الغرض الذي تعددت أشكاله وصوره، وجاء كثير من معانيه متأثرة بالقرآن الكريم وتعاليم الدين الحنيف، فلمسنا في جميعها صدق الشعور، وحرارة الإيمان، وكانت الألفاظ بسيطة سهلة تقترب من لغة الحياة، والتراكيب سلسلة خالية في معظمها من الصور والتشبيهات والمحسنات اللفظية، كما جاء معظمها على شكل مقطوعات قصيرة، وبهذا يتبين لنا أنهم كانوا غير متكلفين لها، بل كانت تقال في الحياة اليومية، مستشعرين أهميتها في معاملاتهم وقضائهم، كما ينعكس أثر القضاء جليًا في شعر الزهد، فلقد كان يشترط في القضاة أن يكونوا من أهل الزهد والتقوى والصلاح.

## الإخوانيات والمراسلات

وهي ظاهرة انتشرت في عصر ملوك الطوائف، ويمتاز أسلوبها بالسهولة، والبعد عن التكلف العاطفي، وسهولة عباراتها، وبعدها عن المبالغة والتزلف، وقد اشتركت جميع الطبقات داخل المجتمع الأندلسي في نظم هذا الغرض، فدارت حول علاقات الأصدقاء بعضهم ببعض في مختلف شؤون الحياة من عيادة وتهنئة وشوق وعتاب وهجاء، وقد دخلت في مجالس الأُنس والطرب ومجالس الأدب وندوات الشراب<sup>(1)</sup>.

وكان للقضاة مشاركة واضحة في هذا المجال، وعلى الرغم من أن أكثر ما حررت فيه الرسائل الشعرية هي الدعوة لمجالس الأُنس، وعقد مجالس اللهو والشراب، إلا أننا لا نجد شيئاً من ذلك في مراسلات القضاة، بل كانت تتمثل في العلم والصدّاقة والقضاء والفكاهة، فكتب القاضي منذر بن سعيد البلوطي إلى أبي علي البغدادي يستعير منه كتاباً في الغريب:

بحقّ ريمٍ مهفّفٍ                      وصدّغِهِ المتعطفُ  
ابعثْ إليّ بجزءٍ                      منَ الغريبِ المصنّفِ<sup>(2)</sup>

"مجزوء المجتث"

ونلاحظ في هذه المقطوعة سهولة الألفاظ والعبارات، وبعدها عن التتمّق والتزلف، فقد خلت من عبارات التكلف والمجاملة. وكان للقضاة حظّ في مجال النقد الفني، كقول القاضي ابن عبّاد يعارض أبا الأصبع بن عبد العزيز<sup>(3)</sup>، وينقد عليه شيئاً من التشبيه:

أبلغُ شقيقيّ عنيّ                      مقالَةً لتمضُّهُ  
بأنّ وصفَ الأفاحي                      الذي وصفتَ لمَ أرضةً

(1) ينظر: شلبي. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص476-477. الشناوي، عليّ الغريب محمّد. القصيدة الأندلسية في كتاب أعلام مالقة "دراسة فنية"، ط1، ص57. مكتبة الآداب، القاهرة:2003م.

(2) المقري، نوح الطيب، مج2، ص20. الحموي، معجم الأديباء، مج10، ج19، ص184.

(3) هو الوزير أبو الغصين بن عبد العزيز، أديب وشاعر، ينظر ترجمته في:

الضبي، بغية الملتبس، ص451. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم2، ص620.

هلا وصفتَ الأَفاقي  
بأَكْؤُسٍ مِنْ فَضَّةٍ  
أَوْ النجومِ تَساقِطُ  
نَ فِي المِها المِبيضة<sup>(1)</sup>

"مجزوء المجنتث"

وعلى الرغم من اتجاه هذه المقطوعة النقدي إلا أنها تحمل نوعا من الدعابة، وتخلو من السخط والهجاء سوى ما كان في كلمة (تمضه) التي نلمس فيها نوعا من التودد واللين فقد دعا أبا الإصبع بالشقيق، وجاءت الألفاظ سهلة قريبة من لغة العامة.

وهناك فرع من المراسلات يسمّى المطارحات، "ولا تسمّى مطارحة إلا عندما يُردّ على شعره بشعر مثله يتفق معه وزنا وقافية، وقد عرف المشاركة هذا اللون من المراسلات، ولكنّ الأندلسيين توسعوا فيه"<sup>(2)</sup>، وفي ذلك كتب الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفيّ إلى القاضي الزبيدي كتابا فيه "فاضت نفسه" بالضاد، فجاوبه الزبيدي بمنظوم بيّن له فيه الخطأ دون تصريح، فقال:

قل للوزيرِ السنيِّ مَحْتِدُهُ  
لي ذمّةٌ منك أنتَ حافظُها  
عنايةً بالعلومِ مَفْخَرَةٌ  
قدْ بهِظَ الأولينَ باهْظُها  
يُفِرُّ لي عَمْرُها وَمَعْمَرُها  
فيها ونظامُها وِجَاحُظُها  
قدْ كانَ حَقًّا قَبولُ حُرْمَتِها  
لكنَّ صَرَفَ الزمانِ لافْظُها  
وفي خُطوبِ الزمانِ لي عِظَةٌ  
لو كانَ يَبْتِي النفوسَ واعْظُها  
إنْ لَمْ تُحافظْ عُصَابَةٌ نُسِبتُ  
إليكَ قَدْما فَمَنْ يُحافظُها  
لا تَدَعَنَّ حاجتي يَمَطْرَحَةٌ  
فإنَّ نفسي قد فاطَ فائْظُها<sup>(3)</sup>

"المنسرح"

(1) ابن بسام، الذخيرة، ج1، قسم2، ص205.

(2) شلبي. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص486.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص86-87. الحموي، معجم الأدياء، مج9، ج18، ص182. المراكشي، المعجب،

ص63. المقرئ، نفع الطيب، ج4، ص6.

فأجابه المصحّي طالبا منه أن يبين الشاهد على ذلك:

خَفَضُ فَوْاقَا فَأَنْتَ أَوْحَدُهَا      عِلْمًا وَنَفَائِبُهَا وَحَافِظُهَا  
كَيْفَ تَضِيعُ الْعُلُومُ فِي بَلَدٍ      أَبْنَاؤُهُ كُلُّهُمْ يَحَافِظُهَا  
أَلْفَاظُهُمْ كُلُّهَا مُعْطَاةٌ      مَا لَمْ يُعَوَّلْ عَلَيْكَ لِأَفْظُهَا  
مَنْ ذَا يُسَاوِيكَ إِنْ نَطَقْتَ وَقَدْ      أَفْرًا بِالْعَجْزِ عَنْكَ جَاحِظُهَا  
عَلِمْتُ تَتَى الْعَالَمِينَ عَنْكَ كَمَا      تَتَى عَنِ الشَّمْسِ مِنْ يَلَاحِظُهَا  
وَقَدْ أَتَيْتِي فُديتَ شَاغِلَةٌ      لِلنَّفْسِ أَنْ قَلتُ فَاظًا فَاتُظُهَا  
فَأَوْضَحْنَهَا تَقْرُزُ بِنَادِرَةٍ      قَدْ بَهَظَ الْأَوْلِيانَ بَاهِظُهَا<sup>(1)</sup>

"المنسرح"

فأجابه الزبيدي، وضمن شعره الشاهد على ذلك:

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْ كَرِيمٍ مُكْرَمٍ      فَفَنَفَسَ عَنْ نَفْسٍ تَكَادُ تَقِيظُ  
فَسِرًّا جَمِيعَ الْأَوْلِيَاءِ وَرُودُهُ      وَسِيءَ رِجَالٍ آخِرُونَ وَغِيظُوا  
لَقَدْ حَفِظَ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ أَضَاعَهُ      لَدَيْ سِوَاهُ وَالْكَرِيمُ حَفِيظُ  
وَبَاحِثَتَ عَنْ "فَاطِمَتٍ" وَقَبْلِي قَالَهَا      رِجَالٌ لَدِيهِمْ فِي الْعُلُومِ حُطُوظُ  
رَوَى ذَلِكَ عَنْ "كَيْسَانَ" سَهْلًا<sup>(2)</sup> وَأَنْشَدُوا<sup>(2)</sup>      مَقَالَ أَبِي الْغِيَاظِ وَهُوَ مَغِيظُ  
"وَسُمِّيَتْ غِيَاظًا وَلَسْتُ بِغَائِظٍ      عَدُوًّا وَلَكِنْ لِلصِّدِيقِ تَغِيظُ"  
"فَلَا حَفِظَ الرَّحْمَنُ رُوحَكَ حَيَّةً      وَلَا هِيَ فِي الْأَرْوَاحِ حِينَ تَقِيظُ"<sup>(3)</sup>

"الطويل"

- 
- (1) الحميدي، جذوة المقتبس، قسم 1، ص 87. الحموي، معجم الأديباء، مج 9، ج 18، ص 182. المراكشي، عبد الواحد المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 6. المقرئ، نفع الطيب، ج 4، ص 6.
- (2) كيسان: هو ابن المعرف أبو سليمان الهجيمي النحوي. سهل: هو أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد، العالم اللغوي الشاعر، توفي عام 248، ينظر: السيوطي. بغية الوعاة، ص 265-267.
- (3) الحميدي، جذوة المقتبس، قسم 1، ص 87-88. الحموي، معجم الأديباء، مج 9، ج 18، ص 183. المراكشي، المعجب، ص 64. المقرئ، نفع الطيب، ج 4، ص 6.

والصحيح أن كلتا اللفظتين واردة، فرويت "فاظت نفسه" بالظاء، و"فاضت نفسه" بالضاد<sup>(1)</sup>، ونحن في هذه المطارحة نجد الألفاظ والتراكيب غير ما كانت عليه في المراسلات السابقة، فقد جاءت صعبة، وذلك لطبيعة الغرض الذي نظمت من أجله، فقد كان الخلاف لغويا دلاليا انعكس على ألفاظ هذه المطارحة وتراكيبها، ولا نجد فيها خروجا عن الأدب وحسن الخطاب، فيحفظ عليه لقبه ومنزلته ويدعوه بالوزير والكريم المكرّم من غير تكلف أو مجاملة، وإذا قارنا بين المنظومتين الأولى والثانية فإننا نرى التزاما بسمات المطارحة فيحافظ على الوزن، فقد بنى القاضي الزبيدي منظومته على البحر المنسرح، وكذلك التزم الوزير بالبحر نفسه، كما حافظ على القافية ممثلة بحرف الروي وهو الظاء، إضافة إلى ذلك فإننا نجد القاضي والوزير يحافظان على عدد الأبيات نفسه وهو سبعة، كما نجد توافقا في المنظومات الثلاثة من حيث عدد الأبيات وحرف الروي.

ومن مراسلاتهم في أمور القضاء وتوابعه، أن استنبط الوزير أبو زيد بن خدير القاضي محمد بن السليم بإنفاذ تسجيل له، فكتب إليه بشعر يستعته فيه، فقال:

إذا لم يكن منك الجميل فإنني      رضىتُ بأن أعتاضَ حسنَ التّصلِ  
لأجعلَ دونَ الصبرِ للوصلِ عقلهُ      عسى وطنا يبقى لنا بالتجملِ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فأجابه القاضي بقوله: (الطويل)

أتاني قريضٌ كالجُمانِ المفضّلِ      بديعٌ معانيه لطيفُ التّوصلِ  
حباني به نذبٌ كريمٌ معظمٌ      بأسلابه من ماجدٍ متفضلِ  
خلا أن فيه بعضَ عتبٍ لشخصه      يلامُ لتقصيرٍ وليسَ بمؤتلِ  
وما عاقَ عن إنفاذ ما قد رغبته      سوى خطأ في العقلِ غيرِ مُحصّلِ

(1) يراجع لسان العرب، مادة (فيض).

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص544.

وغابَ اللذانِ أخطأَ في نظامه  
فلمْ يكتملْ منه مرادُ مؤمّلٍ  
وإنّي وقد طالَ انتظاري علاجَهُ  
فأكملتُ ما قدْ كانَ غيرَ مكّمَلٍ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

ونجد التراكيب محكمة السبك والألفاظ جزلة متينة تخلو من الغرابة والتعقيد، وقد التزم القاضي بالبحر العروضي وهو الطويل، وحرف الروي وهو اللام، ولم يلتزم بعدد الأبيات.

وكتب بعض الأدباء متفكها إلى القاضي منذر بن سعيد بقوله:

مسألة جئتكَ مستفتياً  
عنها وأنتَ العالمُ المستشارُ  
علامَ تحمرُّ وجوهُ الطبّا  
وأوجهُ العشاقِ فيها اصفرارُ<sup>(2)</sup>

"السريع"

فأجابه:

احمرَّ وجهُ الطّبي<sup>(3)</sup> إذ لحظةً  
سيفٌ على العشاقِ فيه احورارُ  
واصفرَّ وجهُ الصّبِّ لما نأى  
والشمسُ تبقى للمغيبِ اصفرارُ<sup>(4)</sup>

"السريع"

ويدخل هذا في باب الشعر التعليمي، كما أنه قريب من الألفاظ والأحاجي، فهو ضرب من الرياضة العقلية، والترف الثقافي، فيخلو من العاطفة، فقد كان يهدف إلى قتل الفراغ وإظهار البراعة واختبار الذكاء<sup>(5)</sup>، ونرى فيها الألفاظ السهلة الخفيفة الرشيفة، والتراكيب البسيطة البعيدة عن التعقيد، ويلتزم الشاعر بالبحر السريع، وحرف الروي الراء، وعدد الأبيات وهو اثنان.

(1) المصدر نفسه، ج3-4، ص545.

(2) المقري، نوح الطيب، مج2، ص20.

(3) وردت في المصدر بلفظ (الظبا)، وبها لا يستقيم الوزن.

(4) المقري، نوح الطيب، مج2ص20.

(5) شلبي. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، ص487.

ومما جاء لهم في الهدية والتودد أن أهدى القاضي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن وafd اليحصبي إلى القاضي الزبيدي طبق ورد، وكتب معه:

أهديتُ شَبَّهَكَ منظرًا      في العالمينَ ومخبرًا  
فتَقَبَّلَنُ بدرَ الذي      يرجو رضاكَ وذا حرا<sup>(1)</sup>

"مجزوء الكامل"

فأجابه الزبيدي:

قد أتانا منك ما جا      نسَ أخلاقك فوحا  
طبق الورد الذي أهدى      إلى الأرواح روحا  
فأنا دهري عليه      أعتني بالشكر مدحا  
لم تنزل في العلم يا يحـ      يى على الأدواح دوحا<sup>(2)</sup>

"مجزوء الرمل"

ونحسّ في هذه الأبيات بصدق العاطفة، فقد جاءت الألفاظ سهلة والتراكيب بسيطة، ولئن جامل القاضي الزبيدي القاضي يحيى إلا إنّنا لا نجد في ذلك التكلّف والتصنّع، فكان بعيدا عن الغلوّ والتزلف، ويجدر بالذكر أن الزبيدي لم يلتزم بشيء مما اشترط في المطارحات من حيث الوزن والقافية والعدد.

ومن هنا فإننا نجد تنوعا في مراسلات القضاة الشعرية فكانت في الإعارة والنقد والعتاب والألغاز والقضاء، وامتازت بسهولة الألفاظ وسلاسة الجمل والتراكيب فأوحت بالصدق والعفوية والطبع، وابتعدت عن التكلّف والتصنّع والغلوّ في المجاملات، كما حافظت المطارحات على خصائصها الفنية فالتزمت بالبحر والقافية وعدد الأبيات.

(1) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص668.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص668.

وقد تذاكر القاضي أبو عمر أحمد بن يحيى بن سحيق مع آخر آداب عيادة المرضى،  
وتناشدا قول الناظم<sup>(1)</sup> في ذلك:

حُكْمُ العيادةِ يومَ بينَ يومينِ      واقعدُ قليلا كمثلِ اللحظِ في العينِ  
لا تَبْرِمَنَّ عليلا في مُسائِلِهِ      يكفيكَ منْ ذاكَ: تسألُهُ بحرَفينِ<sup>(2)</sup>

"البسيط"

وأنشد القاضي معارضا لهذا الشعر:

إذا لَقِيتَ عليلا      فاقعدُ لديه قليلا  
ولا تُطوِّلْ عليه      وقلْ مقالا جميلا  
وقمْ بفضلِكَ عنه      تكنْ حكيما نبيلًا<sup>(3)</sup>

"مجزوء المجتث"

ولا نجد المعارضة هنا بمعناها المعروف الذي تلتزم بحر القصيدة المعارضة وقافيتها، بل هو نوع من الإجازات دون التزام أي شيء غير الموضوع نفسه، وقد جاءت الألفاظ والتركيب سهلة بسيطة تقترب من اللغة المحكية ولغة العوام. وقال أحدهم في فضل الكتاب:

وأذُ<sup>4</sup> ما طلبَ الفتى بعدَ النقى      علمٌ هناكَ يزيْنُهُ طابُبه  
ولكلِّ طالبٍ لذَّةٌ مُتَنَزَّهَةٌ      وألذُّ نزهةٍ عالمٍ كُتُبُهُ<sup>(5)</sup>

"الكامل"

وزاد القاضي فيها بحضرته فقال:

(1) البيتان لجعفر بن حذار الكاتب، فقد وردا في: ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم 1، ص 243.

(2) ابن بشكوال، الصلة، قسم 1، ص 58.

(3) المصدر نفسه، قسم 1، ص 58.

(4) وردت في المصدر دون واو، والوزن لا يستقيم إلا بها.

(5) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص 512.

وَيَبِينُ عَنْهُ إِنَّ قَرَأَ نَصْبُهُ

يُسْلِي الْكِتَابُ هُمومَ قَارئِهِ

لَا مَكْرَهُ يَخْشَى وَلَا شَعْبُهُ<sup>(1)</sup>

نِعَمَ الْجَلِيسُ إِذَا خَلَّتْ بِهِ

"الكامل"

ونرى هنا التزامه بالبحر والقافية والموضوع، وبهذا فإننا نجد معارضاة القضاة على شكل مقطوعات، تلتزم حيناً بخصائصها التقليدية، وتخرج حيناً آخر عنها، ولم تكن موضوعاتها بعيدة عمّا عرف عن القضاة من العلم وحسن السيرة والأخلاق.

---

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله ، ص512.

## الأخلاق

لعلَّ شعر الآداب والأخلاق الإسلامية من أبرز ما تميزت به أشعار القضاة، وعلى حين نجد هذا الموضوع ضمنا في الأغراض الأخرى، ولا سيما غرض الزهد الذي يرفع لواء الدعوة إلى مكارم الأخلاق، إلا أننا نجد القضاة يستقلّون به، فلقد كان لهم دور بارز في هذه الدعوة، يظهر هذا في مؤلفاتهم ككتابي القاضي ابن عبد البر: (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) و(بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس).

وقد وقف ابن زرب القاضي يوما بالقاضي أبي بكر الزبيدي، فلما علم به خرج إليه مكشوف الرأس، وبیده مديّة، فلما كان في بيته سارع لقضاء حقّه، فوقف قائما وقضى حقّه، فأنكر ابن زرب خروجه على تلك الهيئة، وسأله الجلوس، فأبى وأنشد:

أقومُ وما بي أن أقومُ مذلّةً      عليّ وإنّي للكرامٍ مبحّلُ  
على أن لي منها لغيري مجنةً      ولكنّها بيني وبينك تجملُ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

وهذا يدلّ على مدى تواضع القضاة، وإكرامهم للضيف، وللقاضي الزبيدي أيضا في البرّ والتسامح قوله:

أقابلُ بالرفق عُنفَ العنيفِ      وأقنعُ من صاحبي بالطفيفِ  
ويكرمني برُّ غيرِ الشريفِ      فأنسخُ ذاكِ ببرِّ الشريفِ<sup>(2)</sup>

"المتقارب"

فهو يقابل الإساءة بالرفق، ولا يعامل بالمثل، كما أنه ببرّ الشريف فيكرم به. وللقاضي أبي الوليد يونس بن الصّفّار في معنى الصبر:

(1) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص583.

(2) المصدر نفسه، ج3-4، ص583.

وَأَلْزَمُ نَفْسِي الصَّبْرَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

أَدْفَعُ أَيَّامِي بِقَصْدٍ وَبُلْغَةٍ

بِعَيْنِ الَّذِي يَرْجُوهُ كُلُّ مَكَابِدٍ<sup>(1)</sup>

وَأَعْلَمُ أَنِّي فِي مَكَابِدَةِ الْبَلَاءِ

" الطويل "

ويقول في المسارعة إلى فعل الخيرات:

فَإِنَّ مَنْ خَلْفَكَ مَا تَعْلَمُ

سَارِعٌ إِلَى الْخَيْرِ وَبَادِرٌ بِهِ

فَطَالِبُ الْفِرْدَوْسِ لَا يَسْلَمُ<sup>(2)</sup>

لَا تَسْأَمُ الْكَدَّ وَطَوْلَ السُّرَى

" السريع "

وبهذا فإنَّ القضاة لم يكتفوا بإصلاح أنفسهم، بل أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ودعوا إلى محاسن الأخلاق وفضائل الأعمال، وقد امتازت أشعارهم بسهولة الألفاظ ويسر الجمل والتراكيب، ولئن كنا نلاحظ فيها بعض التفنن والتنميق إلا أنه كان من غير غلو أو إسراف.

(1) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص740.

(2) المصدر نفسه، ج3-4، ص740.

## الفصل الثالث

### الخصائص الفنيّة لشعر قضاة الأندلس

• البناء اللغويّ

• بناء الصورة الفنيّة

• البناء الموسيقيّ

### البناء اللغويّ

• تأثير الحضارة.

• السهولة والبعد عن التكلّف.

• البساطة والشعبية والاقتراب من لغة العامة.

• اقتراب أسلوب الشعر من النثر.

• الطباق.

• الترادف.

• الجمل الخبرية والإنشائية.

• التأثر بالتراث الإسلاميّ.

تطور أسلوب حياة الأندلسيين، وتطورت حياتهم الاجتماعية، وعاشوا في بيئة حضارية تعددت بها الأديان والجنسيات واللغات، فكان طبيعياً أن تتأثر لغتهم بهذه البيئة الجديدة، فتخلصت من الغموض والتعقيد، وتغير إحساس الشعراء بالألفاظ بتطور ذوق العصر، فتخلصوا ما أمكن من الوقوع تحت تأثير المعجم اللغوي القديم، وأخذوا يعبرون عما في نفوسهم بلغة بسيطة سهلة لا توعر فيها ولا إغراب، وما كان قضاة الأندلس بخارجين عن سمت شعراء الأندلس وأساليبهم سوى ما كان لهم من معجم لغوي خاص ظهر فيه أثر مهنة القضاء جلياً واضحاً، وسنتناول في هذا المبحث دراسة اللغة والأسلوب من عدة جوانب، أهمها:

### تأثير الحضارة

شاعت في الأندلس بعض المفردات والتراكيب التي كانت وليدة الحضارة الأندلسية، مثل (سيدي)، فيقول القاضي أبو الوليد عبد الله بن الفرضي مخاطباً بها الله عزّ وجلّ، فيتضرع إليه ويرجوه :

فيا سيدي لا تُخزني في صحيفتي إذا نُشرت يومَ الحسابِ الصائف<sup>(1)</sup>

"الطويل"

ويقول القاضي محمد بن السليم مخاطباً الحكم المستنصر:

أو كان ملكني الرحمن من أجلي شيئاً وصلت به يا سيدي أجلك<sup>(2)</sup>

"البسيط"

كما نجد شيوع بعض الصفات والألقاب العلمية مثل (الشهاب، وعلم الهدى، والأوحد)،

وفي ذلك يقول أبو الوليد الباجي:

(1) المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص129. ابن بشكوال، الصلة، قسم2، ص253. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج3، ص105.

(2) المقرئ، نفع الطيب، مج3، ص466.

هذا الشهابُ المستضاءُ بنوره

علمُ الهدى هذا الشهابُ الأوحْدُ<sup>(1)</sup>

"الكامل"

وظهرت أيضا كلمات جديدة نتيجة تنظيم الجيوش وتحديثها، مثل (عسكر، ومستوطن)،  
فالقاضي أبو عبد الله بن أبي عيسى يقول في رفيقين له من البرابرة يسميان عجنوس ويعقوب،  
أرسلهما معه بعض أمراء العلويين بالعدوة:

تضمّنَ عسكرنا إبرةً	نقيضين في قبةٍ واحدةٍ
فقدَ برَّ يعقوبُ به بحرةً	إذا شطَّ قسورةٌ لأبدةً
وعجنوسُ مستوطنٌ لا يريمُ	كما أرسَتِ الجعصةُ الخالدةُ <sup>(2)</sup>

"المتقارب"

ومن مظاهر الحضارة الأندلسية الحمامات العامة، يقول القاضي أبو الحسن الرعيني:

ألا لعين الحمام داراً فإنَّهُ

سواءً به ذو العلم والجهل في القَدْر<sup>(3)</sup>

"الطويل"

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 100.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 410.

(3) المقرئ، نفع الطيب، ج 3، ص 405.

## السهولة والبعد عن التكلف

ولعلّ هاتين السمتين من أبرز خصائص الشعر الأندلسي، ونحن أمام أشعار القضاة نكاد لا نجد قصيدة تخلو منهما، فالقاضي أبو الوليد الباجي يعبر عن قصر الحياة، ويدعو إلى الصلاح والطاعة بأسلوب سهل بعيد عن الصنعة والتكلف، فيقول:

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقينا      بأنّ جميعَ حياتي كساعةٌ  
فلمْ لا أكونُ ضنينا بها      وأجعلها في صلاحٍ وطاعة<sup>(1)</sup>

"المتقارب"

فجاءت الألفاظ سهلة، والتراكيب سلسلة بسيطة، كما أنّ استخدامه للقافية الموصولة بالهاء الساكنة عكس سهولة أخرى، فهي تسمى عند النحاة بهاء السكت. ويقول القاضي ابن عبد البرّ في الكتاب:

يُسلي الكتابُ همومَ قارئه      ويبينُ عنه إنْ قرأ نصيبه  
نعمَ الجليسُ إذا خلّوتَ به      لا مكرهٌ يخشى ولا شغبه<sup>(2)</sup>

"الكامل"

ولا يخفى على الدارس ما فيها من يسر وسهولة، فقد تحرر من الهمز كما كانت تفعل قريش ميلا إلى السهولة، واستجابة لعوامل التمدن والحضارة. كما تظهر السهولة في قول القاضي منذر بن سعيد البلوطي:

يا بانيَ الزهراءِ مستغرقا      أوقاتهُ فيها أما تمهلُ

(1) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 95. الضبي، بغية الملتمس، ص 262. المقرئ، النفع، مج 2، ص 74. ابن بسام، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 98. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 120. الكتبي، فوات الوفيات، مج 3 ص 65. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 15، ص 374. الحموي، معجم الأدياء، مج 6، ج 11، ص 250. عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 807. الحميري، الروط المعطار، ص 75. ابن خاقان، الفتح. قلائد العقيان، ص 189.  
(2) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص 512.

لله ما أحسنها رونقا

لو لم تكن زهرتها تذبل<sup>(1)</sup>

"السريع"

فالألفاظ سهلة والمعاني واضحة وبسيطة بعيدة عن التكلّف والتعقيد، ونلاحظ كذلك حذفه

إحدى التائين في كلمة (تتمهل) تجنباً للصعوبة وإنشادا لليسر والراحة.

---

(1) المقرئ، نفع الطيب، مج1، ص576.

## البساطة والشعبية والاقتراب من لغة العامة

لقد اتسم الشعر الأندلسي منذ عصر الإمارة بسهولة ألفاظه ووضوحها، ورشاقة أسلوبها بعدما تأقلموا في البيئة الجديدة وتفاعلوا معها<sup>(1)</sup>، ولعل تعدد اللغات والجنسيات والأديان في المجتمع الأندلسي ساعد على بروز مثل هذه السمة، فهناك منافسة بين هذه الجنسيات والأديان، وكل فئة تحاول أن تنتشر لغتها، فهناك العربية والبربرية واللطينية، إضافة إلى طبيعة مجلس القضاء الذي يحضره العربي والأعجمي، والعالم والامي، وطبقات الشعب المختلفة، كل هذا جعل لغة بعض القضاة تتسم بالبساطة والشعبية، لتصل إلى الجميع وتؤثر في مختلف الجنسيات والأديان، ومن هذا قول القاضي ابن أبي عيسى يصف غربته وأشواقه:

ذَكَرْنُهُ الزَّمَنَ الْمَاضِيَّ بِقَرْطَبَةٍ      بَيْنَ الْأَحْبَابِ فِي أَمْنٍ وَإِينِاسٍ  
وَمَنْ بَحَارٍ إِذَا هَالَتْ بِصَاحِبِهَا      أَهَدْتُ لَهُ الْخَوْفَ مَحْمُولًا عَلَى الرَّاسِ<sup>(2)</sup>

"البسيط"

فنلمس في عبارة (أهدت له الخوف محمولا على الراس) الطابع الشعبي، فقد جاء القاضي بتراكيب مستوحاة من الحياة الشعبية، وحافظ على الألفاظ وأصوات حروفها، فجاءت كلمة (الراس) غير مهموزة، فالحضارة تنفر من الهمز، لأنه من أصعب الأصوات نطقا، فهي صوت حنجري من أقصى الحلق يمتاز بالانفجار ولا يوصف بالجهر أو الهمس.

وقول القاضي منذر بن سعيد فيمن يحمل الكتب ولا يتدبرها:

أَنْعَقَ بِمَا شَنَّتْ نَجْدُ أَنْصَارَا      وَرُمَّ أَسْفَارَا تَجْدُ حَمَّارَا  
يَحْمَلُ مَا وَضَعْتَ مِنْ أَسْفَارِ      فَمَثَّلُهُ<sup>(3)</sup> كَمَثَلِ الْحِمَّارِ  
يَحْمَلُ أَسْفَارَا لَهُ وَمَا دَرَى      إِنْ كَانَ مَا فِيهَا صَوَابَا أَوْ خَطَا

(1) شلبي. الأصول الفنية للشعر الأندلسي "عصر الإمارة"، ص298.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، ص126.

(3) وردت في المصدر دون فاء، وبدونها لا يستقيم الوزن.

إِنْ سَأَلُوا قَالُوا كَذَا رُوِينَا      مَا إِنْ كَذَّبْنَا وَلَا اعْتَدِينَا  
كَبِيرَهُمْ يَصْغُرُ عِنْدَ الْحَفْلِ      لِأَنَّهُ قَلَدَ أَهْلَ الْجَهْلِ<sup>(1)</sup>

"الرجز"

فالرجز بحر شعبي يتلاعب ناظمه بصياغة التراكيب وتشكيل الألفاظ بما يخدم الوزن،  
(حَمَارًا، كَمَثَلِ الْحِمَارِ، دَرَى، خَطَا، رُوِينَا، اعْتَدِينَا).

ويقول القاضي الزبيدي في ذم أهل زمانه:

أَشْعَرَنَ قَلْبَكَ يَا سَا      لَيْسَ هَذَا النَّاسُ نَاسَا  
ذَهَبَ الْإِبْرِيزُ مِنْهُمْ      فَبَقُوا بَعْدُ نَحَاسَا<sup>(2)</sup>

"مجزوء الرمل"

ويقول القاضي أبو عمر أحمد بن يحيى في عيادة المريض:

إِذَا لَقَيْتَ عَلِيًّا      فَاقْعُدْ لَدَيْهِ قَلِيلًا  
وَلَا تُطَوِّلْ عَلَيْهِ      وَقَلْ مَقَالًا جَمِيلًا<sup>(3)</sup>

"مجزوء المجتث"

فنلاحظ التراكيب الشعبيّة (ياسا، ليسَ هذا الناسُ ناسا، فَبَقُوا بَعْدُ نَحَاسَا، لَا تُطَوِّلْ عَلَيْهِ)،  
مما يدل على انخراط القضاة في الحياة الشعبيّة، كما أنّ بعدهم عن أرض العروبة ومصادر  
اللغة أدى إلى استخدام هذه التراكيب، إضافة إلى الحضارة.

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص413.

(2) المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص475. ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم1، ص673.

(3) ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص58.

## اقتراب أسلوب الشعر من النثر

هناك مجموعة من الأشعار التي وقفنا عليها، لا يميز بينها وبين الشعر إلا الوزن والقافية، ولهذا كانت قريبة من لغة النثر، ولدينا عدة شواهد تؤكد على هذه الظاهرة، فيقول القاضي منذر بن سعيد في الاستعداد للأخرة والحث على عمل الخيرات:

فلو كنت تعقل ما ينقضي      من العمر لا عتصت خيرا بشر  
فمالك لا تستعد إذا      لدار المقام ودار المقر  
أترغب عن فجأة للمنون      وتعلم أن ليس منها مفر<sup>(1)</sup>

"المتقارب"

فالأبيات تخلو من الصورة الفنية والمحسنات البديعية، غير أنها تظهر فيها الصنعة والتكلف، كما جاءت أبياتها مسندة إلى بعضها بعضا.

ويقول القاضي محمد بن بشير في الحث على وعي العلوم:

أما لو أعى كل ما أسمع      وأحفظ من ذاك ما أجمع  
ولم أستقد غير ما قد جمعت      لقل هو العالم المقنع  
ولكن نفسي إلى كل فن      من العلم تسمعته تنزع  
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت      ولا أنا من جمعه أشبع<sup>(2)</sup>

"المتقارب"

فالأبيات قريبة من أسلوب النثر، فعباراتها طويلة أشبه ما تكون بعبارات النثر لا بعبارات الشعر القصيرة، كما أن عطف الأبيات على بعضها البعض أضعف من شاعريتها، إضافة إلى خلوها من الصورة الفنية، والإحساس بالعاطفة والخيال.

(1) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 249.

(2) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص 86.

وقول أبي الوليد يونس بن الصفار في النوم:

النوم من مرسله رحمة  
وراحة للبدن المتعب  
فخذ من النوم بحظ فإن  
قضيت منه وطرا فأنصب<sup>(1)</sup>

"السريع"

فالأسلوب تلقيني لا ينسجم مع الحسن الشعري، كما لا نجد فيها الصورة الفنيّة والعاطفة الشعريّة.

وتعود أسباب هذه الظاهرة إلى أن أكثر هؤلاء القضاة كانوا علماء لهم مصنّفات نثريّة ضخمة، فكانوا أكثر اعتيادا على أسلوب النثر، فالقاضي منذر البلوطي عرف بالخطابة النثريّة أكثر ممّا عرف بالشعر، وللقاضي ابن عبد البرّ والزبيديّ مؤلّفات نثريّة كثيرة، كما أن طبيعة القضاء تقوم على العقل والفكر والمنطق، وهذا ما يتناقض مع الشعر الذي يعتمد على العاطفة والانفعال والخيال، ولربما كان للوازع الدينيّ عندهم عامل مهمّ من عوامل عدم الاهتمام بالفنّ الشعري والانشغال عنه بأمور الدين والقضاء.

(1) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص741.

## الطباق<sup>(1)</sup>

يعرّف الطباق على أنّه الجمع بين الضدّين، أو المعنيين المتقابلين في الجملة، وهما إمّا اسمان، أو فعّالان، أو حرفان، وإمّا نوعان مختلفان، فإن اختلف الضدّان إيجاباً وسلباً كان طباق سلب، وإن لم يختلفا إيجاباً وسلباً كان طباق إيجاب<sup>(2)</sup>، ولا نستطيع أن نميّز الشيء بالصورة اللاتقة إلا إذا جننا بضده، فبضدها تتمايز الأشياء، فجد الطباق مستخدماً بكثرة في أشعار القضاة، فلا تكاد قصيدة أو مقطوعة تخلو منه، فالطباق يعدّ من الوسائل الفنيّة الخصبة التي تقيم علاقات جديدة بين مفردات اللغة، وتولد عنها نوع من المباغته للمتلقّي، فيحقّق بذلك نوعاً من التوازن الضروري للبقاء<sup>(3)</sup>، وكثيراً ما يلجأ الشاعر إلى التّضاد بوصفه نشاطاً لا شعورياً يعكس به واقعه ونفسيّته المضطربة القلقة، فيعبّر عن عالم التناقضات والمتناقضات الذي يعيشه الشاعر، ومن الأمثلة على ذلك قول القاضي منذر بن سعيد مخاطباً الناصر:

فَعَشُ سَالِمًا أَفْصَى حَيَاةٍ مُعَمَّرٍ      فَأَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ حَافٍ وَنَاعِلٍ  
سَتَمَلِكُهَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ      إِلَى دَرْبِ قُسْطَنْطِينٍ أَوْ أَرْضِ بَابِلٍ<sup>(4)</sup>

"الطويل"

فهو يستخدم طباق الإيجاب في (حاف، ناعل)، و(شرق، مغرب)، وبذلك يزاوج بين المعاني المتنافرة ويوحّد واقع شقيّ الطباق: حقّيره وشريفه، وبدايته ونهايته، وهو بذلك يستخدم فنّ الطباق للدلالة على الشموليّة، فيتحرّك في المعاني من أدها إلى أقصاها، وهذا يتناسب مع

(1) : "هو الجمع بين الشيء ومقابله، أو الشيء وضده، وقد يكون الشبان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين" عباس، فضل حسن. البلاغة فنونها وأفانها "علم البيان والبدیع"، ط3، ص275. دار الفرقان: 1419-1998م. ينظر: الطيّب، عبد الله. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج2، ص664-677. ط2، الدار السودانية، الخرطوم: 1970م.

(2) وهبة، مجدي، وكامل المهندس. معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، باب الطاء، ص232. ط2، مكتبة لبنان، بيروت: 1984م.

(3) مصطفى، محمود راشد يوسف: الفخر عند الشاعر يوسف الثالث، ص91. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين 1425هـ-2004م.

(4) المقري، نفع الطيب، ج1، ص373. الحموي، معجم الأدياء، مج10، ج19، ص185. المراكشي، المعجب، ص56. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص296.

الجوّ العام لهذه الأشعار، فالقاضي يخاطب الأمير الناصر، فهو يغيث جميع الناس، كما أنّ ملكه سيبلغ كلّ الأرض. ويقول القاضي ابن عبد البرّ في طلب العلم:

يا من يرى فضل<sup>(1)</sup> جمع المال والكتبِ خُدتَ والله ليس الجدّ كاللعب<sup>(2)</sup>

"البيسط"

وكما قيل: بضدّها تتمايز الأشياء، لقد وظّف القاضي الطباقي توظيفاً آخر، فجاء به من أجل تقوية الفكرة والمعنى، وجعلها أكثر توكيداً ووضوحاً ودلالة، فقد زوَج بين الجدّ واللعب، فليس جمع المال والكتب إلا وسيلة من وسائل اللهو والمتعة، فأراد أن يجعل القارئ يستشعر مقدار هذا المعنى، فجاء بنقيضه (الجدّ) من أجل إظهاره أكثر ضعفاً وسوءاً. ويقول ابن أبي عيسى عندما أب من غربته:

كأنّ لم يكن بينّ ولم تكُ فرقةٌ إذا كان من بعد الفراق تلاق<sup>(3)</sup>

"الطويل"

فالفراق الذي هو وليد الغربة والرحلات ضدّ التلاقي الذي يكون بعودة القاضي إلى أهله ووطنه، هذه الحالة تضع قاضينا أمام مفصل معيشيّ، يتمثّل شقّه الأول في فراقه عن أهله، وشقّه الثاني في لقائه بهم، فقد عاش النقيضين، وأراد أن يعبر عن هذا الاضطراب، فجاء بالتضاد التجاوريّ الالتصاقيّ، وهو تتابع لفظي الطباقي دون فاصل بينهما<sup>(4)</sup>، وهذا الالتصاق بين لفظي الطباقي يعكس حداثة تلاقّي القاضي بأهله ورجوعه إلى وطنه، وقرب عهده من فراقه لهم، فأعطى صفة الآنيّة للحدث، كما أعطى دلالة معنويّة تشير إلى سرعة انقضاء عهد الفراق وانتهائه، فقد مرّت أيامه بسرعة، فهو لا يشعر به بعد أن عاد إلى وطنه، وفي موقف الشوق والحنين نراه على العكس من ذلك، فهو يستخدم الطباقي التباعديّ، فيقول:

(1) لم ترد هذه الكلمة في المصدر، وإنّما أضفناها حتّى يستقيم الوزن.

(2) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص120.

(3) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص260. المقري. نفع الطبيب، ج2، ص13.

(4) عتيق، عمر عبد الهادي قاسم إبراهيم: دراسة الأسلوبية في شعر الأخطل، 135. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين 2000م-2001م.

وبنفسى نائي المحلّ قريبٌ  
من فؤادٍ صبّ وجسمٍ نحيلٍ  
يا قليلَ الإنصافِ في الهجرِ مهلاً  
إنّ وجدني عليك غيرُ قليلٍ<sup>(1)</sup>

"الخفيف"

فالقاضي ما زال بعيداً عن أحبائه، ولئن كانت ذكراهم عامرة في قلبه وعقله إلا أنه يستشعر فاصل المكان الذي بينه وبينهم في كل لحظة، فتأتي لفظنا الطباق متباعدتين عاكسة في ذلك تباعد المكان، فالمحلّ هو الذي فصل بينهما في عالم الواقع، كما فصل بينهما في المستوى اللفظي، كما يستخدم في البيت الثاني طباق السلب (قليل، غير قليل)، فيأتي باللفظتين في أقصى حالات التباعد، وفي صورة من صور التردد، وهذا الفاصل اللفظي الكبير يقابله فارق دلاليّ ومعنوي كبير بين قلة إنصاف المحبيب للقاضي، وفي المقابل كثرة وجد القاضي وحبّه له، ويقول ابن الفرزي وقد اشتاق لأهله حيث توجه للحج:

أعلُّ نفسي بالمنى في لقائكم  
وأستسهلُ البرّ الذي جبتُ والبحرا  
ويؤنسني طيُّ المراحلِ دونكم  
أروحُ على أرضٍ وأغدو على أخرى<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فالقاضي قال هذه الأبيات وهو في غربته، فقد كان يعاني من طول الفراق وبعد المسافات، فجاء بالطباق التباعديّ، فزواج بين البرّ والبحر، ووصل بينهما باسم موصول (الذي)، وجملة (جبتُ)، فعكس بذلك طول المسافة التي جابها وقطعها، كما يأتي الطباق بين فعلين (أروح، أغدو) لبيان حالة التشنت والضياع من جرّاء هذه الغربة والمعاناة، فمسيرته لا تتوقف، فهو دائم السير والحركة، ويصل ليله بنهاره.

ويقول ابن الباجي في رثاء ابنه:

(1) الثعالبي. يتيمة الدهر، ج2، ص72. عياض، ترتيب المدارك، ج3\_4، ص411.  
(2) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص62. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام، الذخيرة، مج2، قسم1، ص615. المقرئ، نوح الطيب، ج2، ص131. الضبي، بغية الملتبس، ص291. الحميدي، جذوة المقتبس، ص398. ابن بشكوال، الصلة، قسم1، ص255.

لئن غُيِّبَا عن ناظريّ تبوءا

فؤاديّ لَقَدْ زَادَ التّبَاعُدُ فِي الْقُرْبِ (1)

"الطويل"

لقد كان واقع القاضي مليئاً بالتناقضات، فالموت جعل ولديه يبعدان عن عالم الحياة الذي هو فيه، وتغيب بذلك صورتها عن ناظريه، غير أنّ ذكراهما لم تغب عن ذاكرته، ومحبتة لهما ومكانتهما ما زالت عامرة في قلبه، لا تزول ولا تغيب، وهذا جعل القاضي مضطرباً، فعبر عن حركته النفسية بالطباق المتراخي، ففي نشاطه اللاشعوريّ جاء بالحرف (في) ليفصل بين لفظتي الطباق، وهذا الفاصل لم يكن كبيراً فتمثّل في حرف يصل الأول في الثاني، ولم يستطع التخلّص منه، لأنّ المصيبة كانت جليّة، والنازلة كبيرة.

---

(1) الأصفهاني. الخريدة، ص500. ابن بسام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقرئ. نفع الطيب، مج2، ص75. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج2، ص408. الحموي. معجم الأدباء، مج6، ج11، ص251. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص807. ابن خاقان، الفتح. قلائد العقيان، ص189.

## الترادف

يرى الدارسون أنّ الترادف "هو أن يكون للمعنى الواحد أكثر من لفظ يعبر به عنه، كالسيف والحسام والصيقل، ويرى بعض العلماء أنّ لا ترادف في العربية، بل للمعنى لفظ واحد، والباقي صفات له جرت مجراه لكثرة الاستعمال، غير أنّ الترادف موجود فعلا يفسره في أغلب الظنّ تداخل اللهجات العربية، فبعض القبائل تسمي بأسماء معينة، وبعضها تسمي الأشياء نفسها بأسماء أخرى، وتداخلت اللهجات، وكثرت مرادفات المعنى الواحد، ويحصل عكس هذا في اللغة العربية عندما يكون للفظ الواحد معنيان كالعين: التي هي نبع الماء، وهي عين الإنسان يرى بها"<sup>(1)</sup>.

وكان للترادف نصيب كبير في أشعار القضاة، يقول أبو الوليد بن الفرزي في الزهد:

وكنّ مؤنسيّ في ظلمة القبرِ عندما      يصدّ ذوو القربى ويجفّو المؤالف<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فالكلمتان (يصدّ، ويجفّو) تحملان المعنى نفسه، وهو بذلك أراد أن يؤكد المعنى، فالإنسان لا ينفعه غير حسن عمله، فلن يكون هناك في القبر من يؤنس وحشته، فسيركه أقرباؤه ومحبّوه مع مصيره، ويقول القاضي ابن أبي عيسى في الشوق والحنين:

لا تلمني على البكا والعويلِ      ذكّرتني نخيلُ فاسٍ نخيلي  
فعلتُ زفرتي وطال انتحابي      وبدت لوعتي وهاج غليلي<sup>(3)</sup>

"الخفيف"

(1) إسبر، محمد سعيد، وبلال جنيدي. معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، باب التاء، ص279. ط1، دار العودة، بيروت: 1981م. ينظر: وافي، د. عليّ عبد الواحد. فقه اللغة، 172-175. ط7، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الجالة-القاهرة: 1393هـ-1973م.

(2) المقري، نفع الطيب، ج2، ص129. ابن بشكوال، الصلة، قسم2، ص253. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج3، ص105.

(3) الثعالبي. بيتمة الدهر، ج2، ص72. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص410-411.

فنلاحظ الترادف جليًا في هذين البيتين (البكا، العويل - علت، طال)، فكان واقع الحزن والألم لديه باعثًا على إلباس المعاني أثوابا لفظية مختلفة لا تتغير من حقيقة جوهرها الكثير، ولكنها تجذر المعاناة في نفس القاضي وتؤكدّها.

ويقول القاضي أبو الوليد الباجي يمدح قاضي بغداد السمناني:

أسري إذا اعتكرَ الظلامُ وقادني      أملٌ مطالبُهُ العلا والسودد<sup>(1)</sup>

"الكامل"

فالعلا والسودد معنيان مترادفان يشيران إلى الرفعة والسمو، فهو يخاطب قاضي بغداد صاحب الهيبة والمكانة، وكأنّه أراد أن يعكس بالترادف وكثرة الألفاظ عظيم الأخلاق والصفات. ويقول القاضي محمد بن بشير في فضل الكتاب:

أو شئتَ من سيرِ الأملِكِ من عجمٍ      تنبئُ وتُخبرُ كيفَ الرأيِ والأدبِ<sup>(2)</sup>

"البسيط"

والترادف بين الفعلين (تنبي، تخبر). يقول ابن أبي عيسى:

ذكرنهُ الزمنَ الماضيَ بقرطبةٍ      بينَ الأحبةِ في أمنٍ وإيناسٍ<sup>(3)</sup>

"البسيط"

فالترادف بين كلمتي (أمن، وإيناس). يقول ابن الباجي:

يا بعدَ صبرِكِ أتهموا أمْ أنجدوا      هيهاتَ منكَ تصبُّرٌ وتجلدٌ<sup>4</sup>

أسري إذا اعتكرَ الظلامُ وقادني      أملٌ مطالبُهُ العلا والسودد<sup>(5)</sup>

"الكامل"

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص100.

(2) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص512.

(3) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص261. المقري. نفع الطبيب، ج2، ص13. الحميدي. جذوة المقتبس، ص126.

(4) ابن بسام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص99.

(5) المصدر نفسه. مج1، قسم2، ص100.

فجاء الترادف في (تصبر، تجلّد)، و(العلا، السؤدد).

وهكذا نلاحظ كثرة الترادف لدى القضاة، فقد استخدموا هذا الأسلوب لتأكيد المعاني، فقد كان رجال الدين على مرّ التاريخ يمتازون بطول العبارة، وتكرارها، وكثرة مترادفاتهما، فكان مظهرًا من مظاهر إعطاء الحجّة والدليل.

## الجمل الخبرية والإنشائية

أولاً: الجمل الخبرية:

ليس غريباً أن نجد في أشعار القضاة نمونجا صارخا لما اصطاح البلاغيون على تسميته بالجمل الخبرية، وهو "ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا"<sup>(1)</sup>، وقد قسم البلاغيون الخبر بالنظر إلى صاحبه إلى ثلاثة أضرب: ابتدائي، ويلقى الخبر خاليا من أدوات التوكيد لأنّ المخاطب خالي الذهن من الحكم، وطلبي، ويلقى الخبر مؤكداً بمؤكد واحد لأنّ المخاطب متردد في الحكم شكّ فيه، وإنكاري، ويلقى الخبر مؤكداً بأكثر من مؤكّد لأنّ المخاطب منكر لحكم الخبر<sup>(2)</sup>.

وطبيعة مهمّة القضاء تقتضي التقصي والبحث، ولا يسلمّ القضاة بمجرد الأقوال والأخبار فلا بدّ من الدليل والبرهان، وذلك لأنّ في القضاء تمييز الصادق من الكاذب وفصل الخصومات، لهذا يجلس الخصوم أمام القضاة مؤكدين أقوالهم وأخبارهم، وكل يريد أن يثبت صدق دعواه، وقد تأثروا بواقع هذه الحال أعظم الأثر، حيث نجد كما كبيرا في أخبارهم مؤكّدا بمختلف أدوات التوكيد، فيقول أبو الوليد الباجي في رثاء ابنه مؤكدا حزنه ولوعته عليهما:

لئن غيّبا عن ناظري وتبوءا فؤادي لقد زاد التباعد في القرب<sup>(3)</sup>

"الطويل"

فقد أكد المعني باللام الموطئة للقسم في (لئن) وكذلك استخدم كلمة (لقد).

ويقول في العبادة مؤكدا على ضرورة قيام الليل مستخدما (إنّ) واللام المزحلقة:

(1) عتيق، عبد العزيز. علم المعاني، ص46. دار النهضة العربية، بيروت: 1405-1985م.

(2) المرجع نفسه. ص52-53.

(3) الأصفهاني. الخريدة، ص500. ابن بسام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقري. نفع الطيب، مج2، ص75. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج2، ص408. الحموي، معجم الأدياء، مج6، ج11، ص251. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص807. ابن خاقان، الفتح. قلائد العقيان، ص189.

إِنَّا لَسَقَرٌ نَبْتَغِي نَيْلَ الْمَدَى

فَفِي السَّرَى بَغَيْتُنَا لَا فِي الْكُرَى<sup>(1)</sup>

"الرجز"

ويقول القاضي منذر بن سعيد في الحثّ على العمل من أجل الآخرة مؤكداً فعل الأمر

بنون التوكيد الخفيفة:

بِأَمْرِ الْمَعَادِ أَنْتَ عَلِيمٌ

فَاعْمَلْنَ جَاهِدًا لَهَا يَا أَرِيبٌ<sup>(2)</sup>

"الخفيف"

ويستخدم السين، فيدخلها على الفعل، ليؤكد بها قوّة الناصر، وعظم سلطته في الأرض.

سَتَمَلِكُهَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ

إِلَى دَرَبِ قُسْطَنْطِينٍ أَوْ أَرْضِ بَابِلٍ<sup>(3)</sup>

"الطويل"

ويؤكد ابن الفرصي بالسين كذلك على استعتابه للدهر:

سَأَسْتَعْتَبُ الدَّهْرَ الْمَفْرَقَ بَيْنَنَا

وَهَلْ نَافِعِي أَنْ صَرْتُ أُسْتَعْتَبُ الدَّهْرَ<sup>(4)</sup>

"الطويل"

وكذلك فإنّ القاضي الزبيدي يستخدم نون التوكيد الخفيفة، ويؤكد على سوء أهل زمانه:

أَشْعِرَنَّ قَلْبَكَ يَا سَا

لَيْسَ هَذَا النَّاسُ نَاسًا<sup>(5)</sup>

"مجزوء الرمل"

(1) ابن بسام. الذخيرة، مج 1 قسم 2 ص 105.

(2) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص 239. المقرئ. النفع، ج 1، ص 376.

(3) المقرئ، نفع الطيب، ج 1، ص 373. الحموي، معجم الأدياء، مج 10، ج 19، ص 184-185. المراكشي، المعجب، ص 56. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 296. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 244.

(4) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص 286. ابن بسام. الذخيرة، مج 2، قسم 1، ص 615. المقرئ. نفع الطيب، ج 2، ص 131. الضبي. بغية الملتبس، ص 291. الحميدي. جذوة المقتبس، ص 398. ابن باشكوال. الصلة، قسم 1، ص 255.

(5) المقرئ. نفع الطيب، ج 3، ص 475. ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم 1، ص 673.

## ثانياً: الجمل الإنشائية:

وقد كثر استخدام الجمل الإنشائية في أشعار القضاة، ولا سيّما الطليبية، وهي ما تستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وأهمّ أنواعه خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء<sup>(1)</sup>:

### 1. الأمر:

وكثيراً ما كان يخرج إلى معنى النصح والإرشاد، يقول القاضي أبو الوليد يونس بن الصفار:

سارع إلى الخيرِ وبادرْ به      فإنّ من خلفك ما تعلم<sup>(2)</sup>

"السريع"

ويقول أبو الوليد الباجي:

تبلّغ إلى الدنيا بأيسرِ زادٍ      فإنّك عنها راحلٌ لمعادٍ  
وغضّ عن الدنيا وزخرفِ أهلها      جفونكَ واكلها بطولِ سهادٍ  
وجاهدْ عن اللذاتِ نفسكَ جاهداً      فإنّ جهادَ النفسِ خيرُ جهادٍ<sup>(3)</sup>

"الطويل"

ويقول القاضي ابن عبد البر:

تجافَ عن الدنيا وهونَ لقدرها      ووفَّ سبيلَ الدينِ بالعروة الوثقى  
وسارع بتقوى الله سرّاً وجهراً      فلا ذمّةٌ أقوى هديتَ من التقوي  
فدعْ عنك ما لا حظَّ فيه لعاقِلٍ      فإنّ طريقَ الحقِّ أبلجُ لا يخفى

(1) عبد الجليل، محمد بدري. تصوير المقام في البلاغة العربية، ص66. دار المعرفة الجامعية، مصر: 2003م.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص740.

(3) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص103.

وَشَحَّ بِأَيَّامٍ بَقِيْنَ قَلَائِلٍ وَعَمْرٌ قَصِيرٌ لَا يَدُومُ وَلَا يَبْقَى (1)

"الطويل"

ونرى هنا أنّ الأمر كان يخرج إلى معنى النصح والإرشاد، خاصّة في أشعار الزهد، حيث لم يكن القضاة ينعزلون وينقطعون عن الناس، بل كانوا دائما يقدمون لهم النصح والمشورة، فيأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر. كما نراه يخرج إلى معنى الدعاء، فيقول أبو الوليد الباجي داعيا الله عزّ وجلّ أن يبسر له سفره ويحفظ أهله:

فَسَهِّلْ سَبِيلِي وَازِرْ عَنِّي شَرَّهَا وَشَرَّ الَّذِي أَلْقَاهُ فِي الْأَهْلِ آبِيَا (2)

"الطويل"

ويقول القاضي ابن الفرصي متذللا إلى الله، وداعيا أن يؤنسه في ظلمة القبر:

وَكُنْ مُؤَنَسِيَّ فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذُو الْقَرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَلَّفُ (3)

"الطويل"

وقول عبّاس بن ناصح مستصرخا وداعيا الأمير أبا العاصي الحكم لنصرة أهل الثغر الذين اعتدى عليهم العدو:

تَدَارِكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِنَصْرَةٍ فَإِنَّكَ أُحْرَى أَنْ تَغِيثَ وَتَنْصُرَا (4)

"الطويل"

وبذلك فإنّ الدعاء ارتبط بالله عزّ وجلّ في مجالات السفر والزهد، فالمسافر أحوج ما يكون إلى رعاية الله وحمايته، فتظهر صلته بالله جليلة، كما أنّ الزاهد يتذلل إلى الله، ويدعوه أن

(1) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص296. المقري، نفح الطيب، ج4، ص28-29.

(2) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104.

(3) المقري، نفح الطيب، ج2ص129. الصلة، قسم2ص253. وفيات الأعيان، مج3ص105.

(4) المقري، نفح الطيب، ج1، ص343.

يغفر له ويرحمه ويقيه من عذاب النار، كما ارتبط بالحاكم من أجل استصراخه وحثه على نصرته المسلمين، والذود عن حياض الإسلام. ويخرج أيضا بكثرة إلى معنى الالتماس، فيقول القاضي ابن عبد البر في الحديث وأتباع الأثر:

عليكم بآثار النبي فإنها من أفضل أعمال الرشد أتباعها<sup>(1)</sup>

"الطويل"

ويقول القاضي منذر البلوطي، وقد راسل أبا علي البغدادي يستعير منه كتابا من الغريب:

ابعث إليّ بجزء من الغريب المصنّف<sup>(2)</sup>

"مجزوء المجتث"

ويقول القاضي ابن عبّاد معارضا أبا الأصبع بن عبد العزيز، فنقد عليه شيئا من التشبيه:

أبلغ شقيقي عني مقالة لتمضّة<sup>(3)</sup>

"مجزوء المجتث"

وبهذا فإنّ الأمر يخرج إلى معنى الالتماس في معظم أغراض أشعار القضاة، فلم يكن القضاة في معزل عن المجتمع، بل كانوا يخالطون الناس ويعاملونهم في تواضع. ولا نكاد نعدم خروج الأمر إلى بعض المعاني الأخرى، يقول القاضي منذر بن سعيد متمنياً للأمير الناصر العمر المديد في صحة وسلامة:

فحشّ سالما أقصى حياة مُعَمَّرٍ فأنت غيَّاتُ كلِّ حافٍ وناعلٍ<sup>(4)</sup>

"الطويل"

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص284. امقري، نفح الطيب، ج6، ص327.

(2) المقري، نفح الطيب، مج2، ص20. الحموي، معجم الأدياء، مج10، ج19، ص184.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ج1، قسم2، ص205.

(4) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص244. المقري، نفح الطيب، ج1، ص373. الحموي، معجم الأدياء، مج10، ج19،

ص185. المراكشي، المعجب، ص56. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص296.

ويقول القاضي الباجي في معنى التهديد من معصية الله:

فأعصِ الإله بمقدارِ ما      تحبُّ لنفسِكِ سوءَ العذابِ (1)

"المتقارب"

ويقول القاضي منذر بن سعيد في معنى الإهانة والتحقير لمن يكتب الحديث ولا يفهمه:

أنعقُ بما شئتَ تجدُ أنصارا      ورُمَّ أسفارا تجدُ حمّارا (2)

"الرجز"

## 2. النهي:

وقد خرج النهي في أشعار القضاة إلى معنيين هما: الالتماس، والنصح والإرشاد، فيقول

القاضي منذر بن سعيد ملتئما عدم التعجب من مخاطبته لشخص آذاه بالكنية:

لا تعجبوا من أنني كنيتهُ      من بعد ما قد سبنا وآذانا (3)

"الكامل"

ويقول القاضي الزبيدي مخاطبا جاريتة، وقد اشتاق وهو بقرطبة إلى إشبيلية:

لا تحسبيني صبرتُ إلا      كصبرِ ميّتٍ على النزاع (4)

"مخلع البسيط"

ويقول القاضي أبو عمر أحمد بن يحيى في العيادة:

إذا لقيتَ عليلا      فاقعدْ لديه قليلا

(1) الكتبي، فوات الوفيات، مج3، ص65. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص374.

(2) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص413.

(3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص248. المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص374.

(4) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص184. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص88. الصفدي، الوافي

بالوفيات، ج2، ص351. الحموي، معجم الأدباء، مج9، ج18، ص183. الضبي، بغية الملتمس، ص57. المراكشي،

المعجب، ص65. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص278. المقرئ، نفح الطيب، ج4، ص7.

ولا تطوّر عليه وقلّ مقالا جميلا<sup>(1)</sup>

"مجزوء المجتث"

وفي معنى النصّ والإرشاد يقول القاضي منذر:

فلا تكن مغرماً برزق غدٍ فليست تدري بما يجيء غد<sup>(2)</sup>

"المنسرح"

ويقول القاضي ابن عبد البر:

ولا تنس شكر الله في كلّ نعمة يمنّ بها فالشكر مستجاب النعمى<sup>(3)</sup>

"الطويل"

ويقول القاضي أبو الوليد يونس بن الصفار:

لا تسأم الكدّ وطول السرى فطالب الفردوس لا يسلم<sup>(4)</sup>

"السريع"

### 3. النداء:

وقد أكثر القضاة من استخدام أسلوب النداء، وذلك لما له من دور في تعميق الصلة بين

المتكلم والمستمع، فيجعله دائم الانتباه واليقظة، فيقول القاضي ابن عبد البر:

يا سائلي عن موضع التقليد خذ عني الجواب بفهم لبّ حاضر<sup>(5)</sup>

"الكامل"

ويقول القاضي الباجي في رثاء ابنه:

(1) ابن بشكوال، الصلة، قسم 1، ص 58.

(2) المقري، نفع الطيب، ج 1، ص 374.

(3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 296. المقري، نفع الطيب، ج 4، ص 29.

(4) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 740.

(5) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص 291.

أحمدٌ إن كنتُ بعدك صابرا      صبرَ السليم لما به لا يسلم<sup>(1)</sup>

"الكامل"

وقول القاضي الزبيدي مخاطبا أبا مسلم بن فهد الهذلي:

أبا مسلم إن الفتى بجنانه      ومقولاه لا بالمراكب واللبس  
وليس يفيئ العلم والحلم والحجا      أبا مسلم طول القعود على الكرسي<sup>(2)</sup>

"الطويل"

كما نرى النداء كثيرا ما يخرج إلى معنى الزجر، فيقول القاضي منذر زاجرا الأمير  
الناصر بسبب انشغاله ببناء مدينة الزهراء:

يا باني الزهراء مستغرقا      أوقاتة فيها أما تمهل<sup>(3)</sup>

"السريع"

ويقول -أيضا- داعيا إلى الزهد، وزاجرا أهل السفه والضلال عن المعاصي:

يا سفيها قد حان منك رحيل      بعد ذلك الرحيل يوم عصيب<sup>(4)</sup>

"الخفيف"

وللقاضي ابن عبد البر قوله فيمن يجمع الكتب ولا يتدبرها:

يا من يرى<sup>(5)</sup> جمع المال والكتب      خدعت والله ليس الجد كاللعب<sup>(6)</sup>

"البسيط"

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقري، نفع الطيب، مج2، ص75. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص189.  
(2) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص120. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص86. الحموي، معجم الأدباء،  
مج9، ج18، ص181. الضبي، بغية الملتبس، ص57. السيوطي، بغية الوعاة، ص34. ابن عبد البر، بهجة المجالس،  
قسم2، ص66. المراكشي، المعجب، ص63. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص278. المقري، نفع الطيب، ج4، ص7.

(3) المقري، نفع الطيب، مج1، ص576.

(4) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص239. المقري، نفع الطيب، ج1، ص375.

(5) الشطر غير مستقيم الوزن.

(6) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص120.

#### 4. الاستفهام:

وأدوات الاستفهام اثنتا عشرة، وهي: "الهمزة، وأم، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأين"<sup>(1)</sup>، ويخرج الاستفهام عند القضاة إلى جملة من المعاني، فيخرج إلى معنى الإنكار كقول القاضي منذر بن سعيد منكرًا على الشاعر أحمد بن عبد ربه ألا يُعَدَّ سيِّدنا على من الخلفاء:

أومًا عليٌّ - لا برحت ملعنا - يا ابن الخبيثة عندكم بإمام<sup>(2)</sup>

"الكامل"

ويقول أيضا منكرًا على الناس انشغالهم بالدنيا ونسيانهم الموت:

أترغبُ عن فجأةٍ للمنونِ وتعلمُ أن ليسَ منها مفرُّ<sup>(3)</sup>

"المتقارب"

وفي معنى التعجب يقول القاضي منذر زاهدًا في الدنيا:

كم تصابى وقد علاك المشيبُ وتعامى عمداً وأنت اللبيبُ  
كيف تلهو وقد أتاك نذيرٌ أن سيأتي الحمامُ منك قريبُ  
كم توانى حتى تصيرَ رهينا ثم تأتيك دعوةٌ فتجيبُ<sup>(4)</sup>

"الخفيف"

وفي معنى التقرير، يقول القاضي ابن عبد البر:

(1) السكّائي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن عليّ. مفتاح العلوم، ج2، ص308. تحقيق: الأستاذ نعيم زرزور.

دار الكتب العلميّة، بيروت: 1403 - 1983م.

(2) المقرّي، نفع الطيب، ج2، ص512.

(3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص249.

(4) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص239. المقرّي، نفع الطيب، ج1، ص375.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعُمَرَ يَمْضِي مُؤَلِّيَا

فَجِدَّتُهُ تَبْلَى وَمُدَّتُهُ تَنْفَى (1)

"الطويل"

ويقول أيضا:

أليسَ في الأنبياءِ الرُّسلِ أُسوتنا (2)

عليهمُ صلواتُ الربِّ ذي الحُجُبِ (3)

"البسيط"

وقول القاضي ابن الفرضي في معنى النفي:

سأستعتبُ الدهرَ المَفرقَ بيننا

وهل نافعِي أنُ صرتُ أُستعتبُ الدهرا (4)

"الطويل"

وفي معنى التعظيم، يقول القاضي ابن عبد البر مفتخرا بعلمه:

وكم أقبَلتُ متَّندا مُهابا

فقامَ إليَّ من مَلِكٍ عظيم (5)

"الوافر"

وبهذا نجد القضاة قد نوَّعوا في أساليبهم بين الخبر والإنشاء، وقد حفلت جملهم الخبيرة بمؤكِّدات تتناسب مع الجوّ العامّ والموقف النفسيّ لهم، فأثرت بذلك في دلالاتها، وجعلتها أكثر تأثيرا ونفاذا في نفوس المستمعين وعقولهم، كما اهتمّ القضاة في جملهم الإنشائية بالقسم الطلبيّ منها، فخرجت من معناها الحقيقيّ إلى معانٍ مختلفة، وهذا أعطى تنوعا في الخطاب الشعريّ وأسلوبه، فكان لكلّ مقام مقال، وقد وفَّقوا بذلك في مخاطبة الخاصّة والعامّة على اختلاف ثقافتهم وجنسيّاتهم ومستوياتهم.

(1) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص296. مقري، نفح الطيب، ج4، ص29.

(2) لقد وردت في المصدر بلفظ (أرسل)، ولا يستقيم الوزن والمعنى إلا بـ (الرسل).

(3) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص120.

(4) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام، الذخيرة، قسم1، ص615. المقري، نفح الطيب، ج2، ص131.

الضبي، بغية الملتمس، ص291. ابن بشكوال، الصلة، قسم 1، ص255.

(5) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص329.

## التأثر بالمعاني الإسلامية

كانت للأندلسيين عناية بالغة في القرآن الكريم وعلومه، فقد جاء في مقدمة ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك ورأسه، ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم...<sup>(1)</sup>، إضافة إلى توجه عامة أهل الأندلس وعنايتهم بدراسة القرآن الكريم وعلومه، فإنّ القضاء كان عاملاً إضافياً في زيادة صلة القضاة بالقرآن الكريم لما روعي واشترط بهم من العلم بمصادر التشريع، وسعة المعرفة. ومن خلال دراستنا لأشعارهم نجدتها تخلصاً بالجوانب الإسلامية المستوحاة والمتأثرة بالتراث الإسلامي ولا سيما القرآن الكريم، فنجدتها متأثرة بأفكاره ومعانيه السامية، وهذا ما يعرف بمفهوم الاقتباس، وهو "أن يُضَمَّن الكلام نثراً أو شعراً شيئاً من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، لا على أنّ المقتبس جزء منهما، ويجوز أن يغيّر المقتبس في الآية أو الحديث قليلاً"<sup>(2)</sup>، أو هو "أن يأخذ كلمة من آية توشيحاً لكلامه، وتزييناً لنظامه، وهو أحسن الوجوه في هذه الصنعة"<sup>(3)</sup>، وأبرز مواضع هذا التأثير هي:

### أولاً: التأثير بالمعاني القرآنية:

لا نكاد نقرأ بيتاً أو مقطوعة أو قصيدة إلا ونجدها حافلة بالمعاني القرآنية، فقد كان للقضاة حظ كبير من الدين والزهد والاستقامة، فكان حرياً بهم أن تظهر معانيهم الدينية في أفعالهم وأقوالهم، ونستطيع من خلال دراستنا أشعارهم أن ننتبين مواضع هذا التأثير، يقول القاضي ابن الفرضي:

فيا سيدي لا تُخزني في صحيفتي      إذا نُشرت يوم الحسابِ الصحائف<sup>(4)</sup>

"الطويل"

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. مقامة ابن خلدون، ج3، فصل40، ص1249. ط3. تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة: 1979م.

(2) وهبة. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، باب الهمة، ص56.

(3) الزنجاني، عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي. كتاب معيار النظار في علوم الأشعار، ج2، ص109. تحقيق: الدكتور محمد علي رزق الخفاجي. دار المعارف: 1991م.

(4) المقري، نفع الطيب، ج2، ص129. ابن بشكوال، الصلة، قسم2، ص253. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج3، ص105.

وهو متأثر بقوله تعالى: "وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ"<sup>(1)</sup>، أي وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب، ويقول القاضي محمد بن أبي عيسى:

قَدَّمَ الزَادَ لِلْمَعَادِ وَلَا تَتَّسِ إِذَا مَا بَطِشْتَ بِطِشِّ الْقَدِيرِ<sup>(2)</sup>

"الخفيف"

وهذا في معنى قوله تعالى: "إِنَّ بَطِشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ"<sup>(3)</sup>، فهو يتحدث عن قدرة الله على الانتقام من أعدائه الذين فتنوا عباده وأوليائه، ويقول في كشف الضر:

حَسْبِيَ اللَّهُ خَالِقُ الْخَلْقِ فَالَلَّ هُ عَلَى كَشْفِ مَا عَرَانِي قَدِيرٌ<sup>(4)</sup>

"الخفيف"

فيتأثر بقوله تعالى: "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"<sup>(5)</sup>، أي فإن أعرضوا عن الإيمان بك يا محمد فقل يكفيني ربي أي لا معبود سواه فعليه اعتمدت فلا أرجو ولا أخاف أحداً غيره، وهو سبحانه رب العرش المحيط، ويقول القاضي الباجي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْأَلَاءِ وَالنِّعَمِ وَمُبْدِعِ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْكَلِمِ

مَنْ يَحْمَدُ اللَّهَ يَأْتِيهِ الْمَزِيدُ وَمَنْ يَكْفُرُ فَكَمْ نِعَمٍ آتَتْ إِلَى نِقَمٍ<sup>(6)</sup>

"البيسط"

- 
- (1) سورة التكوير، آية 10.
  - (2) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 409.
  - (3) سورة البروج، آية 12.
  - (4) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 410.
  - (5) سورة التوبة، آية 129.
  - (6) ابن بسلم، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 104.

وهذا من معنى قوله تعالى: "وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ"<sup>(1)</sup>،  
فإنه خلق لكم هذه الحواس: السمع لتسمعوا به الأصوات، والبصر لتبصروا به الأشخاص،  
والعقل لتدركوا به الحق والهدى أي إن شكرتم نعم ربكم لقليل، ويقول أيضا:

الحمدُ لله حمدٌ معترفٍ      بأنَّ نعماءَهُ ليسَ نحسبها<sup>(2)</sup>

"المنسرح"

فهو متأثر بقوله تعالى: "وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا"<sup>(3)</sup>، أي وإن تعدُّوا نعم الله  
عليكم لا تطيقوا حصرها وعدّها، فهي أكبر وأكثر من أن يحصيها محصٍ، ويقول القاضي ابن  
عبد البر:

أليسَ في الأنبياءِ الرُّسلِ أُسوتنا<sup>(4)</sup>      عليهمُ صلواتُ الربِّ ذي الحُجُبِ<sup>(5)</sup>

"البيسط"

وهو من معنى قوله عزّ وجلّ: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"<sup>(6)</sup>، بمعنى: لقد  
كان لكم أيها المؤمنون في هذا الرسول العظيم قدوةٌ حسنة، تقتدون به صلى الله عليه وسلّم في  
إخلاصه، وجهاده، وصبره، وقوله: "قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه"<sup>(7)</sup>، ويقول  
هذا القاضي أيضا:

وتسعى لما فيه عليها مَضَرَّةٌ      وقد علمتُ أن سوف تجزى بما تسعى<sup>(8)</sup>

"الطويل"

(1) سورة السجدة، آية 9.

(2) ابن بسام، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 104.

(3) سورة إبراهيم، آية 34.

(4) لقد وردت في المصدر بلفظ (أرسل)، ولا يستقيم الوزن والمعنى إلا بـ (الرسول).

(5) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص 120.

(6) سورة الأحزاب، آية 21.

(7) سورة الممتحنة، آية 4.

(8) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 296، المقري، نفع الطيب، ج 4، ص 29.

فهو متأثر بقوله تعالى: "لِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى"<sup>(1)</sup>، أي لتتال كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر، ويقول أيضا:

ولا تنس شكر الله في كل نعمة<sup>(2)</sup> يَمُنُّ بها فالشكرُ مستجلبُ النعمى<sup>(2)</sup>

"الطويل"

ويقول تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"<sup>(3)</sup>، أي اذكروا أيضا حين أعلم ربكم لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، ولئن جددتم نعمتي بالكفر والعصيان فإن عذابي شديد، وعدَّ بالعذاب على الكفر، كما وعدَّ بالزيادة على الشكر، ويقول القاضي البلوطي:

والخيرُ والشرُّ لا تدعُهُ فما في الناسِ إلا التشنيعُ<sup>(4)</sup> والحسدُ<sup>(5)</sup>

"المنسرح"

وهذا المعنى من قوله عزَّ وجلَّ: "وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ"<sup>(6)</sup>، وهو شرَّ الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره، ولا يرضى بما قسمه الله تعالى له.

ومما يلاحظ في هذه الأشعار المتأثرة بمعاني القرآن الكريم أنَّ معظمها يدور حول معاني الزهد والعبادة والدعاء.

**ثانياً: التأثر بألفاظ القرآن الكريم:**

والتأثر بألفاظ القرآن كثير جداً، ولكننا سنحاول التمثيل على بعض المواضع، يقول

القاضي منذر بن سعيد:

---

(1) سورة طه، آية 15.

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 296، المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 29.

(3) سورة إبراهيم، آية 7.

(4) الشطر غير مستقيم الوزن.

(5) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 374.

(6) سورة الفلق، آية 5.

فِيمَا إِلَى جَنَّةٍ أُزْلِفَتْ<sup>١</sup> وَإِمَّا إِلَى سَعْرٍ تَسْتَعْرُ<sup>(1)</sup>

"المتقارب"

فألُفَظَ هَذَا الْبَيْتَ مُسْتَمَدَّةً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ"<sup>(2)</sup>، أَيْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُدْنِيَتْ وَقَرِيبَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَقَوْلِهِ: "مَا سَلَكَكُمْ فِي سَعْرٍ"<sup>(3)</sup>، أَيْ، مَا الَّذِي أُدْخَلَكُمْ جَهَنَّمَ، وَجَعَلَكُمْ تَذُوقُونَ سَعِيرَهَا؟، وَيَقُولُ الْقَاضِي الزَّبِيدِي:

وَأَخْرُ بَرَّاقُ الثِّيَابِ وَعَرِضُهُ مِنْ الْعَارِ وَالتَّنْدِيسِ رِجْسٌ عَلَى رِجْسٍ<sup>(4)</sup>

"الطويل"

وَهُوَ مُتَأَثِّرٌ بِالْأَفْظَانِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ"<sup>(5)</sup>، أَيْ وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ نِفَاقٌ وَشَكٌّ فِي دِينِ اللَّهِ فَقَدْ زَادَتْهُمْ نِفَاقًا إِلَى نِفَاقِهِمْ وَكُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَازْدَادُوا رِجْسًا وَضَلَالًا فَوْقَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الرَّجْسِ وَالضَّلَالِ، وَمَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَيَقُولُ أَيْضًا:

كَلَّفَتْنِي غَامِضًا عَوِيصًا أَرْجُمُ فِيهِ الظُّنُونَ رَجْمًا<sup>(6)</sup>

"مخلع البسيط"

فَتَأَثَّرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادُسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ"<sup>(7)</sup>، وَيَقُولُ كَذَلِكَ:

كَيْفَ بِالذِّينِ الْقَوِيمِ لَكَ مِنْ أُمَّ تَمِيمٍ<sup>(8)</sup>

"مجزوء الرمل"

(1) ابن خاقان، مطمح الأنفس، 249.

(2) سورة التكويد، لآية 13.

(3) سورة المدثر، آية 42.

(4) ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم 2، ص 66.

(5) سورة التوبة، آية 125.

(6) المقري. نفع الطيب، ج 7، ص 39.

(7) سورة الكهف، آية 22.

(8) المقري. نفع الطيب، ج 7، ص 39.

ويقول عز وجل: " ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"<sup>(1)</sup>، فذلك الذي أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، ويقول القاضي أبو الوليد ابن الصفار:

لا تسأم الكدَّ وطولَ السُّرى      فطالبُ الفردوسِ لا يسلم<sup>(2)</sup>

"السريع"

فكلمة (الفردوس) مأخوذة من قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا"<sup>(3)</sup>، فالذين آمنوا بالله وعملوا بما يرضيه لهم أعلى درجات الجنة وهي الفردوس منزلا ومستقرا، ويقول أيضا:

فخذُ منَ النومِ بحظِّ فإنْ      قضيتَ منه وطرا فانصب<sup>(4)</sup>

"السريع"

وقوله عز وجل: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ"<sup>(5)</sup>، أي فإذا فرغت يا محمد من دعوة الخلق، فاجتهد في عبادة الخالق، وإذا انتهيت من أمور الدنيا، فأتعب نفسك في طلب الآخرة، ويقول القاضي ابن عبد البر:

تجافَ عنِ الدنيا وهونَ لقدرها      ووفَّ سبيلَ الدينِ بالعروة الوثقى<sup>(6)</sup>

"الطويل"

ويقول تعالى: "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى"<sup>(7)</sup>، أي من كفر بما يعبد من غير الله كالشيطان والأوثان وآمن بالله فقد تمسك من الدين بأقوى سبب.

(1) سورة يوسف، آية 40.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 740.

(3) سورة الكهف، آية 107.

(4) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 741.

(5) سورة الشرح، آية 7.

(6) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 296، المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 28.

(7) سورة البقرة، آية 256.

## ثالثاً: التأثر بالقصص القرآني:

ونرى القضاة يعتمدون كذلك على القصص القرآني، فيكتفون بمجرد الإشارة إليه معتمدين على إدراك السامع وفهمه، فيقول القاضي الزبيدي في ذم أهل زمانه:

سامريين يقولون  
ن جميعاً: "لا ميساسا!"<sup>(1)</sup>

"مجزوء الرمل"

وهذا مأخوذ من قصة السامري رئيس قوم اليهود الذي أمر قومه بعبادة العجل في غياب موسى عن الطور، وذلك في قوله تعالى: " قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ"<sup>(2)</sup>، أي عقوبتك في الدنيا ألا تمسَّ أحداً ولا يمسَّك أحد، ويقول القاضي ابن عبد البر:

إذا فاخرتَ فافخرْ بالعلوم  
ودع ما كان من عظمِ رميم<sup>(3)</sup>

"الوافر"

وهو متأثر بقصة أبي بن خلف الذي جاء بعظم رميم، وفتته في وجه النبي الكريم وقال ساخراً: أتزعم يا محمد أن الله يُحيينا بعد أن نصبح رفاتاً مثل هذا؟ فقال صلى الله عليه وسلم له: نعم يبعثك ويدخلك النار، فيقول تعالى: " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ"<sup>(4)</sup>.

(1) المقري، نفع الطيب، ج3، ص476. ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم1، ص673.

(2) سورة طه، آية 95-97.

(3) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص329.

(4) سورة يس، آية78.

## رابعاً: الاستشهاد بالقرآن الكريم:

فيقول القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وقد آذاه شخص فخاطبه منذر بالكنية، فقيل له:

أيؤذيك وأنت تخاطبه بالكنية؟ فقال: (الكامل)

لا تعجبوا من أنني كنيتهُ  
فإنه قد كنى أبا لهبٍ وما  
من بعد ما قد سبنا وأذانا  
كناهُ إلا خزيةً وهواناً<sup>(1)</sup>

"الكامل"

فهو يستشهد بما جاء في القرآن من تكنية عم الرسول الكريم عبد العزى بن عبد  
المطلب بأبي لهب في قوله تعالى: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ"<sup>(2)</sup>، ويقول القاضي أبو الوليد الباجي  
في معنى الزهد والطاعات:

وحاق بي ما جاء عن ربنا  
(ووجدوا ما عملوا حاضراً)<sup>(3)</sup><sup>(4)</sup>

"السريع"

فهو يستشهد بقوله تعالى: " وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أُحَدَا"<sup>(5)</sup>.

ومن الجدير الإشارة أن أشعار القضاة خلت من الاقتباس القرآني النصي، وهو ما التزم  
فيه الشاعر بلفظ النصّ القرآني وتركيبه، فقد كان للعلماء موقف منه، حيث قال السيوطي: "وقد  
اشتهر عن المالكية تحريمه، وتشديد النكير على فاعله"<sup>(6)</sup>، وقد أكد المقرئ في نفع الطيب هذا

(1) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص248-249. المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص374.

(2) سورة المسد، أية1.

(3) الشطر غير مستقيم الوزن.

(4) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104.

(5) الكهف، أية49.

(6) ورد هذا النصّ في كتاب: بهجت، الدكتور منجد مصطفى. الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك  
الطوائف والمرابطين، ص436. ط1. مؤسسة الرسالة، بيروت: 1407-1986م. نقلا عن: المدني، علي صدر الدين  
بن معصوم. أنوار الربيع في أنواع البديع، ج2، ص217-218. ط1، تحقيق: شاعر هادي شكر. مطبعة النعمان،  
النجف: 1969م.

الرأي<sup>(1)</sup>، وبذلك يظهر أثر المذهب المالكي جليا في أشعار قضاتنا، فقد كانت هذه الأشعار صورة صادقة لهم، غير أن ابن الأثير يرى رأيا مغايرا، "وذاك أنه لا تؤخذ الآية بكاملها، بل يؤخذ جزء منها، ويجعل أوّلا لكلام أو آخرا، هذا إذا لم يقصد به التضمنين، فأما إذا قصد التضمنين فتؤخذ الآية بكاملها، وتدرج درجا"<sup>(2)</sup>، ولئن اختلف أسلوب التعبير إلا أن الرأي واحد، فابن الأثير يرى أن الآية لا تؤخذ كاملة إلا إذا قصد بها التضمنين، والذي قصدته المالكية بتحريمها كذلك هو الاقتباس الحرفي الذي لا يتضمن تصريحاً أو تلميحاً معه على أنه آية، والتجوز هذا هو ما عبرنا عنه بالاستشهاد.

### خامسا: التأثر بالحديث الشريف:

كما كان للحديث النبوي الشريف أثر واضح في أشعارهم، فيقول القاضي ابن عبد البر:

تَعَفُّ الْمَرْءُ عَنِ سِوَالِهِ	وَكَسْبُهُ الْحِلَّ بِاحْتِيَالِهِ
وَسَعِيَّهُ فِي صَلَاحِ عَيْشِهِ	لَمَنْ يُؤَارِيهِ مِنْ عِيَالِهِ
مُرُوءَةٌ بَالِغٌ بِهَا مَنْ	يَبْلُغُهَا مِنْتَهَى كَمَالِهِ
وَمَنْ يَصُنُّ وَجْهَهُ يَزِنُهُ	صِيَانَةُ الْوَجْهِ مِنْ جَمَالِهِ
رَضِيَ الْفَتَى بِالْقَضَاءِ عَزًّا	وَنَزَلَهُ الْوَجْهِ فِي ابْتِدَالِهِ <sup>(3)</sup>

"مخلع البسيط"

فقد روى الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: "لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعهها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"<sup>(4)</sup>، ويقول القاضي أبو الوليد الباجي:

(1) المقري. نفع الطيب، ج5، ص271

(2) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مج2، ص1، ط287، تحقيق: الشيخ كامل محمد محمد عويضة. دار الكتب العلمية، بيروت: 1419-1998م.

(3) ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم1، ص165-166.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، مج1، ج2، باب الاستغفار عن المسألة، حديث رقم1471، ص157.

تَجَنَّبَ بِجَهْدِكَ مَا صَوَّرُوا      وَإِنْ كَانَ فِي سِتْرٍ أَوْ (مِيثَرِه)  
فَإِنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ      أَحَقُّ الْعَذَابِ لِمَنْ صَوَّرَهُ<sup>(1)</sup>

"المتقارب"

وهذا مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
الْمَصُورُونَ"<sup>(2)</sup>، ويقول القاضي منذر بن سعيد البلوطي:

ثَلَاثٌ وَسِتُونَ قَدْ جَزَّتْهَا      فَمَاذَا تُؤَمِّلُ أَوْ تَتَنْظَرُ<sup>(3)</sup>

"المتقارب"

فقد روي عن ابن عباس أنه قال: "أُنزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ابْنُ  
أَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَتُوفِيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ"<sup>(4)</sup>، ويقول  
القاضي محمد بن سعيد بن بشير:

مَا مَاتَ قَوْمٌ إِذَا أَبَقُوا لَنَا أَدْبًا      وَعَلِمَ دِينَ وَلَا بَانُوا وَلَا ذَهَبُوا<sup>(5)</sup>

"البيسيط"

فقد روي عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ  
انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"<sup>(6)</sup>. وقال  
القاضي منذر بن سعيد مشيدا بصفات سيدنا علي -كرم الله وجهه-:

رَبُّ الْكِسَاءِ وَخَيْرُ آلِ مُحَمَّدٍ      دَانِيُ الْوَلَاءِ مَقْدَمُ الْإِسْلَامِ<sup>(7)</sup>

"الكامل"

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص103.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التصاوير، حديث رقم5950، ص85.

(3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص249.

(4) الترمذي، صحيح الترمذي، أبواب المناقب، ص108-109.

(5) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص512.

(6) النسائي. سنن النسائي، ج5، كتاب الوصايا، ص251. تحقيق: الشيخ حسن محمد المسعودي. دار الكتاب العربي، بيروت.

(7) المقرئ، نفع الطيب، مج2، ص512.

فقد روي عن أبي سلمة ربيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: نزلت هذه الآية على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>(1)</sup> في بيت أم سلمة، فدعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة وحسنا وحسينا، فجلَّهم بكساء وعلي خلف ظهره، فجلَّه بكساء، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت إلي خير"<sup>(2)</sup>.

---

(1) الأحزاب، أية: 33.

(2) ينظر: الترمذي. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، ج5، حديث رقم (3787)، ص663.

## بناء الصورة الفنيّة

- التشبيه المفرد.
- التشبيه التمثيليّ والضمنيّ.
- الاستعارة والمجاز والكناية.

## بناء الصورة الفنيّة

قد برع الأندلسيون في التصوير والخيال، وأكثروا من أنواع التشبيه<sup>(1)</sup> المفرد والتمثيليّ والضمني، وافتنوا في الاستعارات والكنائيات، فهم تارة يعرضون التشبيه قضية بسيطة وأخرى يعرضونه حجّة وبرهانا على قضية سابقة، وقد يضيفون إليه ألوانا من المحسنات البديعية، كما زاوجوا بين استخدام الصور الموروثة وصور تتسم بالجدة والطرافة<sup>(2)</sup>، والحال نفسه عند قضائنا الشعراء حيث تعددت لديهم الصور الفنيّة وتوعدت، فامتازوا ببعد الخيال وحسن التشبيه.

### التشبيه المفرد:

وهو "ما يكون فيه الوصف المشترك محققا في شيء واحد"<sup>(3)</sup>، ويكثر القضاة من هذا اللون من التشبيه في صورة المضاف والمضاف إليه، وهو ما يصطلح البلاغيون على تسميته بالبلغ، "وهو اللفظ التشبيهيّ الذي تحذف فيه أداة التشبيه، ويحذف فيه وجه الشبه، ولا يتضمّن إلا الطرفين فقط: المشبّه والمشبّه به"<sup>(4)</sup>، يقول القاضي أبو الوليد الفرضي:

رعتكم من الرحمن عينٌ بصيرةٌ ولا كشفتُ أيدي الردي عنكم ستر<sup>(5)</sup>

"الطويل"

---

(1) التشبيه: هو الدلالة على مشاركة شيء أو صورة لشيء آخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة بإحدى أدوات التشبيه لجامع بينهما، كما تقول: محمد كالأسد شجاعة، ينظر:

فيود، الدكتور بسيوني عبد الفتاح. علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص17. مؤسسة المختار - مصر، ودار المعالم الثقافية-الأحساء: 1418-1998م. وهبة. معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، باب الناء، ص99. عباس، فضل حسن. البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، ص17.

(2) شلبي. الأصول الفنيّة للشعر الأندلسي "عصر الإمارة"، ص303.

(3) أبو موسى، محمد. التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص26. 2، مكتبة وهبة، القاهرة: 1400-1980م.

(4) عطية، الدكتور مختار. علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دراسة بلاغية، ص43. دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية: 2004م.

(5) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام. الذخيرة، مج2، قسم1، ص616. المقري. نفع الطيب، ج2، ص13. الضبي. بغية الملتبس، ص291. الحميدي. جذوة المقتبس، ص399. ابن باشكوال. الصلة، قسم1، ص255.

وهو يشبه الردى بالأيدي، فالمعنى مشترك بين المشبه والمشبه به، فكلاهما يحملان مدلول الأخذ والسلب، وهو بذلك يعكس صورة نفسية، تجعله يستحضر الموت في كل حين، فالموت في ذهن القاضي هو تلك اليد التي تلازمه في كل حين، وما هو عن تناولها ببعيد.

ويقول القاضي محمد بن أبي عيسى:

كَأَنَّ لَمْ تَأْرَقْ بِالْعِرَاقِينَ مُقْلَتِي      وَلَمْ تَمْرُ كَفُ الشُّوقِ مَاءَ مَاقِي<sup>(1)</sup>

"الطويل"

فيشبه الشوق بالكف، فالكف ترمز إلى لقاء الأحباب والأصحاب، فيها تكون المصافحة بعد طول غياب، ويستخدم بعد ذلك الاستعارة، فيشبه الدموع بالمياه، فيحتاج مجدداً إلى تلك الكف لتمسح دموعه المنسكبة من شدة الشوق وحرارة اللقاء، فتتداخل هذه التشابيه وتتعانق لتضعنا أمام صورة فنية مؤثرة وبديعة. ويقول القاضي أبو بكر الزبيدي:

أَغْرَقْتَنِي فِي بَحُورِ فِكْرٍ      فَكَدْتُ مِنْهَا أُمُوتُ غَمًّا<sup>(2)</sup>

"مخلع البسيط"

يعيش قاضينا حالة من التوتر والضياع، فلم يعد يقوى على تحمل تلك الأفكار، فكانت أشبه ما تكون بالبحور، فكلاهما يوجان بصاحبهما، ويوديان به نحو الهلاك. ويمدح أبو الوليد الباجي ممدوحه بصفات حسية تقليدية، فيشبهه بالشهاب، وهي صورة موروثية:

هَذَا الشَّهَابُ الْمَسْتَضَاءُ بِنُورِهِ      عَلَّمَ الْهَدَى هَذَا الشَّهَابُ الْأَوْحَدُ<sup>(3)</sup>

"الكامل"

وكثيراً ما شبّهت الكلمة بالسيف أو السهم، في صورة موروثية، فيقول الباجي أيضاً:

(1) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص260. المقرئ. نفع الطيب، ج2، ص13.

(2) المقرئ. نفع الطيب، ج4، ص8.

(3) ابن بسام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص100.

وأرى القول كالسهام فإنّ كما

نَ قبيحا عادتُ عليّ سهامي<sup>(1)</sup>

"الخفيف"

ويقول القاضي منذر:

مقالٌ كحدِّ السيفِ وسَطَ المحافلِ

فَرَقْتُ بِهِ ما بينَ حقٍّ وباطلِ

بقلبٍ ذكيٍّ ترتمي جَنبَاتُهُ

كبارقِ رعدٍ عندَ رِعرِشِ الأناملِ

وقد حذقتُ نحوِي عيونٌ إخالها

كمثلِ سهامٍ أثبتتُ في المَقاتلِ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فهو يشبه خطبته ومقالته التي ألقاها بحضرة ملك الروم والتي فرق بها بين الحقّ والباطل بالسيف القاطع الفاصل، وهي صورة موروثه، كما يشبه القلب المرتجف الخائف بصورة مركبة طريفة تجمع صوت الرعد المرجف وعرش الأنامل والأطراف، كما يشبه النظرات والعيون بالسهام، وبهذا تتعكس حالة الشاعر النفسيّة المضطربة، فتظهر في تشبيهاته، فالموقف جليل يثير في القلوب الهلع والخوف، ولئن كان قاضينا أظهر نوعا من رباطة الجأش إلا أن صورة المشبه به في ذهنة كانت قاتمة، فتارة يستخدم السيف، ومرة السهام، وأخرى الرعد والرعرش.

ومن بدائع التشبيهات قول القاضي منذر مشبها الموت بالحوض الذي لا بد من أن يرده الجميع:

الموتُ حوضٌ وكلنا يَرِدُ

لم ينجُ ممّا نخافُهُ أحدُ<sup>(3)</sup>

"المنسرح"

ومن تشبيهاتهم البسيطة الموروثة قول القاضي محمد بن السليم:

(1) المصدر نفسه. مج1، قسم2، ص105.

(2) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص244. المقرئ. نفح الطيب، ج1، ص373. الحموي، معجم الأدباء، مج10، ج19، ص184. المراكشي، المعجب، ص56.

(3) المقرئ. نفح الطيب، ج1، ص374.

أتاني قريضٌ كالجُمانِ المفصلِ      بديعٌ معانيه لطيفُ التوصلِ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

كما نجد القاضي ابن أبي عيسى يتأثر بالبيئة الأندلسية ذات المياه والأنهار فيشبه قلبه بالجنـدل، وهو مكان في مجرى النهر فيه حجارة يشتدّ عندها جريان النهر،<sup>(2)</sup> وذلك بجامع القسوة، وعدم الاحتفاظ بالشيء:

هُمُ الصبابةُ لولا همةٌ شرفُتْ      فصيرتُ قلبه كالجندلِ القاسي<sup>(3)</sup>

"البسيط"

وهكذا فقد انعكست تشبيهات القضاة على الحالة النفسية لديهم، فتلوتت بأحاسيسها وعواطفها، حيث "يتنوع أسلوب التأثير النفسي للتشبيه من مكان إلى آخر، حسب الاهتمامات والتعريفات التي يؤمن بها شعب دون شعب آخر، وأصحاب مهنة معينة عن مهنة أخرى، ولهذا فإنّ الشاهد التشبيهي إذا كان من بيئة المتفنن والمتلقي كان له سحر التأثير، وإذا اختلف في بيئة أحدهما فتر التأثير، وخفّ التوصل"<sup>(4)</sup>.

(1) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص544.

(2) أنيس، إبراهيم، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله الأحمر. المعجم الوسيط، باب الجيم، فصل النون. ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة: 1392-1972م.

(3) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص261. المقري. نفع الطيب، ج2، ص13. الثعالبي. يتيمة الدهر، ج2، ص72. الحميدي. جذوة المقتبس، ص126.

(4) أبو علي، الدكتور محمد بركات حمدي. البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، ص103. ط1، دار وائل للنشر، 2003م.

## التشبيه التمثيلي والضمني

يقول القاضي أبو الوليد الباجي:

وأسمرَ ينطقُ في مشيه  
ويسكتُ مهما أمرَ القلمُ  
على ساحةٍ ليلها مشرقٌ  
منيرٌ وأبيضها مُدلهمٌ  
وشبهتها ببياضِ المشيب  
يخالطُ نورَ سوادِ اللمم<sup>(1)</sup>

"المتقارب"

وتظهر الصورة هنا بمظهرها المركب، فتعبّر عن المستوى الثقافي له، فتارة يشبه المداد بالليل، ولكن هذا الليل مشرق بما يحويه من علوم ومعارف، وتارة أخرى يشبه المداد بسواد الشعر، ويشبه ما يتخلله من بياض بالشيب، فقد جاءت الصورة الثانية مؤكدة للصورة الأولى.

ويقول القاضي أبو عبد الله الأنصاري:

ومنْ عَجَبٍ أَنِّي أَهيمُ بحبِّه  
وأوليهُ إِعراضاً وفي القلبِ يرتعُ  
كذي رَمَدٍ في مقلتيه يزيدهُ  
سنا الشمسِ (ضرا) وهوَ بالشمسِ مولعٌ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فهو بصور إِعراضه عن محبوبته مع أنه يهيم بحبها بالشخص الذي يشكو من رمد في عينيه، فيعرض عن أشعة الشمس مع أنه مولع بها، وفي هذا تشخيص للصورة المعنوية ونقلها إلى عالم المحسوس. ويقول أبو الوليد ابن الصّفار:

رُبوعُ كساها المزنُ منْ خَلعِ الحيا  
بُروداً وحلاها منْ النورِ جوهر<sup>(3)</sup>

"الطويل"

(1) ابن بسام. الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 98.

(2) ابن عسكر. أعلام مالقة، ص 76.

(3) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص 291.

فيصور النباتات بالبرود، والنور بالجواهر، وكأنّ هذه الربوع التي أوزقت وأزهرت بعد أن أمطرت عليها السماء أصبحت فتاة حسناء قد لبست أجمل ثيابها، وتزينت بالجواهر.

ونجد عباس بن ناصح يقدم لنا صورة طريفة وجميلة يعبر بها عن حزنه وألمه وطول ليله، فيشبه نجوم الليل التي لا تتحرك من مكانها بالقطيع من الغنم الذي يتلبث ويمشي مشيا ونيدا:

فبتُّ أرقبُ صُبْحاً سُدَّ مَطْلِعُهُ	فلا أرى الليلَ عن مرقاته انصدعا
كأنَّهُ ونجومُ الليلِ قد جُعِلَتْ	تهوي على السمّتِ منها غورا خضعا
راع تَلَبَّثَ قَدْ أوصى بصرمته	أخرى الرّعاء يُزجّي سائقا هُبعا <sup>(1)</sup>
يا ليلُ أصبحِ ويا صُبْحُ استنترُ فلقدُ	أبرحتماني فإنّ لم تفعلّا فدعا <sup>(2)</sup>

"البسيط"

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الصورة مستعارة، إذ لا يوجد إبل في الأندلس حتى قدوم يوسف بن تاشفين عام تسعة وسبعين وأربعمئة هجرية.

ويقول أبو الوليد الباجي في قيام الليل:

من ينصبّ الليلَ ينلُ راحتهُ	عند الصّباحِ يحمّدُ القومُ السّرى <sup>(3)</sup>
-----------------------------	--

"الرجز"

يقول من قام الليل صلاة يستشعر الراحة في الصباح، ويستشهد على ذلك بحال القوم الذين يسرون باكرا فيحمدون سراهم عند الصباح.

(1) الصرمة: القطعة من الغنم، والهبع: ما نتج في آخر النتاج، والربع: ما نتج في أوله، فإذا مشى الهبع مع الربع يعقيه، أي استعان به.

(2) الطبيب، أبو عبد الله محمد بن الكتاني. كتاب التشبيهات، ص 138.

(3) ابن بسام. الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 105.

## الاستعارة والمجاز المرسل والكناية

أولاً: الاستعارة:

"الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدّعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به"<sup>(1)</sup>، ويقول الجرجاني: "واعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغويّ معروفًا، تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية"<sup>(2)</sup> وهي تنقسم إلى قسمين: تصريحيّة ومكنيّة، "والمراد بالأول هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به، والمراد بالثاني أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه"<sup>(3)</sup>، فيقول ابن أبي عيسى

لا تلمني على البكا والعويلِ      ذكّرتني نخيلُ فاسٍ نخيلي<sup>(4)</sup>

"الخفيف"

يشبه القاضي نخيل فاس بالأناسي الذين يتكلمون ويذكرون، ويحذف المشبه به، ويبقى على المشبه على سبيل الاستعارة المكنيّة، وهو بهذا يعكس إحساسا داخليا يتعاطى معه نفسيّته فيتفاعل مع ما يشاهده من نخيل، فلا يعد ذلك النبات الجامد، وإنما أصبح كأننا حيّا يبادلّه مشاعره وأحاسيسه. ويستخدم الاستعارة المكنيّة كذلك في قوله:

كلما قلتُ سالمتيّ الليلي      وصفا العيشُ شابهُ التكديرُ<sup>(5)</sup>

"الخفيف"

(1) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن عليّ. مفتاح العلوم، ص369. ت: نعيم زرزور، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت: 1403هـ\_1983م.

(2) الجرجاني، الإمام عبد القاهر. أسرار البلاغة في علم البيان، ص22. ط1، تحقيق: السيّد محمد رشيد رضا. دار الكتب العلميّة، بيروت: 1409هـ\_1988م.

(3) السكاكي. مفتاح العلوم، ص373.

(4) الثعالبي. يتيمة الدهر، ج2، ص72. عياض، ترتيب المدارك، ج3\_4، ص410.

(5) عياض، ترتيب المدارك، ج3\_4، ص410.

فيشبهه العيش بالمياه، والتكدير بالشوائب، وقد عكس بتشبيهه هذا حالة حسيّة تعبر عن ذنبه الأحوال وتقلّبها، فالمياه حرّة الحركة، وبداية التحول والتغيير.

يقول القاضي محمد بن بشير في فضل الكتب:

فَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ مَسْرُورًا تُحَدِّثُنِي      عَنْ عِلْمٍ مَا غَابَ عَنِّي فِي الْوَرَى الْكُتُبِ<sup>(1)</sup>

"البسيط"

لم تعد الكتب مجرد أوراق، وإنما أصبحت كائنا بشريًا تجالس صاحبها وتتحدث معه، لقد كسر القاضي في هذه الاستعارة الحواجز الماديّة، وجسر بين ركنيها بلحمة معنويّة.

ويشبهه أبو الحسن الرعيني أطفاله بالفراخ فيحذف المشبه ويبقى على المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحيّة:

فإني قد خلّفت في أفق موطني      فراخا هوام ليس عنه مناب<sup>(2)</sup>

"الطويل"

ونحن نحسّ مدى اتّحاد المشبه بالمشبه به في نفس القاضي، ممّا جعله يحذف المشبه، ويصبح المشبه به بذلك في عالم القاضي ونفسيّته حقيقة لا مجازا، فينعكس بذلك إحساس القاضي الأبويّ الذي ينظر إلى أولاده الصغار بعين الودّ والرحمة، "فالاستعارة إذن ليست حركة في ألفاظ فارغة من معانيها، ولا تلاعبا بكلمات، وإنما هي إحساس وجدانيّ عميق، ورؤية قلبيّة لهذه المشبّهات التي تشكّلت في الكلمات المستعارة"<sup>(3)</sup>.

**ثانيا: المجاز المرسل:**

وهو كلمة أو تركيب استعمل في غير معناه الحقيقيّ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ...، وقد تكون العلاقة في المجاز المرسل السببيّة، أو المسببيّة،

(1) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص511.

(2) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص172.

(3) أبو موسى. التصوير البيانيّ، ص184.

أو الجزئية، أو الكلية، أو اعتبار ما كان، أو اعتبار ما يكون، أو المحلية، أو الحالية<sup>(1)</sup>. ويقول القاضي ابن الفرضي:

رعتكم من الرحمن عينٌ بصيرةٌ ولا كشفتُ أيدي الردى عنكم ستر<sup>(2)</sup>

"الطويل"

فيجعل من كلمة "عين" مجازاً مرسلًا علاقته الجزئية، فهي مناط الرعاية والحنان، لذلك كانت مكانتها في نفس القاضي كبيرة، فجعله ذلك ينظر إليها على أنها كل لا جزء. يقول ابن أبي عيسى:

كم فتى منهم وكهلا وشيخا ألدته كفاك وسط الحفير<sup>(3)</sup>

"الخفيف"

وفيهما -أيضا- مجاز مرسل علاقته الجزئية، فاليد بأكملها ساهمت في عملية الإلحاد، وليس الكفان فقط، وكثيرا ما ينسب الفعل للكف، فهي أهم عضو في العمل. ويقول أبو الوليد الباجي:

رعى الله قلبين استكانا ببلدة هما أسكناها في السواد من القلب<sup>(4)</sup>

"الطويل"

والقاضي هنا يذكر القلبين، ولكنه لا يريد هما فقط، وإنما يقصد الجسدين كاملين، وقد اهتم بذكر هذا الجزء من الجسد ألا وهو القلب لأنه موطن العواطف والشعور والأحاسيس، وشعر القاضي ينبعث من مشاعر وعواطف صادقة.

(1) وهبة. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، باب الميم، ص334-335.

(2) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام. الذخيرة، مج2، قسم1، ص616. المقرئ. نفع الطيب، ج2، ص13. الضبي. بغية الملتمس، ص291. الحميدي. جذوة المقتبس، ص399. ابن باشكوال. الصلة، قسم1، ص255.

(3) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص409.

(4) الأصفهاني. الخريدة، ص500. ابن بسام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقرئ. نفع الطيب، مج2، ص75. ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج1، ص327. الحموي، معجم الأدباء، مج6، ج11، ص250. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص807. ابن خاقان. قلاند العقيان، ص189.

### ثالثاً: الكناية:

كما نجد القضاة يكثرّون في أشعارهم من استخدام الكناية، وهي "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة..."<sup>(1)</sup>، وهي "أن تطلق اللفظ، وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي"<sup>(2)</sup>، ويكنّي ابن الفرضيّ عن صفة الخضوع والذلّ بـ "عند بابك واقف":

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفٌ      على وجَل مما به أنتَ عارفٌ<sup>(3)</sup>

"الطويل"

والكناية هنا تعطي صورةً فنيّةً جميلةً، فتصور ذلك المذنب العاصي وقد تاب إلى ربه وأقلع عن ذنبه، تصوره بذلك الأسير المقيّد والمكبّل أمام سيّده، فتضفي على قاضينا صفة الذلّ والخضوع لله تعالى، وتستشعر صفة الهيبة والجلال والعظمة لله عزّ وجلّ، ويكنّي أيضاً عن نسبة الخضوع إلى اليد اليمنى بـ "طوع يمينه":

إنّ الذي أصبحتُ طوعَ يمينه      إنّ لم يكنْ قمرا فليس بدونه<sup>(4)</sup>

"الكامل"

لقد تمكّن هذا الحبّ من القاضي، فهو لا يستطيع التخلص منه، فالحبّ قويّ ومسيطر عليه، وهو بذلك يعكس شعوراً نفسياً فيصور الحبّ بأقوى وأشدّ أجزاء الجسد وتلك اليد اليمنى

(1) السكاكي. مفتاح العلوم، ص402.

(2) عباس. البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع، ص243.

(3) المقرئ. نفع الطيب، ج2، ص129. ابن باشكوال. الصلة، قسم2، ص253. ابن خلّكان. وفيات الأعيان، مج3، ص105.

(4) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص286. المقرئ. نفع الطيب، ج2، ص130. الضبي. بغية الملتمس، ص291. الحميدي.

جدوة المقتبس، ص399. ابن باشكوال. الصلة، قسم1، ص255. ابن خلّكان. وفيات الأعيان، مج3، ص106. ابن بسّام.

الذخيرة، مج2، قسم1، ص616.

الشديدة والقويّة، كما أنّ لها دلالات خاصة وعمامة، فاليمين رمز الخير والعطاء، وهو في نفس الوقت دلالة على القوّة والمنعة.

ويكنّي القاضي محمد بن أبي عيسى عن نسبة الخوف إلى الرأس فيقول:

ومنّ بحارٍ إذا هالتُ بصاحبها      أهدتْ لهُ الخوفَ محمولاً على الرأسِ<sup>(1)</sup>

"البسيط"

انعكست حالة القاضي النفسية على كنيته، فهو يصارع النوازل والأخطار في تلك السفرات، وما أكثر تلك المواقف التي يكون فيها الإنسان رهن الموت، ولا شك أنّ في معنى السفر دلالات على الألم والقسوة والموت، فالمسافر في خطر مستمر، وهذا جعل القاضي يعبر عن تلك المعاني، فنسب الخوف إلى الرأس، والرأس أكثر مواضع الجسم ضعفا وحساسية، كلّ هذا رسمه بصورة فنيّة رائعة، يستشعر الإنسان من خلالها قلق القاضي وخوفه، وتماوج نفسيّته المضطربة.

ويكنّي أبو الوليد الباجي عن صفة الكرم بقوله:

عاليّ محلّ النارِ في كَلِبِ الشتا      إذ بالحضيضِ لغيره مستوقدٌ<sup>(2)</sup>

"الكامل"

وابن الباجي يمدح قاضي بغداد، فيستخدم كناية موروثة فيصفه بالجود والكرم، فقد كان في مديحه مقلّداً. يكنّي أبو بكر الزبيدي عن صفة الراحة والخمول:

وليسَ يفيذُ العلمَ والحلمَ والحجا      أبا مسلمٍ طولُ القعودِ على الكرسي<sup>(3)</sup>

"الطويل"

(1) الحميدي. جذوة المقتبس، ص126.

(2) ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص100.

(3) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص120. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص86. الحموي، معجم الأدباء، مج9، ج18، ص181. الضبي، بغية الملتبس، ص57. السيوطي، بغية الوعاة، ص34. ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم، ص66. المراكشي، المعجب، ص63. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص278. المقرئ. نفع الطيب، ج4، ص7.

يريد أن يقول القاضي إن العلوم لا تنال إلا بالجد والاجتهاد، وليس بالأنساب والمناصب والمقامات، وطول الدعة والخمول كما يتصور البعض، ولئن رمزت الكرسيّ في كثير من الأحيان إلى القوة والملك والسلطان، فهي هنا تخرج في كنايةها عن هذا الأمر، وتعكس الناحية السلبية له، كذلك يكتفي عن صفة الطاعة والانقياد بقوله:

وإذا أملَّ قومٌ أحداً  
فإلى ربِّك فامدُّدْ عُنُقَكَ<sup>(1)</sup>

"الرمل"

إن شعور القاضي الباطنيّ يجعله يتمنّى رهبة الله وقدرته في كلّ حين، فمسيرنا بيد الله عزّ وجلّ، فلا منجاة لنا من حكمه وقضائه، فالموقف النفسيّ للقاضي يجعله يصورّ ضعف الإنسان أمام الله تعالى، فلا يجدر به غير الاستسلام له والرضا بقضائه، فليس هناك أكثر طاعة وانقياداً من ذلك الكائن الذي مدّ عنقه، وجعله في متناول الآخرين وسيطرتهم، والعنق هو مجمع السلطة والحياة.

من هنا نجد الاستعارة والمجاز والكناية عند القضاة تلوّنت بألوان المستوى الدينيّ والثقافيّ والمعرفيّ، فجاءت صورة صادقة عن أحاسيسهم وعواطفهم، كما انعكست نفسيّاتهم فيها، فنحت بدلالاتها ومعانيها تبعاً للبيئة والمكان، وحسب اهتماماتهم وتعريفاتهم التي يؤمنون بها.

(1) المقرّي، نفع الطيب، ج4، ص333.

## البناء الموسيقيّ

- الجناس
- التردد
- التصريح
- شكل القصيدة وأسلوبها
- الوزن الشعريّ
- القافية

## الجناس<sup>(1)</sup>

تظهر موسيقا الشعر بالجناس الذي يقوم على أساس التشابه بين اللفظتين في الإيقاع مع اختلافهما في المدلول، فإن اتّفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهينتها الحاصلة في الحركات والسكنات، وترتيبها كان الجناس تاماً، وإن اختلف اللفظان في واحد مما ذكر كان الجناس ناقصاً<sup>(2)</sup>.

ومما سيق على شكل التجانس التام، متطابق الإيقاع بين ركنيه المتجانسين ما يأتي: قول أبي الوليد الباجي في عبادة الله والخضوع له:

وجاهدْ عن اللّذاتِ نفسَكَ جاهداً      فإنَّ جهادَ النفسِ خيرُ جهادٍ<sup>(3)</sup>

"الطويل"

وقوله:

ثمَّ توتى يومَ الكتابِ كتابا      ناطقا بالفجورِ والآثامِ<sup>(4)</sup>

"الرمل"

وقول ابن الفرصي في معنى الغزل:

ذلّي له في الحبّ من سلطانه      وسيقامُ جسمي من سيقامِ جفونه<sup>(5)</sup>

"الكامل"

وإذا تأملنا الأمثلة السابقة نجد أن التطابق في الإيقاع بين ركني التجانس يعانقه تطابق واتحاد في درجة إحساس الشاعر بهما، وعلى الرغم من اختلاف معنيهما وتباين مدلوليهما في

(1) ينظر: الطيّب. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج2، ص585.

(2) نجا. قصيدة المديح في الأندلس، ص249. وهبة. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، باب الجيم، ص138.

(3) ابن بسام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص103.

(4) المصدر نفسه، مج1، قسم2، ص105.

(5) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص286. المقري، نوح الطيب، ج2، ص130. الضبي. بغية الملتمس، ص291. الحميدي.

جذوة المقتبس، ص399. ابن باشكوال. الصلة، قسم1، ص255. ابن خلكان. وفيات الأعيان، مج3، ص106. ابن بسام.

الذخيرة، مج2، قسم1، ص616.

الحقيقة والواقع، فهما متحدان ومتطابقان في المعنى في نفس الشاعر، فهو من خلال عواطفه وأحاسيسه يمزج بين المعاني المتباعدة ويحقق لها الوحدة، ففي المثال الأول يجانس بين فعل الأمر "جاهد" بمعنى امنع واحفظ، واسم الفاعل "جاهدا" بمعنى بذل الجهد والطاقة، فتتحد دلالتهما في نفس الشاعر وإحساسه، فكلا المعنيين يتطلب بذل المشقة والتعب، وذلك من أجل نيل رضا الله والفوز بالجنة، وفي المثال الثاني يجانس الشاعر بين لفظة "الكتاب" بمعنى يوم القيامة، ولفظة "كتاب" بمعنى سجل أعمال الإنسان يوم القيامة، فكلاهما يحمل معنى وارتباطا واحدا في نفس الشاعر، فيوم القيامة يكون به الحساب على جميع أعمال الإنسان، وفي المثال الثالث يتساوى لدى الشاعر الشعور والإحساس في قوله "سقام" بمعنى المرض والألم، و"سقام" بمعنى فتور النظرة ونعاسها، فكلا الأمرين يسبب ويعقب التعب والسهر والعذاب في نفس الشاعر.

ومما سبق من أشعار القضاة على شكل التجانس الناقص، مختلف الإيقاع بين ركنيه المتجانسين ما يأتي: قول القاضي ابن أبي عيسى:

حسبيَ اللهُ خالقُ الخلقِ فاللَّـهُ      هُ على كشفِ ما عرانيّ قديرٌ<sup>(1)</sup>

"الخفيف"

قول أبو الوليد الباجي في رثاء ابنه:

يقرّ بعيني أن أزور تراهما      وألصقُ مكنونَ الترائبِ بالتربِ<sup>(2)</sup>

"الطويل"

ويظهر في المثالين السابقين اختلاف ركني التجانس في عدد الأصوات، مما يؤدي إلى اختلاف زمن الإيقاع بين المتجانسين، فيكون أحدهما أطول زمنا في ترددات ذبذباته الصوتية<sup>(3)</sup>،

(1) عياض، ترتيب المدارك، ج3\_4، ص410.

(2) الأصفهاني. الخريدة، ص500. ابن بسام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقري. نفع الطيب، مج2، ص75. ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج1، ص327. الحموي، معجم الأديباء، مج6، ج11، ص250-351. عياض، ترتيب المدارك، ج3\_4، ص807. ابن خاقان. قلائد العقيان، ص189.

(3) نجا. قصيدة المديح في الأندلس، ص253.

ففي المثال الأول تزيد اللفظة الأولى "خالق" عن اللفظة الثانية "خلق" بحركة الفتحة الطويلة وهي من أصوات المدّ والتي تعطي صفة التفخيم والاستعلاء، فإله أعزّ وأجلّ من جميع الخلق، كما توحى زيادة الفتحة الطويلة كذلك في المثال الثاني في كلمة "الترائب" بالاستعلاء حيث يعلو الصدر فوق التراب، وينجم عن ذلك كلّ تنوّع في الإيقاع والأثر السمعي. ويقول منذر البلوطي بعد أن فرغ من خطبته التي ألقاها بحضرة ملك الروم:

بقلبِ ذكيٍّ ترتمي جَنَابَتُهُ      كبارقِ رعدٍ عندَ رِعرِشِ الأناملِ<sup>(1)</sup>

"الطويل"

ويقول القاضي ابن عبد البرّ في تقليد العامة علماءها:

وأصيخُ إلى قولي ودنُ بنصيحتي      واحفظُ عليَّ بوادريّ ونوادري<sup>(2)</sup>

"الكامل"

والتجانس الناقص في المثالين السابقين سيق مختلفا في مسافة إيقاعه نتيجة لاختلاف نوع الأصوات بين المتجانسين، وتتعدّد المجانسة في المثال الأول بين اللفظين "رعد" و"رعرش"، فهما يختلفان في الصوت الأخير، ولئن كان هناك تقارب نسبي بين مخرج الدالّ الأسنانيّ اللثوي ومخرج الشين الغاري، فهذا يعود لتقارب المعنى بينهما فكلاهما يدلّان على الحركة والاهتزاز، لكن صوت الدالّ يتسم بملحي الجهر والانفجار، فيكسب اللفظ القوة والشدة، بينما يتسم صوت الشين بلمح الهمس فيكسب اللفظ السكينة والهدوء، وملح الاحتكاك يعطينا صورة لحالة الإنسان الخائف من صوت الرعد والمرتجف من برد السماء والذي أخذ يحكّ أطرافه بعضها ببعض، وملح التفشي يجعل الصفة تنتشر في جميع أطراف الموصوف ويكسبها صفة الاستمرارية، وفي المثال الثاني نجد المجانسة بين اللفظين "بوادري" و"نوادري"، فهما يختلفان في الصوت الأول، فبوادر الكلام بدايته، وغالبا ما تكون معانيه سطحيّة الدلالة وناقصة، بينما

(1) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص244. المقرئ. نوح الطيب، ج1، ص373. الحموي، معجم الأدباء، مج10، ج19، ص184. المراكشي. المعجب، ص56. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص296.

(2) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص291.

النوادر تكون للمعاني الطريفة والثمينة، ومخرج الباء من الشفتين اللتين تعدّان آخر المخارج الصوتية، ويتسم بلمح الجهر والانفجار، فيخرج التيار الهوائي له بعد انحباسه خلف نقطة انطباق الشفتين فانفراجهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا، وهذا يعطي الصوت صفة الاندفاع وعدم إصابة الهدف وسلبية النتيجة، بينما صوت النون لثويّ متوسط المخرج يحمل ملمح الأنفية، فيكسب الصوت قوة في المعنى والدلالة.

## الترديد

ويكون بأن "يأتي الشاعر بلفظة متعلّقة بمعنى، ثمّ يرددها بعينها متعلّقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه"<sup>(1)</sup>، وذلك بهدف تفجير طاقتها المعنوية في السياق، وتوليد الإيقاع الموسيقي من خلال تردد أصوات الكلمتين، وقد أكثر القضاة من التردد واعتمدوا عليه، شأنهم في ذلك شأن شعراء الأندلس<sup>(2)</sup>، فمنه ما سيق على أحد طرفيه في صدر المصراع الأوّل، والطرف الآخر في صدر المصراع الثاني من البيت، ومنه: قول أبي الوليد الباجي في رثاء ابنه:

وررّنتُ قبلكَ بالنبِيِّ محمّدٍ      ولررّوهُ أدهى لديٍّ وأعظّم<sup>(3)</sup>

"الكامل"

وقول ابن أبي عيسى:

يحنُّ إلى طيّباتِ الطعامِ      حنينَ الرضيعِ إلى الوالدة<sup>(4)</sup>

"المتقارب"

ومنه ما سيق أحد طرفيه في عجز المصراع الأوّل، والآخر في عجز المصراع الثاني من البيت، ومنه: يقول ابن الفرزي:

فيا سيدي لا تُخزني في صحيفتي      إذا نُشرتْ يومَ الحسابِ الصحائف<sup>(5)</sup>

"الطويل"

---

(1) ابن رشيق، أبو عليّ الحسن القيروانيّ. العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج2، ص2. ط1، تحقيق: السيّد محمّد بدر الدين النعساني الحلبي. محلّ محمّد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر: 1325-1907م.

(2) نجا. قصيدة المديح في الأندلس، ص258.

(3) ابن بسّام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقرّي. نفع الطيب، مج2، ص75. ابن خاقان. قلاند العفيان، ص189.

(4) الطيب. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص244. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص410.

(5) المقرّي. نفع الطيب، ج2، ص129. ابن باشكوال. الصلة، قسم2، ص253. ابن خلّكان. وفيات الأعيان، مج3، ص105.

وقول منذر بن سعيد البلوطي:

فلا تكن مغرماً برزق غدٍ      فلست تدري بما يجيء غد<sup>(1)</sup>

"المنسرح"

ومنه ما سيق أحد طرفيه في عجز المصراع الأول، والآخر في حشو المصراع الثاني

من البيت، ومنه:

وقول منذر بن سعيد البلوطي:

يا سفيها قد حان منك رحيلٌ      بعد ذلك الرحيل يوم عصب<sup>(2)</sup>

"الخفيف"

وقول أبي بكر الزبيدي:

الفقر في أوطاننا غربةٌ      والمال في الغربة أوطان<sup>(3)</sup>

"السريع"

ومنه ما سيق أحد طرفيه في حشو المصراع الأول، والآخر في عجز المصراع الثاني

من البيت، ومنه:

يقول ابن الفرضي:

سأستعتب الدهرَ المفرقَ بيننا      وهل نأفعي أن صرتُ أستعتبُ الدهر<sup>(4)</sup>

"الطويل"

---

(1) المقري. نفع الطيب، ج1، ص374.

(2) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص239. المقري. نفع الطيب، ج1، ص375.

(3) الثعالبي. بتيمة الدهر، ج2، ص81.

(4) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام. الذخيرة، مج2، قسم1، ص615. المقري. نفع الطيب، ج2، ص131.

الضبي. بغية الملتبس، ص291. الحميدي. جذوة المقتبس، ص398. الصلة، قسم1، ص255.

قول ابن الفرضي:

مضت لي شهورٌ منذُ<sup>(1)</sup> غبتم ثلاثةً وما خلّتي أبقى إذا غبتم شهر<sup>(2)</sup>

" الطويل "

ويقول محمد بن أبي عيسى:

وقبيحٌ صبرُ الخليلِ أخي الوجـ دِ عنِ الدمعِ عندَ ذكرِ الخليلِ<sup>(3)</sup>

" الخفيف "

ومنه ما سبق أحد طرفيه في صدر المصراع الأول، والآخر في عجز المصراع الثاني

من البيت، ومنه:

يقول ابن الفرضي:

يخافُ ذنوباً لم يغبْ عنكَ غيبها ويرجوكَ فيها فهوَ راجٍ وخائفٌ<sup>(4)</sup>

" الطويل "

ويقول محمد بن أبي عيسى:

يا قليلَ الإنصافِ في الهجرِ مهلاً إنَّ وِجديَ عليكَ غيرُ قليلٍ<sup>(5)</sup>

" الخفيف "

---

(1) وردت في التراجم (مذ)، والوزن لا يستقيم إلا ب(منذ).

(2) ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ص 62. ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص 286. ابن بسام. الذخيرة، مج 2، قسم 1، ص 615. المقرئ. نفع الطيب، ج 2، ص 131. الضبي. بغية الملتمس، ص 291. الحميدي. جذوة المقتبس، ص 398. الصلة، قسم 1، ص 255.

(3) بيتيمة الدهر، ج 2، ص 72.

(4) المقرئ. نفع الطيب، ج 2، ص 129. ابن باشكوال. الصلة، قسم 2، ص 253. ابن خلّكان. وفيات الأعيان، مج 3، ص 105.

(5) الثعالبي. بيتيمة الدهر، ج 2، ص 72. عياض، ترتيب المدارك، ج 3\_4، ص 411.

لقد جاء التردد بكثرة في أشعار القضاة، ولئن كان سمة بارزة في الأدب الأندلسي بشكل عام، غير أننا نجده عندهم أوضح منه عند غيرهم، فقد ارتبط عندهم بحالتهم النفسية، فتفاعلت أحاسيسهم وعواطفهم مع البيئة والمؤثرات من حولهم، فكانت الكلمة المرددة تمثل محورية البيت، والمعنى يدور بأكمله حولها، فحققت بذلك نوعاً من التوكيد، وجذب انتباه السامعين.

## التدوير

"وهو أن يكون شطرا البيت مشتركين في كلمة واحدة"<sup>(1)</sup>، بحيث تنقسم الكلمة قسمين، فيدخل الجزء الأول منها في تفعيلة العروض، والجزء الثاني في التفعيلة الأولى من عجز البيت، وهذا التدوير يحقق تواسلا في الأشطر يؤدي إلى سرعة الإيقاع، كما يضمن وحدة المقاطع أو الأجزاء التي يرد فيها، وبالتالي يحقق وحدة نغمية في القصيدة ككل، أضف إلى ذلك أنه يسمح بتعدد النغمات وتنوعها بين الشطر والآخر<sup>(2)</sup>، ونجد لدى القضاة بعض النماذج على ذلك، فيقول ابن أبي عيسى:

حسبي الله خالق الخلق فاللـ      هـ على كشف ما عراني قدير<sup>(3)</sup>

"الخفيف"

فجعل لفظ الجلالة بؤرة محورية تربط بين شقي البيت، وتعكس من خلالها الموقف النفسي الذي يستشعر به في كل حين، فقد جعل من لفظ الجلالة رابطا لغويا يعكس رابطا دلاليًا ومعنويًا، فربط لفظ الجلالة بالخلق في شقه الأول، وبالكشف في شقه الثاني، وهو بذلك يشير إلى إيمانه العميق بالله، وحمية كشف الضر عن الخلق. ويقول الزبيدي:

سامريين يقولو      ن جميعا: "لا ميساسا!"<sup>(4)</sup>

"مجزوء الرمل"

فالموصل بين المصراعين هو الفعل (يقولون) ، فربطه بما قبله لتأكيد نسبة القول إلى السامريين، وبما بعده لإصاق القول بالمقول، فهذا المعنى شديد الصلة والترابط مع بعضه بعضا.

(1) أحمد، محمد، ومولاي حفيظ بابوي، وبشرى عليطي. البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة، ص93. ط1، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس: 1998م.

(2) المرجع نفسه، ص93.

(3) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص410.

(4) للمقري. نفع الطيب، ج3، ص476. ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم1، ص673.

ويقول ابن عبد البر:

فإذا اقتديتَ فبالكتابِ وسنةِ الـ مبعوثِ بالدينِ الحنيفِ الطاهر<sup>(1)</sup>

"الكامل"

فهو يربط بين القرآن والسنة من جهة، والدين الإسلامي من جهة أخرى، ونرى كلمة (المبعوث) جاءت لتدور البيت، فالمبعوث هو الرسول، وبرسالته هذه جاء بالقرآن والسنة للذين يكون بهما إحياء الدين الإسلامي. فكلمة (المبعوث) أوصلت وربطت الإسلام بالكتاب والسنة، وبهذا الترابط اللغوي عبّر أيضا عن الترابط النفسي والواقعي.

---

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص292.

## التصريع

التصريع "هو أن يجعل الشاعر العروض والضرب متشابهين في الوزن والرويّ في البيت المصرّع على أن يكون عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه، وتزيد زيادته"<sup>(1)</sup>، ولم يكن التصريع ظاهرة حديثة، بل هي ظاهرة موسيقية قديمة، فقد استخدمها الشعراء منذ العصر الجاهليّ، ولا سيّما تصريع البيت الأول من القصائد، وقد أُلغ الأندلسيون في استخدامه لأنه صادف هوى في أنفسهم، ونزوعا إلى تطلّب الاكتناز النغمي والإيقاعيّ، فقد افتتوا وأولعوا بالموسيقا حتّى أفضى ذلك إلى ظهور فنّ الموشح وازدهاره<sup>(2)</sup>. وهكذا فقد اهتمّ القضاة بتوظيف التصريع في كثير من مطالع قصائدهم، يقول ابن الفرضي في مطلع مقطوعته في معنى العبادة والخضوع لله:

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفٌ      على وجلّ مما به أنتَ عارفٌ<sup>(3)</sup>

"الطويل"

ويقول أبو الوليد الباجي في مدح قاضي بغداد:

يا بعدَ صبرِك أتهموا أم أنجدوا      هيهاتَ منكَ تصبُرٌ وتجلدٌ<sup>(4)</sup>

"الكامل"

ويقول كذلك في مدح الأمير معزّ الدولة أبي علوان بن أسد الدولة:

محلّ الهوى من سرّ حبّك أهلٌ      وصرّف النوى عن شملّ شوقي غافلٌ<sup>(5)</sup>

"الطويل"

(1) يعقوب، إميل بديع. المعجم المفصّل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ط1، ص193-194. دار الكتب العلميّة، بيروت: 1411-1991م.

(2) نجا. قصيدة المديح في الأندلس، ص264.

(3) المقرّي. نفع الطيب، ج2، ص129. ابن باشكوال. الصلة، قسم2، ص253. ابن خلّكان. وفيات الأعيان، مج3، ص105.

(4) ابن بسّام. الذخيرة، مج1، قسم2، ص99.

(5) المصدر نفسه. مج1، قسم2، ص102.

ويقول القاضي منذر بن سعيد في الزهد:

كم تصابى وقد علاك المشيبُ      وتعامى عمداً وأنت اللبيب<sup>(1)</sup>

"الخفيف"

ويقول القاضي ابن الصفار في التصوف والزهد:

فررتُ إليك من ظلمي لنفسي      وأوحشني العبادُ وأنت أنسي<sup>(2)</sup>

"الوافر"

ونحن نجد التصريح مستخدماً بكثرة عند القضاة في مختلف الأغراض وعلى جميع المستويات من بيت ونتفة ومقطوعة وقصيدة، وذلك لأن في التصريح جلباً لانتباه السامعين، ومنصب القضاء أحوج ما يكون لذلك، كذلك كانت تلك المقدمات مناسبة لمضمون القصائد أو المقطوعات، وألفاظها لطيفة تستحوذ على انتباه السامعين، وتبتعد عما ينفّرهم، "فقد حرص الأندلسيون في الابتداء أن يتخير الشاعر في مقدّمة القصيدة ما لطف من الألفاظ، لأنه أول ما يقرع السمع، ولذلك فإنّ أكثر ما يعاب على الشعراء إذا بدؤوا قصائدهم بما يتطير به من الألفاظ"<sup>(3)</sup>.

(1) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص 239. المقري. نفع الطيب، ج 1، ص 375.

(2) الضبي. بغية الملتمس، ص 447. الحميدي. جذوة المقتبس، ص 613. ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص 289. المقري. نفع الطيب، ج 4، ص 26.

(3) عبد الرحيم، مصطفى عليان. تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 391. مؤسسة الرسالة.

## شكل القصيدة وأسلوبها

عرف الأندلسيون في أشعارهم القصيدة الطويلة، والمقطوعة، والنتفة، والبيت المستقل، ولم يستأثروا بشكل دون الآخر، وقد قمنا بدراسة مائة وثلاثة عشر (113) شكلاً ما بين قصيدة ومقطوعة ونتفة وبيت مستقل، بواقع أربع مائة وأربعة وتسعين بيتاً (494)، فكان لدينا ستّ وعشرون قصيدة (23%) بواقع مئتي وخمسة وأربعين بيتاً (49.6%)، وثلاث وأربعون مقطوعة (38%) بواقع مائة وستّة وستين بيتاً (33.6%)، وتسع وثلاثون نتفة (34.5%) بواقع ثمانية وسبعين بيتاً (15.8%)، وخمسة أبيات مستقلة (4.5%) بواقع (1%)، وهكذا فمن خلال دراستنا أشعار القضاة وجدنا أنّ السمة الغالبة عليها جاءت على شكل قطع قصيرة لا تتجاوز ستة أبيات كما أنّ هذه القصائد كانت من النوع القصير الذي لا يتجاوز الاثني عشر بيتاً، غير قصيدة واحدة لأبي الوليد الباجي يمدح بها قاضي بغداد السمناني بلغت ثلاثة وعشرين بيتاً، يقول في مطلعها:

يا بعدَ صبرِكَ أتهموا أمْ أنجدوا هيهاتَ منكَ تصبُّرٌ وتجلُدٌ<sup>(1)</sup>

"الكامل"

وإذا تفحصنا أشعار القضاة نجد القصائد -على قلّتها- موزعة على أغراض الحنين، والرتاء، والعلم، فكان نصيب غرض الشوق والحنين من القصائد خمسا من بين عشرة نماذج شعريّة وبنسبة خمسين بالمائة، وفي الرثاء قصيدتان من بين ثلاثة وبنسبة سبع وستين بالمائة، وفي العلم أربعة قصائد من بين عشرة وبنسبة أربعين بالمائة، وهذا يجعلنا نخرج بأمرين، أولهما صدق عاطفة القضاة وطول معاناتهم، فغرض الحنين والرتاء ينبعان من عاطفة صادقة تفيض بالحزن والأسى على فراق الإخوان والخلان، ويشيران إلى طول الفرقة والمعاناة، فالمرثي يعقب خلفه مرارة وحزنا شديدين لا يزولان إلا بعد طول دهر وعناء، كما كانت لرحلات القضاة العلميّة الطويلة الأثر البالغ في اشتداد الألم والشوق والمعاناة لطول غيابهم عن الأهل والأصحاب، وثانيهما الاهتمام بالعلم وتحشّم الأخطار والأهوال في سبيله، فمن طلب العلا سهر

(1) ابن بسام: الذخيرة، مج1، قسم2، ص99.

الليالي، وجاب بلاد المشرق والمغرب، ولهذا جاءت هذه الأغراض ذات طابع قصائديّ طويلة استطاع القضاة من خلال الكمّ العدديّ لأبياتها أن يعكسوا عبء المعاناة وطولها.

ونشير إلى أنّ هذه القصائد جميعها قد جاءت على نسق واحد، فلم تنح منحى تقليديا بالجزل والوقوف على الأطلال ووصف الرحلة، بل طرق القضاة الغرض مباشرة دون تقديم، فأحاسيسهم وعواطفهم صادقة ابتعدت بهم عن التقليد والمحاكاة والاهتمام بالشكل الفنّي، فكانت الوحدة العضويّة، وهي "وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتّى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحيّة، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر"<sup>(1)</sup>، وعلى خلاف ذلك فإننا نجد قصائد المديح تلتزم بالشكل التقليدي، فتبدأ بالنسيب أو وصف الطبيعة، وبعدها ذلك وصف الرحلة إلى ديار الممدوح، وذلك لأن في غرض المديح الصنعة والتكلف، وطلب الودّ والعطاء، فيكون الاهتمام بالشكل الفنّي أمرا لازما.

ونجد المقطوعات الشعرية تنفّس وتزدحم في أغراض الوصف، والجزل، والهجاء، والزهد، والأخلاق، فلم يحفل القضاة بالوصف سوى ابن عبّاد، وقد كان وصفه على شكل مقطوعات انفرادية تتفق مع شعر شعراء عصره، وكذلك نجدهم يبتعدون عن الجزل سوى ما جاء عرضا خاليا من الحسّ والعاطفة، فقد تساموا عن النظم في هذا الغرض ابتعادا منهم عن الخطايا، وتنزيها لهم عن الصغائر والدنايا، ولم يؤثر الإطالة في غرض الهجاء لتنافيه مع محاسن القضاء وأخلاقه، ونحوها به منحى جديدا بعيدا عن الفاحشة والرذيلة وشم الأنساب وهناك الإعراض، بينما كان غرض الزهد والأخلاق محلّ عناية واهتمام لديهم، فلئن غلب عليهما شكل المقطوعة إلا أنّهما استعاضا عن ذلك بالكمّ العدديّ، فقد كثرت هذه المقطوعات فبلغت الثلاثين، كما أنّ المقطوعة أكثر استيعابا لهذا الغرض، فهي لا تتطلب التحضير المسبق والعناية والمراجعة كما هو الحال في القصيدة، وإنّما يرتجلها الشاعر مع الطبع والبدئية، فتكون ملازمة للموقف والمقام، وما أكثر تلك المواقف التي يحتاجها القضاة لتذكير العامّة والخاصّة بالدين

(1) هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، ص394. دار العودة، بيروت: 1987م.

الحنيف وحسن الأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقي أن نشير إلى أن بعض هذه المقطوعات ربّما كان قصائد طويلة لم تصل إلينا، فللقاضي عباس بن ناصح قصيدة لم يصل منها سوى مطلعها وخاتمتها، فيقول في المطلع:

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدمُ      إذا المرء لم يعدل تقى الله والكرمُ

وينتهي بقوله:

تجافَ عن الدنيا فما لمعجزٍ      ولا عاجز إلا الذي خطّ بالقلم<sup>(1)</sup>

"الطويل"

وللقاضي أبي بكر الزبيدي في رثاء شيخه علي بن إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغويّ قصيدة طويلة لم يصل إلينا منها سوى مطلعها:

تالله لا يبقى لصرفِ النوى      ذو حديدٍ في رأسِ نيقٍ منيف<sup>(2)</sup>

"السريع"

---

(1) المقرئ. نفع الطيب، ج2، ص261. ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج1، ص246. الصفيدي. الوافي بالوفيات، ج16، ص645.

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص81.

## الوزن الشعريّ

ومن خلال دراستنا أشعار القضاة نجدها قد نظمت على أحد عشر بحرا عروضيّا، وتتّفق نسبة شيوخ بعضها مع نسبة شيوخ البحور في الشعر العربي بشكل عام<sup>(1)</sup>، فقد احتلّ الطويل النصيب الأكبر (30%)، يليه حسب الترتيب البسيط (16.8%)، والمتقارب (8.9%)، والكامل (8.8%)، والسريع (8%)، والخفيف (6.2%)، والوافر (5.3%)، والمنسرح (4.4%)، ومخلّع البسيط (3.5%)، ومجزوء المجتثّ (2.7%)، والرمل (2.65%)، ومجزوء الرمل (2.65%) والرجز (1.8%)، ومجزوء الكامل (0.9%)، ومجزوء الوافر (0.9%). فالبحر الطويل بقي محافظا على نسبته وأكثرية، فقد "نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي"، بينما نجد الوافر والخفيف تقلّ نسبتهم عن نسبة شيوخهما، ويتقدّم عليهما المتقارب والسريع<sup>(2)</sup>.

ولا تهمنا هذه النسبة بمقدار ما تهمنا نسبة شيوخها في كلّ عرض شعريّ على حدة، وذلك لأنّ "الباحثين يعقدون الصلة بين عاطفة الشاعر وما تخيّره من أوزان لشعره"<sup>(3)</sup>، و"الشاعر يختار البحور التي تلائم صوته قوّة وضعفا، فالشاعر الطاعن في السنّ، والشاعر الضعيف الجسم، والشاعر الخفيض الصوت، والشاعر المريض بأمراض الصدر كالربو والنزلات الشعبيّة وغيرها، يعجزهم أن ينشدوا من البحر الطويل أو البحر البسيط لطولهما الذي يجعلهما أشبه شيء بالخطبة، حتّى ليحتاج المنشد لهما أن يلتقط أنفاسه عقب كلّ بيت"<sup>(4)</sup>، فالقاضي ابن أبي عيسى يتقدّم به العمر ويدنو أجله، فيأمر أن يكتب على سريره قصيدة من ثمانية أبيات ينظمها على البحر الخفيف، فهو "أخفّ البحور على الطبع وأطالها للسمع يشبه الوافر لينا، ولكنه أكثر سهولة وأقرب انسجاما"<sup>(5)</sup>:

لا يغرّتك يا محمدُ ليلٌ      بتّ فيه على فراشٍ وثيرِ

(1) أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر، ص59-139. ط5، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر: 1978.

(2) المرجع نفسه، ص191.

(3) المرجع نفسه، ص178.

(4) الجندي، عليّ: الشعراء وإنشاد الشعر، ص100. دار المعارف، القاهرة: 1967م-1387.

(5) البستاني، سليمان: شرح إيّاذة هوميروس، مج1، ص93. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. الجندي: الشعراء وإنشاد الشعر، ص106.

قَرَّبَ الموتَ منكُ مرُّ الليالي وأرى النقصَ<sup>(1)</sup> واضحَ التعبيرِ<sup>(2)</sup>

"الخفيف"

وإذا رجعنا لمدحتي الباجي في أمير حلب معزّ الدولة وفي المعتضد بالله نجد الأولى قد نظمها في ريعان شبابه، فاختر البحر الطويل الذي يلائم صوته وجسمه قوّة، كما أنه أكثر من عدد أبيات القصيدة، فبلغت الاثني عشر:

محلّ الهوى من سرِّ حبِّك أهلٌ وصرفُ النوى عن شَمَلِ شوقي غافلٌ<sup>(3)</sup>

"الطويل"

بينما لم تتعدّ مقطوعته في المعتضد البيتين، وابتعدّ في نظمها عن البحور الطويلة التامة واختار مخلّع البسيط:

عبادٌ استعبَدَ البرايا بأنعمِ تلبغِ النعائمِ  
مديحُهُ خيمُ كلِّ نفسٍ حتّى تَغَنَّتْ بهِ الحَمائمُ<sup>(4)</sup>

"مخلع البسيط"

وإذا أنعمنا النظر في نسبة شيوع البحور العروضيّة في الأغراض الشعريّة نرى أنّ غرض الشوق والحنين نظم على بحور طويلة كالطويل والبسيط، وبحور قصيرة وهي الأعمّ كالخفيف والسريع والوافر ومخلّع البسيط، وهذا الغرض ينبع من عاطفة صادقة ونفس منفعلّة تتسجم معها البحور القصيرة، وقد غلب استخدام الخفيف من بين هذه البحور فهو سهل خفيف يتفق مع هذا الغرض، وقد جاءت البحور الطويلة على شكل مقطوعات باستثناء واحد، فالشاعر

(1) جاءت في المصدر بإضافة كلمة (منك) ولا يستقيم الوزن إلا بحذفها.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج3\_4، ص409.

(3) ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص102. المقري، نفع الطيب، مج2، ص84.

(4) ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص100. المقري، نفع الطيب، مج2، ص76. الحموي، معجم الأدباء، مج6، ج11، ص250.

"ساعة الانفعال النفسانيّ يميل عادة إلى تخيّر البحور القصيرة، وإلى التقليل من الأبيات"<sup>(1)</sup>، ولو عقدنا مقارنة بين قصيدة ابن الفرضي على البحر الطويل:

مضت لي شهورٌ منذُ<sup>(2)</sup> غبتُم ثلاثةً  
وما خلّنتي أبقى إذا غبتُم شهرا  
وما لي حياةٌ بعدكم أستلذها  
ولو كان هذا لم أكن بعدها حرا  
رعتكم من الرحمن عينٌ بصيرةٌ  
ولا كشفت أيدي الردى عنكم ستر<sup>(3)</sup>

"الطويل"

وقصيدة ابن أبي عيسى على البحر الخفيف:

لا تلمني على البكا والعويل  
ذكرتني نخيل فاس نخيلي  
وانسكاب الأمواه من حل الضّ  
حى دموع الأحباب يوم الرحيل  
فعلت زفرتي وطال انتحابي  
وبدت لوعتي وهاج غليلي<sup>(4)</sup>

"الخفيف"

فوجد العاطفة وحرارتها عند ابن أبي عيسى أوضح وأصدق منها عند ابن الفرضي، فابن أبي عيسى يتفاعل مع أحاسيسه وعواطفه فيستخدم مفردات الحزن والبكاء بكثرة حتّى لنشعر بصورة حيّة تجسد القاضي في موقف تراجيدي مرير (البكا، العويل، نخيلي، انسكاب، دموع، الأحباب، فعلت، زفرتي، انتحابي، لوعتي، غليلي)، بينما لا نجد قوة هذه العاطفة عند ابن الفرضي، فلا يهتم في الكشف عن مشاعره وأحاسيسه، ويشغل نفسه في التأريخ (شهور، شهرا)، وأسلوب الشرط الذي يضعف العاطفة.

(1) أنيس. موسيقى الشعر، ص179.

(2) وردت في التراجم (مذ)، والوزن لا يستقيم إلا ب(منذ).

(3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام، الذخيرة، مج2، قسم1، ص615-616. المقري، نوح الطيب، ج2، ص131. الضبي، بغية الملتمس، ص291. الحميدي، جذوة المقتبس، ص398-399. ابن باشكوال، الصلة، قسم1، ص255. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص62.

(4) الثعالبي، بتيمة الدهر، ج2، ص72. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص409-411.

ونجد الزهد يكثر نظمه على المتقارب، ففي الزهد تجليات صوفيّة، وقسوة على الذات وتعنيف لها، وهو "بحر فيه رنةً ونغمة مطربة، على شدة مأنوسة، وهو أصلح للعنف والسير السريع"<sup>(1)</sup>، ولئن كثرت نظم الزهريّات على بحر الرمل "فيجود نظمه في الأحزان والأفراح والزهريّات، ولهذا لعب به الأندلسيون كل ملعب، وأخرجوا منه ضروب الموشحات"<sup>(2)</sup> إلا إنّنا لا نجد في وصف القضاة، ولعلّ ذلك يرجع إلى عدم اهتمام قضائنا بهذا الغرض، وانشغالهم عنه بأمور الدين والقضاء، غير إنّنا نجد مقطوعة نظمت على البحر السريع الذي "يتدفّق سلاسة وعبوبة يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف"<sup>(3)</sup>، فالقاضي ابن عبّاد يشبهه شجرة الياسمين بمطرف (ثوب من حرير) أخضر:

وياسمين حَسَن المنظرِ      يفوقُ في المرأى وفي المخبرِ  
كأنّما<sup>(4)</sup> من فوق أعصانه      دراهمٌ في مُطرفٍ أخضر<sup>(5)</sup>

"السريع"

وجاءت أشعار الرثاء على ثلاثة بحور هي السريع والكامل والبسيط، والرثاء غرض تفيض فيه المشاعر والأحاسيس، ويمتاز بصدق العاطفة وحرارتها، والسريع "بحر يتدفّق سلاسة وعبوبة، فيحسن فيه الوصف، وتمثيل العواطف الفيّاضة"<sup>(6)</sup>، فالقاضي أبو بكر الزبيدي يرثي شيخه على بن إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغويّ بقصيدة طويلة لم يصلنا منها سوى مطلعها:

تالله لا يبقى لصرْفِ النوى      ذو جَبَدٍ في رأسِ نيقٍ منيف<sup>(7)</sup>

"السريع"

(1) الجندي: الشعراء وإشاد الشعر، ص106.

(2) البستاني، سليمان: شرح إلياذة هوميروس، مج1، ص93.

(3) المرجع نفسه، مج1، ص93.

(4) وردت في المصادر (كأن) وبها لا يستقيم الوزن.

(5) ابن بسّام. الذخيرة، ج1، قسم2، ص23. ابن الأبار، الحلة السبراء، قسم2، ص38.

(6) الجندي: الشعراء وإشاد الشعر، ص106.

(7) الثعالبي: بيتيمة الدهر، ج2، ص81.

وتبقى قصيدتان في الرثاء للقاضي الباجي، جاءت إحداهما على البحر الكامل يرثي بها ابنه محمداً، والأخرى على الطويل يرثي بها ابنه، لقد مات ابنان للباجي في أرض الغربية أحدهما محمد، وقد صرح باسمه في قصيدته الأولى، بينما لم يصرح باسمي ولديه كليهما في القصيدة الثانية، وهذا يضعنا أمام تساؤل، هل مات الاثنان معا، أم سبق أحدهما الآخر؟ ومن السابق منهما؟، ونحن نستبعد الاحتمال الأول، ونرجح الاحتمال الثاني، فلو توفى ابنه معا لما خصّ ابنه محمداً في قصيدة مستقلة، وكذلك نرى أنّ موت محمد سبق موت أخيه، فالأخ لم يرث إلا مع محمد، بينما رثي محمد منفرداً.

من هنا ندرك أن القصيدة الأولى أسبق من الثانية، وقد كان رثاؤه لمحمد عاجلاً، ووقت حدوث المصيبة فكان انفعاله النفسي في أشده، وعواطفه ومشاعره أكثر حرارة، بينما رثاؤه لابنيه كان بعد مضي فترة زمنية، ومصحوباً بحالة من اليأس والجزع، فمحمد لم يكن قد مات في تلك اللحظة، كما نستبعد أيضاً أن يكون موت الأخ حديثاً، فلو كان كذلك لرثاه في قصيدة مستقلة كما فعل مع محمد، "على أننا نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصبّ فيه من أشجانه ما ينفّس عنه حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفّس وازدياد النبضات القلبية"<sup>(1)</sup>، وإذا كانت القصيدة الأولى نظمت على البحر الكامل، والثانية على الطويل، "والطويل والبسيط أطول بحور الشعر العربي"<sup>(2)</sup> فإننا بهذا نجد رثاء لابنه محمد في القصيدة الأولى أكثر عاطفة وحرارة:

أحمدٌ إن كنتُ بعدكُ صابراً	صبرَ السليمَ لما به لا يسلمُ
فلقد علمتُ بأنني بك لاحقٌ	من بعد ظني أنني مُتقدّمٌ
وبكل أرضٍ لي من آجلك روعةٌ	وبكل قَبْرِ عِبْرَةٍ وترنمٌ
فإذا دعوتُ سواك حادَ عن اسمِهِ	ودعاهُ باسمِكَ مِقُولٌ بك مغرمٌ

(1) أنيس. موسيقى الشعر، ص 177-178.

(2) الطيّب. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج 1، ص 362.

فلئن جُرعتُ فإنَّ ربي عاذرٌ      ولئن صبرتُ فإنَّ صبريَ أكرمُ<sup>(1)</sup>

"الكامل"

فهو يصرح باسمه مستخدماً أسلوب نداء القريب، فابنه قريب منه، ولم يمض على وفاته وقت بعد، ولا يكاد يتحمل ثقل هذه المصيبة فهو على وشك الموت واللاحق به، وتأتي ألفاظه حاملة معاني البكاء والحزن والحسرة (روعة، قبر، عبرة، ترنم، جزعت، صبرت).

ونجد شعر الشكوى نظم على البحور الطويلة لتكون متنسعا لدى الشاعر للتفيس عن آلامه وأحزانه فيبث شكواه بنفس طويل، كذلك يشيع شعر العلم في البحور الطويلة والبحر الكامل، فهي تستوعب كافة المعاني، وتصلح لكل الأغراض<sup>(2)</sup>، إضافة إلى ذلك فهي تعكس طول باع القضاة في العلم، وحجم الجهد والمعاناة من جراء تعلّمه وتعليمه، وينظم الفخر على البحر الطويل والوافر، فالطويل يستوعب الأغراض كافة، ويتناسب مع الدافع لغرض الفخر الذي يضحّم فيه صاحبه من ضمير الأنا ويطيل نفسه، والوافر "ألين البحور، يشتدّ إذا شدّدته، ويرقّ إذا رققته، وأكثر ما يوجد به النظم في الفخر كملقّة عمرو بن كلثوم"<sup>(3)</sup>، وكثر نظم غرض المراسلات على البحور البسيطة والمجزوءة، فهي "تصلح للأناشيد والتوشیحات الخفيفة وأفكار الهزل والمجون"<sup>(4)</sup>، فقد كتب القاضي منذر البلوطي إلى أبي علي البغدادي يستعير منه كتاباً:

بحقّ ريمٍ مهفّفٍ      وصدّغِهِ المتعطّفُ

ابعثْ إليّ بجزءٍ      من الغريبِ المصنّف<sup>(5)</sup>

"مجزوء المجتث"

(1) ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص101-102. المقري، نفع الطيب، ج2، ص75. ابن خاقان، قلاند العقيان، ص189.

(2) البستاني، سليمان: شرح إلباظة هوميروس، مج1، ص91-92.

(3) المرجع نفسه. مج1، ص92.

(4) الجندي: الشعراء وإنشاد الشعر، ص107.

(5) المقري، نفع الطيب، مج2، ص20. الحموي، معجم الأدياء، مج10، ج19، ص184.

## القافية<sup>(1)</sup>

حظيت القافية باهتمام الشعراء والنقاد، وهي بمثابة السجع في النثر، فهي قوام الشعر وملاكه، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمّى شعراً حتّى يكون له وزن وقافية<sup>(2)</sup>، ويعدّ حرف الروي<sup>(3)</sup> أبرز حروف القافية وأهمّها، ولكن هل كان الشعراء يختارون القوافي المناسبة لمعانيهم وأغراضهم كما لاحظنا مناسبة كثير من البحور لأغراضها؟، وللإجابة عن هذا السؤال نجد الأستاذ سليمان البستاني يقول: "ولا ريب أنّ اختيار قافية القصيدة أبعد منالا من اختيار بحرهما، وذلك بنسبة ما يربو عدد القوافي على عدد البحور، والمرجع في ذلك إلى سلامة الذوق وغازاة المادّة، فالقريحة الجيدة في غنى عن أصول توضع لها بهذا المعنى، ولو فرضنا من الممكن وضع مثل هذه الأصول فهي من نفسها تقع على القافية والبحر بلا جهد ولا تردد، ومع هذا فلا بأس من إيراد بعض ملاحظات تتراءى للناظم أثناء النظم، وللقارئ أثناء القراءة"<sup>(4)</sup>.

ويشير النقاد إلى أنّ هناك حروف رويّ ضعيفة وكريهة، وينبغي على الشعراء اجتنابها، "وهي على الترتيب: الناء، والخاء، والذال، والزاي، والشين، والصاد، والطاء، والظاء، والغين، والواو"<sup>(5)</sup>، "وليست كراهة هذه الألفاظ في أجراسها الغليظة المنفّرة فقط، فإنّ لها عيباً آخر هو قلّتها في اللغة العربيّة، فإذا نظم الشاعر منها ضيق على نفسه ما وسّعه الله عليه، فإمّا أن يكتفي بالمقطوعات التي لا تستوعب غرضه كلّها، وإمّا أن يعيدها بنفسها، فيعيد قبها مرّتين!"<sup>(6)</sup>.

---

(1) القافية: "هي الأحرف والحركات التي على الشاعر أن يستلزمها في آخر كلّ بيت من أبيات القصيدة الواحدة، وتقوم على حرف يسمّى الروي، يسبقه أو يلحق به أحرف وحركات ثابتة": سمعان، سعيد. الجديد في البيان والعروض، ص268. مكتبة لبنان، بيروت: 1969م. وهي على رأي الخليل آخر ساكنين في البيت، وما بينهما، والمتحرك قبل أولهما، وعند الأخفش آخر كلمة في البيت: وهبة. معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، باب القاف، ص282.

(2) الجندي: الشعراء وإنشاد الشعر، ص113.

(3) الروي: هو "أحد أحرف القافية الذي تبنى عليه القصيدة، ويتكرّر بتكرّر أبياتها، وتتسب عليه عادة": وهبة. معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، باب الراء، ص190.

(4) البستاني، سليمان: شرح إلباظة هوميروس، مج1، ص95-96.

(5) الجندي: الشعراء وإنشاد الشعر، ص120.

(6) المرجع نفسه، ص122.

ونحن في دراستنا هذه لا نجد القضاة ينظمون على هذه الحروف سوى مرتين، الأولى مقطوعة لأبن عبّاد نظمها على حرف الذال وتمثّلت في غرض الوصف، وكما رأينا سابقاً لم يحفل قضاتنا بالوصف، ولم يكن ينبع لديهم من عاطفة صادقة، بل كان ضرباً من التفنّن وإظهار البراعة الفنيّة واللغويّة، وهذا ما قاد القاضي إلى النظم على حرف الذال الذي تضلّ مفرداته المعجميّة، فكانت القافية الأخيرة، موطن خلاف، فكلمة (الزمرد) وردت في اللغة بالذال المعجمة، والذال المهملة في رأي ابن قتيبة، وصوّب الأصمعي الإعجام<sup>(1)</sup>، والثانية مراسلة أجراها القاضي الزبيديّ مع الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي ونظمها على حرف الظاء، ولئن كنّا لا ننكر غلظة جرس الظاء ونفرتة، وقلّته في اللغة، إلا إنّنا نستسيغه ونقبله في هذه الأبيات لسببين، يتمثل أحدهما في طبيعة غرض المراسلة هذه التي تستلزم وتتطلب في هذا الموقف الطرافة والبراعة الفنيّة، وإظهار المقدرة اللغويّة، ويكمن ثانيهما في أنّ القاضي لم يتخيّر حرف الرويّ هذا طواعية، وإنّما دفع إليه قسراً، حيث كان موضوع المراسلة لغويّاً حول كلمة (فائظ)، أهي بالضاد أم الظاء؟، وكان رأي الزبيديّ أنها بالظاء فنظم مراسلته على هذا الحرف.

وقد جاءت نسبة شيوع حرف الروي لدى القضاة مشابهة ومقاربة لما كانت عليه عند شعراء العرب، وقد انحصرت في ثمانية عشر حرف رويّ، وهي على الترتيب: الراء، الميم، الباء، اللام، الدال، العين، الفاء، السين، النون، القاف، الياء، الضاد، الظاء، الحاء، الكاف، الجيم، الذال، الألف.

وتنوّعت القافية عند القضاة بين مطلقة ومقيّدة<sup>(2)</sup>، فكانت الأولى هي الأكثر في أشعارهم، والثانية هي الأقلّ، وقد جاءت بنسبة (8.8%)، فهي "قليل الشيوع في الشعر العربيّ، لا يكاد يجاوز 1%، وهو في شعر الجاهليّين أقلّ ممّا في شعر العبّاسيّين، وذلك لأنّ الغناء في العصر العبّاسيّ قد التأم مع هذا النوع وانسجم، بل لا يزال الملحّن فينا يرى مثل هذه القافية أطوع

(1) ينظر: ابن منظور. لسان العرب، باب الذال، فصل الزاي. الزبيدي. تاج العروس، باب الذال، فصل الزاي.

(2) القافية المقيّدة: "هي ما كانت غير موصولة، أي ليس فيها حرف لين ناشئ عن إشباع حركة الرويّ": وهبة. معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، باب القاف، ص284.

وأيسر في تلحين أبياتها"<sup>(1)</sup>، ومما ساعد على يسر هذه القافية وخفتها عند القضاة أنها جاءت في المقطوعات، ولم تأت إلا في قصيدة قصيرة واحدة في سبعة أبيات، كما أنها نظمت على أبحر قصيرة ومجزوءة، وإذا اشترط النقاد في القافية المقيدة أن تعتمد على مدّ قبل حرف الروي، فإنّ "عامّة البحور القصار يصلح فيها التقييد من غير اعتماد على مدّ قبله"<sup>(2)</sup>، فيقول الباجي:

وأسمرَ ينطقُ في مشيهِ	ويسكتُ مهما أمرَ الفلمُ
على ساحةٍ ليلها مشرقٌ	منيرٌ وأبيضها مُدلهمُ
وشبهتها ببياضِ المشيبِ	يخالطُ نورَ سوادِ اللّمّ <sup>(3)</sup>

"المتقارب"

غير أننا نجد مقطوعتين قصيرتين نظمتا على البحر الطويل، وهو "أصلح الأوزان الطوال للرويّ المقيد"<sup>(4)</sup>، فقد أنشد القاضي ابن عبد البرّ:

تذكرت من يبكي عليّ مداوما	فلم أَلِفِ إلا العلم بالدين والخبرُ
علوم كتاب الله والسنن التي	أتت عن رسول الله مع صحّة الأثرُ
وعلم الألى من ناقديه وفهم ما	له اختلفوا في العلم بالرأي والنظر <sup>(5)</sup>

"الطويل"

كذلك فقد غلب مجيؤها في أغراض شعريّة سهلة وبسيطة كالزهد والوصف الحضريّ

والمراسلات.

(1) أنيس: موسيقى الشعر، ص260.  
(2) الطيّب، عبد الله: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج1، ص43. الدار السودانية، الخرطوم.  
(3) ابن بسام: الذخيرة، مج1 قسم2 ص98.  
(4) الطيّب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج1، ص44.  
(5) المقرئ، نفع الطيب، ج6، ص61. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص359. المقرئ، نفع الطيب، ج4، ص327.

## الخاتمة

ولا بدّ لي في نهاية هذا البحث المعنون بـ (شعر قضاة الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف) أن أقف وقفة سريعة مستعرضا فيها أهمّ النتائج التي توصّلت إليها، وأوجزها بما يأتي:

- لقد كانت خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط عند الخاصّة والعامّة لتعلّقها بأمر الدين والدنيا.
- اشترطوا في القاضي العقل، والإسلام، والحرية، والذكورة، والعدالة، والعلم بالأحكام الشرعيّة، وسلامة الحواس، وشروطا أخرى كالاستقامة والنزاهة والأمانة والزهد.
- تعدّدت الجهات التي تولّت مسؤوليّة تعيين القضاة، ولئن كان الخليفة أو الحاكم هو المسؤول الفعلي والمباشر عن تعيينهم إلا أننا نجده في كثير من الأحيان يوكل أمر تعيينهم إلى نائبه، وأمراء الأقاليم وقضااتها، وأهل الشورى، وقد يلجأ أحيانا إلى الترشيح.
- وقد تنوّعت اختصاصاتهم ما بين قضائيّة كالنظر في الجراح وقضايا الأحداث، والقضاء بين الجند وركب الحجيج، والمناكح، والمواريث، واختصاصات غير قضائيّة، كالنظر في أموال اليتامى، والأحباس، وإلزام الولاية للسفهاء، وتنفيذ الوصايا على شروط الموصي، وتزويج الأيتام، وتصفيّ الشهود، وتفقد الأمناء.
- ولئن تحمل بعض القضاة عبء القضاء كاملا، إلا أنّ كثيرا منهم اتّخذ له بعض الأعوان والمساعدين، كالكتبة، والحجاب، والقومة، والأمناء، والشيوخ، وقد كانوا يختارونهم على أسس سليمة، يراعون فيها صدقهم وأمانتهم، وحسن سيرهم.
- وكانت حياة القضاة مثلا في الزهد والأمانة والبساطة، فتقاضوا راتباً من بيت المال، وبعضهم رفض أن يأخذ أجرا في أيام الجمع والعطل، ومنهم من لم يأخذ إلا كفافا لحاجته، وبعضهم امتنع عن تقاضي أيّ أجر على ذلك، بينما نجد بيت القاضي بسيطا

خاليا من مظاهر الترف والنعمة، كما نجدنا أنّ الدولة في كثير من الأحيان توفّر المسكن لهم إلى جانب الرزق، ولم تكن ألبستهم موحدة، ولكنها كانت مميزة عن سائر ألبسة العوام، كما يظهر لنا تواضعهم، فلم يركبوا الدواب، وآثروا المشي على القدمين.

- ونجد لهم كذلك ألقابا متعدّدة، كقاضي الجند الذي وجد في بداية الفتوحات الإسلاميّة، والمسدّد، وهو من ولي القضاء على بلدة صغيرة، وقاضي الجماعة، وقاضي القضاة، وقد عرف هذا اللقب منذ الفتح الإسلامي حتى آخر عصر الولاة، وخليفة القاضي.
- ولم يكن لديهم في البداية مذهب مشرط متّبع، ولئن كان المذهب الأوزاعي هو السائد، إلا أنّهم لم يُحملوا على القضاء به، وبقي هذا الحال حتى عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل عام سبعين ومائة للهجرة، فألزمهم جميعا بمذهب مالك.
- وكذلك حظي القضاة بوفرة من العلوم والمعارف، فقد كانوا من طبقة العلماء، وقليل منهم من تخلو حياته من الرحلات العلميّة الداخليّة والخارجيّة.
- وتعدّدت مجالس القضاء عندهم، ولكنهم غالبا ما كانوا يتّخذون المسجد لذلك، ومنهم من تخيّر بعض الأيام، فبعضهم امتنع عن القضاء أيام الجمع، وتفرّغ للعبادة والقيام بشؤون دنياه، وآخرون تفرّغوا طيلة شهر رمضان، وبعضهم كان يتخيّر ساعات من النهار لذلك.
- وكذلك فإننا نجد للقضاء ديوانا يُعنى بميزانيته من صادرات وواردات، ويضمّ أسماء القضاة وسيرهم، ويحوي كتبهم، وأجوبة الحكام إليهم.
- ونجد القضاء لديهم يضمّ أعمالا مختلفة، كالأمانات، والنظر في الأحباس، والصلاة، وخطبة الجمعة، والاستسقاء، والصلاة على الأموات، وصلاة الخسوف والكسوف، والوزارة، والسفارة، والإشراف على الثغور، والشرطة، والسكّة، والمواريث.

- كان عدد قضاة الأندلس كبيراً جداً، وقلة منهم من استطعنا العثور له على مخفّات شعريّة، ولا يتجاوزون الستّة عشر، وهم: أبو الوليد عبد الله بن الفرضي، وأبو عبد الله محمد بن أبي عيسى، وأبو الوليد سليمان الباجي، وأبو بكر محمد بن بشير المعافري، وأبو الحكم منذر البلوطي، وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، وأبو عبد الله محمد بن سليمان الأنصاري، وأبو بكر محمد بن إسحق بن السليم، وأبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد، وأبو الوليد يونس بن الصّفّار، وسليمان بن الأسود الغافقي، وأبو الحسن مختار الرعيني، وأبو عمر بن الحدّاء، وأبو عمر أحمد بن سحيق، وأبو عمر يوسف بن عبد البر، وأبو العلاء عبّاس بن ناصح الثقفي، فمنهم من كان مقلاً، ومنهم من كان مكثراً كالقاضي أبي الوليد الباجي، وأبي بكر الزبيدي، وأبي الحكم منذر البلوطي، وأبي عمر بن عبد البر.

- وقد نظموا أشعارهم في ثلاثة عشر غرضاً، هي: الوصف، والشوق والحنين، والمديح، والهجاء، والفخر، والرثاء، والشكوى، والغزل، والاستصراخ، والعلم، والزهد، والإخوانيّات والمراسلات، والأخلاق، ومن هذه الأغراض ما أكثروا وأجادوا فيها، كالشوق والحنين، والعلم، والزهد، ومنها ما جاءت شحيحة قليلة، كالغزل، والاستصراخ.

- وفي ميدان البحث عن خصائص أشعارهم الفنيّة، فقد كان بناؤها اللغويّ سهلاً وبعيداً عن التكلّف، حتى أنّ أسلوبهم في كثير من الأحيان اقترب من أسلوب النثر، وقد أثّرت الحضارة في كثير من مفرداتها، كما كثر لديهم أسلوب الطباق، فحقّقوا به تقوية الفكرة والمعنى، والتعبير عن حالة الاضطراب لديهم من جراء واقع الحياة وتعقيداتها، وجاء أسلوب الترادف ليؤكدّ المعنى، ويعكس اهتمامهم بالفكرة وجورها، وقد جاءت الجمل الخبريّة مؤكّدة بالأسماء والحروف، ممّا عكس فصل القول والخطاب لديهم، وأعطى الكلام نوعاً من الحجّة والبرهان، كما استخدموا الجمل الإنشائيّة الطليبيّة بكثرة، وخرجت إلى معانٍ متعدّدة، فأضفت على المعنى والأسلوب القوة والبيان، كما كان لديهم تأثّر واضح وكبير بالقرآن الكريم، وذلك من حيث القصص والمعاني والألفاظ، وهذا دليل على سعة علومهم، واحتفالهم بالدين الإسلامي، وعظم الوازع الديني لديهم.

- أما صورتها الفنيّة فقد تمثّلت في التشبيه المفرد، والتمثيلي، والضمني، فعكست حالتهم النفسيّة، وتلوّنت بأحاسيسها وعواطفها، ، وذلك بحسب التعريفات والاهتمامات التي يؤمنون بها، وكذلك فقد تلوّنت الاستعارة والمجاز والكناية عندهم بألوان المستوى الديني والثقافي والمعرفي لهم، فجاءت صورة صادقة عن أحاسيسهم وعواطفهم.
- كما امتاز بناؤهم الموسيقي بأسلوب السجع، فكان التطابق في الإيقاع لديهم بين ركني التجانس يعانقه تطابق واتّحاد في درجة إحساس الشاعر بهما، كما جاء أسلوب التريديد بكثرة في أشعارهم، وارتبط بحالتهم النفسيّة، فتفاعلت أحاسيسهم وعواطفهم مع البيئة والمؤثرات من حولهم، كما كان للتدوير نصيب لديهم، فجاءت الكلمة المدوّرة التي تربط بين شقيّ البيت رابطا دلاليًا ومعنويًا يعكس إحساسهم بها، كما استخدموا التصريح في مختلف الأغراض، وعلى جميع المستويات، من بيت ونبقة ومقطوعة وقصيدة.
- وقد جاءت أغلبيّة أشعارهم على شكل مقطوعات قصيرة لا تتجاوز سنّة الأبيات، وقد تفتّحت في أغراض الوصف والغزل والهجاء والزهد والأخلاق، وأما القصائد فكانت من النوع القصير الذي لا يتجاوز الاثني عشر بيتا، وقد توزّعت في أغراض الحنين، والرتاء، والعلم، وجاءت جميعها على نسق واحد، فلم تتح منحى تقليديًا بالغزل والوقوف على الأطلال ووصف الرحلة، بل طرّقوا الغرض مباشرة دون تقديم، فأحاسيسهم وعواطفهم صادقة ابتعدت بهم عن التقليد والمحاكاة والاهتمام بالشكل الفني.
- ونجد أشعارهم قد نظمت على أحد عشر بحرا، وتتفق نسبة شيوع بعضها مع نسبة شيوع البحور في الشعر العربي بشكل عام، وقد احتلّ الطويل النصيب الأكبر، يليه حسب الترتيب البسيط، والكامل، والمتقارب، والسريع، والخفيف، والوافر، والمنسرح، ومخلّع البسيط، ومجزوء المجتث، والرمل، ومجزوء الرمل، والرجز، ومجزوء الكامل، ومجزوء الوافر، وقد نظم غرض الحنين في معظمه على بحور خفيفة وقصيرة كالسريع والوافر ومخلّع البسيط، لأنّ هذا الغرض ينبع من عاطفة صادقة ونفس منفعة

تنسجم معها هذه البحور، ونجد غرض الزهد يكثر نظمه على المتقارب، ونظم غرض الشكوى على البحور الطويلة لتكون متسعا لدى الشاعر للتعبير عن آلامه وأحزانه.

- ولا نجد القضاة ينظمون على حروف الرويّ الضعيفة سوى ما ندر ، وقد تتوّعت القافية عندهم بين مطلقة وهي الأكثر شيوعا ومقيّدة.

وقد جاءت الغالبية من المصادر التي ضمتّ هذه الأشعار مفتقرة إلى الطباعة الجيّدة والتحقيق، فوقع الخطأ في كثير من أبياتها، وقد قمت بتصحيحه، والتنويه له ولما بقي منه مختلّ الوزن أو المعنى.

## مجموع أشعار القضاة

## قضاة الأندلس الشعراء

- أولا: أبو الوليد عبد الله بن الفرضيّ
- ثانيا: أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى
- ثالثا: أبو الوليد سليمان الباجيّ
- رابعا: أبو بكر محمد بن بشير المعافريّ
- خامسا: أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطيّ
- سادسا: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ
- سابعا: أبو عبد الله محمد بن سليمان الأنصاريّ
- ثامنا: أبو بكر محمد بن إسحقّ بن السليم
- تاسعا: أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد
- عاشرا: أبو الوليد يونس بن الصّفّار
- حادي عشر: سليمان بن الأسود الغافقيّ
- ثاني عشر: أبو الحسن مختار الرعيّنيّ
- ثالث عشر: أبو عمر بن الحدّاء
- رابع عشر: أبو عمر أحمد بن يحيى بن سحيق
- خامس عشر: أبو عمر يوسف بن عبد البر
- سادس عشر: أبو العلاء عبّاس بن ناصح الثّقفيّ

أولاً: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المعروف بابن القرطبي  
الفرضي:

### حرف الراء

يقول في الشوق والحنين إلى أهله حين توجه للحج أو طلب العلم في المشرق:

مضت لي شهورٌ منذُ<sup>(1)</sup> غبتُم ثلاثةً  
وما خلتني أبقى إذا غبتُم شهراً  
ومالي حياةٌ بعدكم أستلذها  
ولو كان هذا لم أكن بعدها حراً  
ولم يسليني طول التئائي عليكم  
بلى زادني وجداً وجدد لي ذكرى  
يمتأكم لي طول شوقي إليكم  
ويُدنيكم حتى أناجيكم سرّاً  
سأستعقبُ الدهرَ المفرقَ بيننا  
وهل نافعني أن صرتُ أستعقبُ الدهراً  
أعللُ نفسي بالمنى في لقائكم  
واستسهلُ البرَّ الذي جبتُ والبحراً  
ويؤنسني طيُّ المراحلِ دونكم  
أروحُ على أرضٍ وأغدو على أخرى  
وتالله ما فارتكم عن قلى لكم  
ولكنّها الأقدارُ تجري كما تجري  
رعتكم من الرحمنِ عينٌ بصيرةٌ  
ولا كشفتُ أيدي الردى عنكم سترًا<sup>(2)</sup>

(الطويل)

### حرف الفاء

ويقول في الزهد والخضوع لله تعالى:

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفٌ  
على وِجَلٍ مما به أنتَ عارفٌ

(1) وردت في المصادر (مد)، والوزن لا يستقيم إلا بـ(منذُ).

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص286. ابن بسام، الذخيرة، مج2، قسم1، ص615-616. المقري، نفع الطيب، ج2، ص131. الضبي، بغية الملتمس، ص291. الحميدي، جذوة المقتبس، ص398-399. ابن باشكوال، الصلة، قسم1، ص255. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص62.

يخافُ ذنوباً لم يغبْ عنكَ غيبها  
ومنْ ذا الذي يرجو سواكَ ويتَّقِي  
فيا سيدي لا تُخزني في صِحيفتي  
وكنْ مؤنسي في ظلمةِ القبرِ عندما  
لئنْ ضاقَ عني عفوكَ الواسعُ الذي  
ويرجوكَ فيها فهوَ راجٍ وخائفُ  
وما لكَ في فصلِ القضاءِ مخالفُ  
إذا نُشرتْ يومَ الحسابِ الصحائفُ  
يصدُّ ذوو القربى ويجفو المؤلفُ  
أرجي لإسرافي فإنني لتألف<sup>(1)</sup>

(الطويل)

### حرف النون

وله في النسب:

إنّ الذي أصبحتُ طوعَ يمينه  
ذليّ له في الحبّ من سلطانهِ  
إنّ لم يكنْ قمرا فليس بدونه  
وسقامُ جسمي من سقامِ جفونه<sup>(2)</sup>

(الكامل)

ثانياً: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى:

### حرف الدال

يقول في رفيقين له من البرابرة يسميان عجنوس ويعقوب، أرسلهما معه بعض أمراء  
العلويين بالعدوة:

تضمّنَ عسكرنا إبّرةً  
نقيضين في قبّةٍ واحده

(1) المقري، نفع الطيب، ج2، ص129. ابن باشكوال، الصلة، قسم2، ص253. ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج3، ص105.

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص286. المقري، نفع الطيب، ج2، ص130. الضبي، بغية الملتمس، ص291. الحميدي، جذوة المقتبس، ص399. ابن باشكوال، الصلة، قسم1، ص255. ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج3، ص106. ابن بسّام، الذخيرة، مج2، قسم1، ص616.

فقدُ برَّ يعقوبُ بهُ بحِرةً	إذا شطَّ قسورةٌ لأبده
فهذا لهُ صفوُ ما في المرادِ	وذاك لهُ ألفُ المائده
وعنجوسُ مستوطنٌ لا يريمُ	كما أرسيتِ الجعصةُ الخالده
يحنُ إلى طيِّباتِ الطعامِ	حنينَ الرضيعِ إلى الوالده
ويأكلُ في سبعةٍ منْ ومنْ	ولا يشتكي وحدةً فاسده
وأركانُ لقمتهِ ستّةٌ	كأنَّ لهُ إصبعاً زائده <sup>(1)</sup>

(المتقارب)

### حرف الراء

إن رجلاً من أصحابه أتاه ليلاً، فذكر له أن فقيهين مشهورين يقدمان عليه في قصة بشهادة مدخولة، فلما كان الغد أتاه أحدهما، فأعرض عنه القاضي، وتبسم في وجهه لعلّه يقوم ويكفي شأنه، فتمادى، فلما رأى عزمه على أداء الشهادة، تناول القاضي سحاة بين يديه، فكتب فيها وطواها وألقاها في حجره، فلما تصفحها وجد مكتوباً فيها:

أنتني عنك أخبارٌ	لها في القلب آثارٌ
فدع ما قد أتيت به	ففيه العارُ والنارُ <sup>(2)</sup>

(مجزوء الوافر)

وأمر أن يكتب على سريره:

لا يغرتك يا محمدُ ليلٌ	بت فيه على فراشٍ وثيرِ
مُنعمَ البالِ مطمئناً فلا بدُ	دَ من النعشِ بعدَ هذا السريرِ
كم فتى منهمُ وكهلاً وشيخاً	ألحدتُه كفاك وسطَ الحفيرِ

(1) الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص244. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص410.

(2) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص60. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص408.

وتذكّر بني أبيك أبي عيـ  
وتفكر في تعب موت أبي بكـ  
قدّم الزاد للمعاد ولا تتـ  
واتق الله واعلمن<sup>(1)</sup> هذه الأيـ  
قرب الموت منك مرّ الليالي  
سى ذوي الجاه والعديد الكثير  
ر في ذلك أعظم التفكير  
س إذا ما بطشتَ بطشَ القدير  
يامَ واعملُ فيها<sup>(2)</sup> ليومِ النشور  
وأرى النقص<sup>(3)</sup> واضح التعبير<sup>(4)</sup>

(الخفيف)

ومن شعره في تعلقه في تلك السفرات:

ألفتني الهمومُ مذ كنتُ طفلاً  
كلما قلتُ سالمتي الليالي  
فبدي يستحلُّ في كلِّ يومٍ  
وفلاةٌ تختارني عن فلاةٍ  
فوقَ حرفٍ حاملٍ لم يكن في<sup>(5)</sup>  
زوجتي أيمٌ وإبني يتيمٌ  
خطَّ الدهرُ لي سروراً بهمٍ  
كلُّ ذا نعمٍ من الله عندي  
حسبي الله خالقُ الخلقِ فاللـ  
لم ترعني وقد علاني القتيرُ  
وصفا العيشُ شابهُ التكديرُ  
وهومٌ تترى ودهرٌ يجورُ  
وصبا تستحطني ودبورُ  
بطنٍ أنثى ولا علتها الذكورُ  
في حياتي ومنزلي مهجورُ  
فهوَ يوماً جفا<sup>(6)</sup> ويوماً نشورُ  
فأنا حامدٌ عليها شكورُ  
له على كشفٍ ما عراني قديرُ

(1) أدخلنا نون التوكيد الخفيفة على الفعل ليستقيم الوزن.

(2) أضيفت كلمة (فيها) ليستقيم الوزن.

(3) جاءت في المصدر بإضافة كلمة (منك) ولا يستقيم الوزن إلا بحذفها.

(4) عياض، ترتيب المدارك، ج 3-4، ص 409.

(5) الشطر غير مستقيم الوزن.

(6) هذه الكلمة وضعت ليستقيم الشطر.

وله الحمدُ كم بفضلٍ منْ

ه ينعمني ولكني عنودٌ كفور<sup>(1)(2)</sup>

(الخفيف)

### حرف السين

ويقول في الشوق والحنين إلى قرطبة:

ماذا أكابدُ من ورقٍ مغرّدةٍ  
على قضيبٍ بذاتِ الجزعِ مياسِ  
ركدنٌ شجوا شجا قلبَ الخليّ فهلُ  
في عبّرةٍ ذُرِفَتْ في الحبِّ منْ باسِ  
ذكرنهُ الزمنَ الماضيَ بقرطبةِ  
بينَ الأحبةِ في أمْنٍ وإيناسِ  
همُ الصبايةُ لولا همّةٌ شرفَتْ  
فصيّرتُ قلبه كالجندلِ القاسيِ  
كم بين آل عيسى<sup>(3)</sup> وراكبهمْ  
من صحن سَهَبٍ وطودِ شامخِ راسي  
ومنْ بحارٍ إذا هالتُ بصاحبها  
أهدتُ له الخوفَ محمولاً على الراسِ<sup>(4)</sup>

(البسيط)

### حرف القاف

ومن شعره ما قاله عند أوبته من غربته<sup>(5)</sup>:

كأن لم يكن بيني ولم تك فرقةً  
إذا كان من بعد الفراق تلاق  
كأن لم تارق بالعراقيين مُقلّتي  
ولم تمر كفُ الشوق ماءً مآقي

(1) البيت غير مستقيم.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص410.

(3) هناك خلل في الوزن الشعري.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس، ص126. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص261. المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص13. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص72.

(5) وبعضهم ينسبها لمحمد بن عبد السلام الخشني. ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص268. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص118.

ولم أزر الأعرابَ في جنبِ أرضهم  
بذاتِ اللوى من رامةٍ وبراق  
ولم أصطبِحْ بالبيدِ من قهوةِ الندى  
وكأسِ سقاها في الأهرِ ساق<sup>(1)</sup>

(الطويل)

### حرف اللام

ويقول في الغرض نفسه:

لا تلمني على البكا والعويل  
وانسكاب الأمواه من حلل الضِّ  
فعلت زفرتي وطال انتحابي  
ولنعَم البلادُ للنازح الأُو  
وقبيحُ صبرُ الخليلِ أخي الوجـ  
وبنفسِي نائي المحلِّ قَريبٌ  
كان بيني وبينه البحرُ والقفـ  
يا قليلَ الإنصافِ في الهجرِ مهلا  
ذكرتني نخيلُ فاسٍ نخيلي  
حَى دموعَ الأحبابِ يومَ الرحيلِ  
وبدت لوعتي وهاجَ غليلي  
طانَ دمعُ جرى برغمِ العذولِ  
دِ عنِ الدمعِ عندَ ذكرِ الخليلِ  
من فؤادِ صبٍّ وجسمِ نحيلِ  
رُ ووخذُ السرى وطولِ الذميلِ  
إنَّ وجدِي عليكَ غيرُ قليلِ<sup>(2)</sup>

(الخفيف)

ثالثاً: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي:

### حرف الباء

يقول في الطاعة والعبادة:

إذا كنتَ تعلمُ أنْ لا مَحيَدَ  
لذي الذنبِ عنْ هولِ يومِ الحسابِ

(1) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص360-261. المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص13.

(2) الثعالبي، بيتمة الدهر، ج2، ص72. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص409-411.

فأعصِ الإله بمقدارِ ما

تحبُ لنفسِكِ سوءَ العذابِ<sup>(1)</sup>

(المتقارب)

وقال يرثي ابنه وقد ماتا مغتربين:

رعى الله قلبين استكانا ببلدة  
لئن غيباً عن ناظري وتبوءاً  
يقرّ بعيني أن أزور تراهما  
وأبكي وأبكي ساكنيها لعنني  
فما ساعدت ورق الحمام أها أسى  
ولا استعدبت عيناى بعدهما كرى  
أحن ويثي اليأس نفسي على الأسى  
كما اضطرّ محمولاً على المركب الصعب<sup>(2)</sup>

(الطويل)

وله في معنى السفر:

فإن<sup>(3)</sup> كنت ربي في طريقي صاحباً  
فسهّل سبيلي وأزو عني شرّها  
وتخلفني في الأهل ما دمت غائباً  
وشرّ الذي ألقاه في الأهل آيباً<sup>(4)</sup>

(الطويل)

(1) الكتبي، فوات الوفيات، مج3، ص65. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص374.  
(2) الأصفهاني، الخريدة، ص500. ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص101. المقري، نفع الطيب، مج2، ص75.  
الحموي، معجم الأدباء، مج6، ج11، ص250-251. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص807. ابن خاقان، قلند  
العقبان، ص189. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص327.  
(3) وردت (إن) ولا يستقيم الوزن إلا بـ(فإن).  
(4) ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104.

## حرف الدال

وله في الزهد:

تَبَلَّغْ إِلَى الدُّنْيَا بِأَيْسَرِ زَادٍ      وَغُضِّ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرَفِ أَهْلِهَا  
فَإِنَّكَ عَنْهَا رَاحِلٌ لِمَعَادٍ      وَجَاهِدْ عَنِ اللِّذَاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا  
جَفُونَكَ وَاحْكُلْهَا بِطَوْلِ سُهَادٍ      فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارِ إِقَامَةٍ  
فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيْرُ جِهَادٍ      وَمَا هِيَ إِلَّا دَارٌ لَهْوٍ وَفِتْنَةٍ  
فَيُعْتَدُّ مَنْ أَغْرَضَهَا بِعِتَادٍ      وَإِنَّ قَصَارَى أَهْلِهَا لِنَفَادٍ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

وقال يمدح قاضي بغداد السمناني ناصح الدين تاج الإسلام، وكان الحرمان يكسوه،

فأكرمه:

يَا بَعْدَ صَبْرِكَ أَتَهَمُوا أَمْ أَنْجَدُوا      وَيَأْبَى سُلُوكَ بَارِقٍ مَتَأَلَّقُ  
وَشَمِيمُ عَرَفِ عِرَارَةٍ وَمَغْرَدُ      فِي كُلِّ أَفْقٍ لِي عِلَاقَةٌ خَوْلَةٌ  
تَهْدِي الْهَوَى وَبِكُلِّ أَرْضٍ تَهْمُدُ      مَا طَالَ عَهْدِي بِالْدِيَارِ وَإِنَّمَا  
أَنْسَى مَعَاهِدَهَا أَسَى وَتَلَبَّدُ      وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الْمَعَاهِدِ بَعْدَمَا  
لَبَسَ الْبِدَاوَةَ رَسْمُهَا الْمَتَابِدُ      فَاسْتَجَدْتُ مَاءَ الدَّمُوعِ لِبَيْنِهِمْ  
فَتَتَابَعْتُ حَتَّى تَوَارَى الْمُنْجِدُ      طَفَّقْتُ تَسَابِقَتِي إِلَى أَمْدِ الصَّبَا  
تَلَكَّ الرَّبِي وَمِنَالٌ شَأْوِي يَبْعُدُ      لَوْ كُنْتُ أَنْبَاتَ الدِّيَارِ صِبَابَتِي  
نَحَلَ الصِّفَا بِفَنَائِهَا وَالْجَلْمَدُ      اللَّهُ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَحُسْنُهَا  
وَغُصُونُهَا الْمَائِسَاتُ الْمَيْدُ

(1) ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص103.

أَيَّامَ أَنْفُضُ لِلْمِرَاحِ ذُؤَابَتِي  
أَتَقَنَّصُ الطَّبِيبَاتِ فِي سَبِيلِ الصَّبَا  
حَتَّى عَلَانِي الشَّيْبُ قَبْلَ تَحَلُّمِ  
وَحَجِيَّتُ سَنِّ الحَلْمِ فِي زَمَنِ الصَّبَا  
وَسَقَتَنِي الدُّنْيَا زُعَاقَ خُمَارِهَا  
مَا هَالَنِي صَعَبُ المَرَامِ وَلَا الَّذِي  
أَسْتَقْرِبُ الهَدْفَ البَعِيدَ بِهَمَّةِ  
أُسْرِي إِذَا اعْتَكَرَ الظَّلَامُ وَقَادَنِي  
حَيْثُ التَّقَتْ طُبَّةُ السَّمَاحَةِ وَالْعَلَا  
فَجَنَابُهُ لَا يَسْتَبَاحُ وَجَارُهُ  
حَرَمُ المَكَارِمِ لَا يَنَالُ فِنَاءَهُ  
عَالِي مَحَلِّ النَّارِ فِي كَلْبِ الشَّتَا  
هَذَا الشَّهَابُ المَسْتَضَاءُ بِنُورِهِ  
هَذَا الَّذِي قَمَعَ الضَّلَالَةَ بَعْدَمَا

بَيْنَ اللَّدَاتِ وَدِرْعِ بَرْدِي مُجَسِّدُ  
فِيصِيدُهُنَّ لِي العِذَارُ الأَسْوَدُ  
وَأَبْرًا مَا سَبَقَ المَشْيِبَ المَوْلَدُ  
وَبَصَّرْتُ فَالتَّاحَ السَّبِيلُ الأَقْصَدُ  
وَسَعَى إِلَيَّ مِنَ الخُطُوبِ مُعْرَبِدُ  
تَسْتَبَعِدُ الأَيَّامُ عِنْدِي يَبْعَدُ  
أَدْنَى مَنَازِلِهَا السُّهَا وَالفِرْقَدُ  
أَمَلٌ مَطَالِبُهُ العَلَا وَالسُّوَدَدُ  
وَرَسَتْ قَوَاعِدُهُ وَحُلَّ المَقْوَدُ  
لَا يَسْتَضَامُ وَنَبْعُهُ لَا يَقْصُدُ  
ذَامٌ وَلَا لِلْفَضْلِ عَنْهُ مَبْعَدُ  
إِذْ بِالحَضِيضِ لغيرِهِ مَسْتَوْقَدُ  
عَلَّمَ الهَدْيَ هَذَا الشَّهَابُ الأَوْحَدُ  
كَانَتْ شَيَاطِينُ الضَّلَالِ تَمَرِّدُ<sup>(1)</sup>

(الكامل)

### حرف الراء

وله:

تَجَنَّبْ بِجَهْدِكَ مَا صَوَّرُوا  
وَإِنْ كَانَ فِي سِتْرٍ أَوْ (مِثْرَةٍ)

(1) ابن بساك، الذخيرة، مج1، قسم2، ص99-100. المقرئ، نفع الطبيب، مج2، ص76. الحموي، معجم الأدياء، مج6، ج11، ص249.

فإنَّ الرسولَ عليه السلام

أحقَّ العذابِ لمن صوَّره<sup>(1)</sup>

(المتقارب)

وله في الزهد والعبادة:

يا قلبُ إمَّا تلهني كاذبا  
تشغلني عن عمَلٍ نافعٍ  
أحرِبُ بأنْ تُسلمني نادما  
وحاقَ بي ما جاءَ عن ربِّنا  
أو صادفا عن الهدى جائرا  
في موقفٍ ألقاكَ لي ضائرا  
إنْ لم ألقَ الله لي عاذرا  
(ووجدوا<sup>(2)</sup> ما عملو حاضرا)<sup>(3)</sup>

(السريع)

وله في قيام الليل:

قد أفلحَ القانتُ في جُحِّ الدجى  
فقائمًا وراكعًا وساجدًا  
لَهُ حنينٌ وشهيقٌ وبُكا  
إنَّا لسفرٌ نبتغي نيلَ المدى  
يتلو الكتابَ العربيَ النيرا  
مُبتهلا مستعبرا مستغفرا  
يبيلُ من أدمعِهِ تربَّ الثرى  
ففي السرى بغيتنا لا في الكرى  
عندَ الصباحِ يحمدُ القومُ السرى<sup>(4)</sup>  
من ينصبِ الليلَ ينلُ راحتَهُ

(الرجز)

### حرف العين

يقول في الحضَّ على الطاعة والعبادة:

- (1) ابن بسَّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص103.
- (2) العجز غير مستقيم الوزن.
- (3) ابن بسَّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104.
- (4) ابن بسَّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104-105.

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقينا      بأنَّ جميعَ حياتي كساعةُ  
فلمَ لا أكونُ ضنينا بها      وأجعلها في صلاحٍ وطاعة<sup>(1)</sup>

(المقارب)

### حرف اللام

ويمدح الأمير معز الدولة أبا علوان بن أسد الدولة:

محلُّ الهوى من سرِّ حبِّك أهلُّ      وصرفُ النوى عن شملِ شوقي غافلُ  
ولله طيفٌ لا يُلمُّ كأنما      له من سهادي في الزيارة عاذلُ  
غدا نافرا لا أستطيع اقتناصه      ولو أن لي يومَ الكتيبِ حبايلُ  
تبيتُ جفوني صادياتٍ من الكرى      ولكنَّها من ماءٍ دمعي نواهلُ  
لئنُ أمطرتُ روضَ الخدودِ سحابها      لقد صدَّيتُ مناً قلوباً مواجلُ  
خليبيَّها فاستعرضا الركبَ منهما      فقد درجتُ في الريحِ منها رسائلُ  
أسروا إلى الليلِ البهيمِ سراًهمُ      فنمتُ عليه في الشمالِ شمائلُ  
متى نزلوا ثاوينَ في الخيفِ من منى      بدتُ للهوى بالمازمينِ مخايلُ  
فله ما ضمتُ منى وشعابها      وما ضمنتُ تلكَ الربى والمنازلُ  
ولمَّا التقينا للجمارِ وأبرزتُ      أكفٌ لتقليبِ الحصى وأناملُ  
أسرتُ إينا بالغرامِ محاجرُ      وباحتُ به مناً جسمٍ نواحلُ

(1) الأصفهاني، الخريدة، ص505. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص95. الضبي، بغية الملتمس، ص262. المقرئ، نوح الطيب، مج2، ص74. ابن بسام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص98. ابن باشكوال، الصلة، قسم1، ص202. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص120. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص408-409. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص327. الكتبي، فوات الوفيات، مج3، ص65. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص374. الحموي، معجم الأدباء، مج6، ج11، ص250. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص807. الحميري، الروض المعطار، ص75. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص189.

سقى أثلاثَ الجرعِ منْ أمِّ مالِكِ

عشارُ سحابٍ مُترعاتٌ حوافلٌ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

### حرف الميم

وله في الحساب والدعوة إلى الأخلاق:

وتيقنُ بأنَّكَ الدهرُ تملِي  
ثمَّ توتى يومَ الكتابِ كتابا  
وأرى عثرةَ اللسانِ وإنْ لمْ  
وأرى القولَ كالسهامِ فإنَّ كا  
ومنَ الغيِّ أنْ أُصابَ بسهمِ  
في كتابِ المستحفظينَ الكرامِ  
ناطقا بالفجورِ والآثامِ  
تَبْدُ أنكى منْ عثرةِ الأقدامِ  
نَ قبيحا عادتْ عليَّ سهامِي  
وأنا مالِكُ يمينَ الرامي<sup>(2)</sup>

(الخفيف)

وقال في الشكوى من أحوال أهل زمانه:

مضى زمنُ المكارمِ والكرامِ  
وكانَ البرِّ فعلا دونَ قولِ  
وزالَ النطقُ حتَّى لستَ تلقى  
وزادَ الأمرُ حتَّى ليسَ إلا  
سقاءهُ الله منْ صوبِ الغمامِ  
قصارَ البرِّ نطقا في الكلامِ  
فتى يسخو بردًّا للسلامِ  
سخيُّ بالأذى أو بالمَلامِ<sup>(3)</sup>

(الوافر)

ويقول يصف قلم:

(1) ابن بسّام، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 102. المقري، نفع الطيب، مج 2، ص 84.

(2) ابن بسّام، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 105.

(3) المقري. نفع الطيب، مج 2، ص 85.

ويسكتُ مهماً أمرَ القلمِ

منيرٌ وأبيضها مُدَاهِمٌ

يخالطُ نورَ سوادِ اللَّمَمِ<sup>(1)</sup>

واسمرَ ينطقُ في مشيه

على ساحةٍ ليلها مشرقٌ

وشبهتها ببياضِ المشيبِ

(المقارب)

وله يمدح المعتضد بالله:

بأنعمِ تبلغُ النعائمُ

حتى تغتتَ به الحمائمُ<sup>(2)</sup>

عبادُ استعبدَ البرايا

مديحُهُ خيمُ كلِّ نفسٍ

(مخلع البسيط)

وقال يرثي ابنه محمدا:

صبرَ السليمِ لما به لا يسلمُ

ولرزوه أدهى لديٍّ وأعظمُ

من بعد ظنِّي أنني مُتَقَدِّمُ

مُتَصَرِّفُ في صفِّهِ مُتَحَكِّمُ

وإذا أصخَّتْ فصوتهُ متوهَّمُ

وبكلِّ قَبْرِ عِبْرَةٍ وترنمُ

ودعاهُ باسمِكَ مقولُ بكِ مُغرَمُ

لأولي النهي والحذقِ قبلُ متيَّمُ

أحمدٌ إن كنتُ بعدك صابرا

ورزئتُ قبلكَ بالنبِيِّ محمَّدِ

فلقد علمتُ بأنني بكِ لاحقٌ

لله ذكرٌ لا يزالُ بخاطري

فإذا نظرتُ فشخصه مُتَخَيَّلُ

وبكلِّ أرضٍ لي من آجلك روعةٌ

فإذا دعوتُ سواك حادَ عن اسمه

حُكْمُ الردى ومناهجُ قد سنَّها

(1) ابن بسّام. الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 98.

(2) ابن بسّام، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 100. المقرئ، نفع الطيب، مج 2، ص 76. الحموي، معجم الأديباء، مج 6، ج 11، ص 250.

فلئن جُرعتُ فإنَّ ربيَّ عاذرٌ

ولئن صبرتُ فإنَّ صبريَّ أكرمٌ<sup>(1)</sup>

وله في معنى الحمد والشكر:

الحمدُ لله ذي الآلاءِ والنعمِ

ومُبدعِ السمعِ والأبصارِ والكَلِمِ

منْ يحمِدُ اللهَ يَأْتِيهِ المزيْدُ ومنْ

يكفِرُ فكَم نِعَمِ آلتِ إلى نِقَمِ<sup>(2)</sup>

(البسيط)

وقال في لذعة الوداع:

ليسَ عنديَّ شخصُ النوىِّ بعظيمِ

فيه غمٌّ وفيه كشفُ غمومِ

إنَّ فيه اعتناقةً لوداعِ

وانتظارَ اعتناقةٍ لُقُومِ<sup>(3)</sup>

(الخفيف)

وقوله:

تداركتُ منْ خطئي نادما

أن أرجو سوى خالقي راحما

فلا رُفِعَتْ صرْعتي إن رُفِعَتْ

يديَّ إلى غيرِ مولاهما

أموتُ ولا أدعو إلى من يموتُ

بماذا أكفرُ هذا بما؟!<sup>(4)</sup>

(المتقارب)

## حرف النون

وله أيضا يمدح معز الدولة:

(1) ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص101-102. المقري، نفع الطيب، مج2، ص75. ابن خاقان، قلاند العقيان، ص189.

(2) ابن بسّام، الذخيرة، مج1، قسم2، ص104.

(3) الحموي، معجم الأدياء، مج6، ج11، ص250.

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص374.

لرِيَاهُمْ فِي عَرَفِ رَبْعِكَ عَنَوَانُ  
 وَفِيكَ مَنْ الْحَيِّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا  
 وَكَمْ لَيْلَةٍ فِيهَا تَعَسَّفَتْ حَوْلَهَا  
 سَرِينَا كَمَا يَسْرِي الْخِيَالُ وَغَضَّضَتْ  
 لَبْسَنَا بِرُودِ اللَّيْلِ حَتَّى تَشَقَّقَتْ  
 حَوَيْتَ مَعَزَ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ فَاعْتَزَى  
 فَلَمَجِدِ سَلَكُ قَدْ أَجِيدَ نِظَامُهُ  
 وَمِنْ حَسَنِهِمْ فِي حَسَنِ مِغْنَاكَ تَبْيَانُ  
 مَخَايِلُ أَغْصَانِ تَمِيسُ وَكُثْبَانُ  
 وَكَالْتُهُمَا مَنِّي مَشِيحٌ وَيَقْطَانُ  
 عَلَى رَكْبِنَا مِنْ نَاطِرِ اللَّيْلِ أَجْفَانُ  
 جَيُوبٌ تَضِيءُ بِالصَّبَاحِ وَأُرْدَانُ  
 بِذِكْرِكَ فِي الْأَفَاقِ مُلْكٌ وَسُلْطَانُ  
 وَأَنْتَ لَذَاكَ السَّلَكِ دَرٌّ وَمَرْجَانُ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

#### حرف الياء

وله أيضا في الحمد:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ مُعْتَرِفٍ  
 وَأَنَّ مَا بِالْعِبَادِ مِنْ نِعَمٍ  
 وَأَنَّ شُكْرِي لِبَعْضِ أَنْعَمِهِ  
 بِأَنَّ نِعْمَاهُ لَيْسَ نَحْصِيهَا  
 فَإِنَّ مَوْلَى الْأَنْامِ مُوْلِيهَا  
 مِنْ خَيْرِ مَا نِعْمَةٍ يُوَالِيهَا<sup>(2)</sup>

(المنسرح)

(1) ابن بسّام، الذخيرة، مج 1، قسم 2، ص 103.

(2) المصدر نفسه، مج 1، قسم 2، ص 104.

رابعاً: أبو بكر محمد بن سعيد بن بشير المعافري:

### حرف الباء

وقال في فضل النظر في الكتب وحمد العناية بالدفاتر:

أقبلتُ أهربُ لا آلو مباعِدةً      في الأرضِ منهم فلم يُحصني الهربُ  
لما رأيتُ بأني لستُ مُعجزهمُ      فوّتا ولا هرباً قد بتُ احتجبُ  
فصرتُ في البيتِ مسروراً تُحدّثني      عن علمٍ ما غابَ عني في الوري الكُتبُ  
فرداً تُخبّرني الموتى وتَنطقُ لي      فليسَ لي من أناسٍ غيرهمُ إربُ  
لله من جلساءٍ لا جليسهمُ      ولا خليطهمُ للسوء مرتقبُ  
لا بادراتِ الأذى يخشى رقيقهمُ      ولا يلاقيه منهم منطِقُ ذربُ  
أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها      أخرى اللبالي على الأيامِ وانشعوا  
إن شئتَ من محكمِ الآثارِ يرفعها      إلى النبيّ نقاةً خيرةً نجبُ  
أو شئتَ من عربٍ علما بأولهمُ      في الجاهليّة تُتبيني بها العربُ  
أو شئتَ من سيرِ الأملاكِ من عجمِ      تُتبي وتُخبرُ كيفَ الرأي والأدبُ  
حتى كأنّي قد شاهدتُ عصرهمُ      وقد مضتْ دونهمُ من دهرنا حقبُ  
ما مات قومٌ إذا أبقوا لنا أدباً      وعلمَ دينٍ ولا بانوا ولا ذهبوا (1)

(البيسط)

(1) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص 511\_512.

## حرف الدال

له أبيات في الشكوى والنكتة:

إنما أزرى بقدري أنني  
ليسَ منهم غير ذي مقلية  
يتحامون لقائي مثلما  
مطلعي أثقل في أعينهم  
لستُ من بابه أهل البلد  
لذوي الألباب أو ذي حسد  
يتحامون لقاء الأسد  
وعلى أنفسهم من أحد  
لو رأوني وسط بحر لم يكن  
أحد يأخذ منهم بيدي<sup>(1)</sup>

(الرمل)

## حرف العين

وقال في العلم:

أما لو أعى كل ما أسمع  
ولم أستفد غير ما قد جمعت  
ولكن نفسي إلى كل فن  
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت  
وأحفظ من ذلك ما أجمع  
لقل هو العالم المقنع  
من العلم تسمعهُ تنزع  
ولا أنا من جمعه أشبع  
يكن دهره القهقري يرجع  
فجمعك للكتب لا ينفع  
وعلمي في الكتب مستودع<sup>(2)</sup>  
ومن يك في علمه هكذا  
إذا لم تكن حافظا واعيا  
أحضر بالجهل في مجلس

(المتقارب)

(1) المقرئ، نفع الطيب، مج2، ص149.

(2) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص86.

خامسا: أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي:

### حرف الباء

وله في الزهد:

وَتَعَامَى عَمْدًا وَأَنْتَ اللَّيِّبُ	كَمْ تَصَابِي وَقَدْ عَلَاكَ الْمَشِيبُ
أَنْ سِيَأْتِيَ الْحَمَامُ مِنْكَ قَرِيبُ	كَيْفَ تَلْهُو وَقَدْ أَتَاكَ نَذِيرُ
بَعْدَ ذَلِكَ الرَّحِيلِ يَوْمَ عَصِيبُ	يَا سَفِيهَا قَدْ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ
لَا يَدَاوِيكَ إِنْ أَتَتْكَ طَيِّبُ	إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَةً فَارْتَقِبْهَا
ثُمَّ تَأْتِيكَ دَعْوَةٌ فَتَجِيبُ	كَمْ تَوَانِي حَتَّى تَصِيرَ رَهِينَا
فَاعْمَلْنَ جَاهِدًا لَهَا يَا أَرِيبُ	بِأُمُورِ الْمَعَادِ أَنْتَ عَلِيمُ
إِنَّ مَنْ يُذَكَّرُ فَسَوْفَ يَنْيَبُ	وَتَذَكَّرُ يَوْمًا تُحَاسِبُ فِيهِ
لِلْمَنَايَا بِهَا عَلَيْكَ رَقِيبُ <sup>(1)</sup>	لَيْسَ مِنْ سَاعَةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا

(الخفيف)

### حرف الدال

يقول في الزهد من الدنيا مذكرا بالموت:

لَمْ يَنْجُ مِمَّا نَخَافُهُ أَحَدُ	الْمَوْتُ حَوْضٌ وَكَلْنَا يَرِدُ
فَلَسْتَ تَدْرِي بِمَا يَجِيءُ غَدُ	فَلَا تَكُنْ مَغْرَمًا بِرِزْقِ غَدِ
وَيَسْلُمُ الرُّوحُ مِنْكَ وَالْجَسَدُ	وَخُذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ

(1) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص239. المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص375-376.

والخيرُ والشرُّ لا تدعُهُ فما في الناسِ إلا مُشَنِّعٌ حَسِيدٌ<sup>(1)(2)</sup>

(المنسرح)

وكان يشكو من الدهر والناس قبل إقبال الدنيا عليه:

هذا المقال الذي ما عابَهُ فَنَدُ      لكنَّ صاحِبَهُ أزرى بهِ البِلْدُ  
لو كنتُ فيهِمْ غريباً كنتُ مطرِّفاً      لكنني منهم فاعتالني النكدُ  
لولا الخلافةُ - أبقى الله بهجتها -      ما كنتُ أبقى بأرضٍ ما بها أحدٌ<sup>(3)</sup>

(البيسط)

### حرف الراء

وكتب بعض الأدياء إلى القاضي منذر بقوله:

مسألةٌ جئتُكَ مستفتياً      عنها وأنتَ العالمُ المستشارُ  
علامَ تحمرُّ وجوهُ الظبِّا      وأوجهُ العشاقِ فيها اصفرارُ

(السريع)

فأجابه:

احمرَّ وجهُ الظبي<sup>(4)</sup> إذ لحظه      سيفٌ على العشاقِ فيه احورارُ  
واصفرَّ وجهُ الصبِّ لما نأى      والشمسُ تبقى للمغيبِ اصفرار<sup>(5)</sup>

(السريع)

- 
- (1) لقد ورد العجز في المصدر بعبارة (في الناس إلا التشنيع والحسد)، وآثرنا ما ذكرناه ليستقيم الوزن والمعنى.
  - (2) المقرئ، نوح الطيب، ج1، ص374.
  - (3) الضبي، بغية الملتمس، ص406. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم2، ص556. المقرئ، نوح الطيب، ج1، ص374.
  - (4) وردت في المصدر بلفظ (الظبا)، وبها لا يستقيم الوزن.
  - (5) المقرئ. نوح الطيب، مج2، ص20.

ويقول في الزهد: (1)

ثلاثٌ وستونَ قدْ جزَّتها  
وحلَّ عليكَ نذيرُ المشيبِ  
تمرُّ ليلالكَ مرا حثيثا  
فلو كنتَ تعقلُ ما ينقضي  
فما لكَ لا تستعدُّ إذا  
أترغبُ عن فجأةٍ للمنونِ  
فإمّا إلى جنّةٍ أزلفتُ  
فماذا تؤمِّلُ أو تنتظرُ  
فما ترعوي أو فما تزدجرُ  
وأنتَ على ما أرى مستمرُ  
من العُمُرِ لا عتصتَ خيرا بشرُ  
لدارِ المقامِ ودارِ المقرِ  
وتعلمُ أن ليسَ منها مفرُ  
وإمّا إلى سقرٍ تستعيرُ (2)

(المقارب)

### حرف الفاء

كتب إلى أبي علي البغدادي، يستعير منه كتابا من الغريب:

بحقِّ ريمٍ مهفهفٍ  
وصدغِهِ المتعطِّفُ  
أبعثُ إليّ بجزءٍ  
من الغريبِ المصنَّفِ (3)

(مجزوء المجتث)

### حرف الكاف

ويقول فيمن يروون للأئمة ولا يعرفون للقول وجهها:

عذيري من قومٍ يقولونَ كلِّما  
طلبتُ دليلا هكذا قال مالكُ

(1) وبعضهم ينسبها إلى الوزير أبي الوليد بن حزم، انظر: المقرئ. نفع الطيب، ج3، ص553\_554.

(2) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص249.

(3) المقرئ، نفع الطيب، مج2، ص20. الحموي، معجم الأدياء، مج10، ج19، ص184.

فإنْ عُدْتُ قَالُوا هَكَذَا قَالَ أَشْهَبُ  
فإنْ زِدْتُ قَالُوا قَالَ سَحْنُونُ مِثْلَهُمْ  
فإنْ قُلْتُ قَالَ اللهُ ضَجُّوا وَأَكْثَرُوا  
وَإِنْ قُلْتُ قَدْ قَالَ الرَّسُولُ فَقُولُهُمْ  
وَقَدْ كَانَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ  
وَمَنْ لَمْ يَقُلْ مَا قَالَهُ فَهُوَ آفِكُ  
وَقَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ قَرْنٌ مِمَّا حَكُّ  
أَنْتَ مَالِكًا فِي تَرْكِ ذَلِكَ الْمَسَالِكِ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

### حرف اللام

قال في الناصر بسبب بنائه مدينة الزهراء:

يا باني الزهراء مستغرقا  
لله ما أحسنها رونقا  
أوقاتُه فيها أمّا تَمَهَّلُ  
لو لم تكن زهرتها تذبل<sup>(2)</sup>

(السريع)

وقال بعد أن فرغ من خطبته التي ألقاها بحضرة ملك الروم صاحب القسطنطينية:  
مقالٌ كحدِّ السيفِ وسَطُ المحافلِ  
بقلبٍ نكبي تترتمي جَنَابَاتُهُ  
فما دَحَضْتُ رجلي وما زلَّ مَقُولِي  
بخيرٍ إمامٍ كانَ أو هوَ كائِنٌ  
وقدْ حدقتُ نحوِي عيونٌ إخالها  
ترى الناسَ أفواجا يؤمّونَ دارَهُ  
ووفودُ ملوكِ الرومِ وَسَطَ فَنَائِهِ  
فَرَقْتُ بِهِ ما بَيْنَ حَقِّ وَباطِلِ  
كبارقِ رعدٍ عندَ رَعشِ الأنامِ  
ولا طاشَ عَقلي يومَ تلكَ الزلازلِ  
لمقتبِلِ أو في العصورِ الأوائلِ  
كمثلِ سهامٍ أثبتتْ في المقاتلِ  
وكلُّهُمُ ما بَيْنَ راضٍ وآملِ  
مخافةً بأسٍ أو رجاءً لنائلِ

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص469، الحميري، الروض المعطار، ص95-99.

(2) المقرئ. نفع الطيب، مج1، ص576.

فَأَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ حَافٍ وَنَاعِلٍ  
فَعَشُ سَالِمًا أَقْصَى حَيَاةٍ مُعَمَّرٍ  
إِلَى دَرَبِ قُسْطَنْطِينٍ أَوْ أَرْضِ بَابِلٍ<sup>(1)</sup>  
سَتَمَلِكُهَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ

(الطويل)

### حرف الميم

وفي ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا  
فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد، فلما رأى ذلك  
غضب وسب ابن عبد ربه، وكتب على حاشية الكتاب:

أوما عليّ - لا برحت ملعنا -  
يا ابن الخبيثة عندكم بإمام  
دانيّ الولاء مقدّم الإسلام<sup>(2)</sup>  
ربُّ الكساء وخير آل محمد

(الكامل)

### حرف النون

وله وقد آذاه شخص فخاطبه منذر بالكنية، فقل له: أيؤذيك وأنت تخاطبه بالكنية؟

فقال:

لا تعجبوا من أنني كنيته  
من بعد ما قد سبنا وأذانا  
فإنه قد كنى أبا لهب وما  
كناه إلا خزية وهوانا<sup>(3)</sup>

(الكامل)

(1) المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص373. الحموي، معجم الأدياء، مج10، ج19، ص184-185. المراكشي، المعجب،  
ص56. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص296. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص244.

(2) المقرئ. نفع الطيب، مج2، ص511-512.

(3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص249. المقرئ، نفع الطيب، ج1، ص374.

## دون حرف روي

وقال في معنى أن يكتب أحدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر:

أَنْعَقَ بِمَا شئتَ تَجِدُ أَنْصَارَا      وَرُمَّ أَسْفَارَا تَجِدُ حَمَّارَا  
يَحْمَلُ مَا وَضعتَ مِنْ أَسْفَارِ      فَمِثْلُهُ<sup>(1)</sup> كَمَثَلِ الْحَمَّارِ  
يَحْمَلُ أَسْفَارَا لَهُ وَمَا دَرَى      إِنْ كَانَ مَا فِيهَا صَوَابَا أَوْ خَطَا  
إِنْ سئَلُوا قَالُوا كَذَا رُوِينَا      مَا إِنْ كَذَبْنَا وَلَا اعْتَدِينَا  
كَبِيرَهُمْ يَصغُرُ عِنْدَ الْحَفْلِ      لِأَنَّهُ قَلَدَ أَهْلِ الْجَهْلِ<sup>(2)</sup>

(الرجز)

سادسا: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الإشبيلي:

## حرف الحاء

وأهدي القاضي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن وafd اليحصبي إلى الزبيدي في طبق

ورد بكيرا، وكتب معه إليه:

أهديتُ شَبَّهَكَ مَنْظَرَا      فِي الْعَالَمِينَ وَمَخْبَرَا  
فَتَقَبَّضَلَنْ بَدْرَ الَّذِي      يَرْجُو رِضَاكَ وَذَا حَرَا

(مجزوء الكامل)

فأجابه الزبيدي:

طَبَقَ الْوَرْدِ الَّذِي      أَهْدَى إِلَى الْأَرْوَاحِ رَوْحَا  
فَأَنَا دَهْرِي عَلَيْهِ      أَعْتَيْتِي بِالشُّكْرِ مَدْحَا

(1) وردت في المصدر (مثله) بدون فاء، ولا يستقيم الوزن إلا بها.

(2) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص413.

لم تزل في العلم يا يحيى

على الأدواح دوحاً<sup>(1)</sup>

(الرمل)

### حرف الراء

يقول في تكذيب المنجم:

يقولُ المنجّمُ لي لا تَسِرُّ

فإنّكَ إن سِرْتَ لاقِيتَ ضُرّاً

فإن كانَ يعلمُ أنّي جَسيرٌ

فقد جاءَ بالنهي لَغوا وهجرا

وإن كانَ يجهلُ سيرِي فكيفَ

يراني إذا سِرْتَ لاقِيتَ شرّاً<sup>(2)</sup>

(المتقارب)

ويقول في الزهد:

لو لم تكن نارٌ ولا جنةٌ

للمرء إلا أنه يُقبرُ

لكانَ فيه واعظٌ زاجرٌ

ناهٍ لمن يسمعُ أو يُبصرُ<sup>(3)</sup>

(السريع)

### حرف السين

وقوله في الشكوى من أهل زمانه:

أشعِرَنَ قلبَكَ ياسا

ليسَ هذا الناسُ ناسا

ذهبَ الإبريزُ منهم

فبَقُوا بعدُ نحاسا

سامريّينَ يقولو

نَ جميعا: "لا مِساسا!"<sup>(4)</sup>

(مجزوء الرمل)

(1) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص668.

(2) الثعالبي، بيتمة الدهر، ج2 ص81. عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص583.

(3) الثعالبي، بيتمة الدهر، ج2، ص81. المقري، نفع الطيب، ج6، ص74.

(4) المقري، نفع الطيب، ج3، ص475-476. ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم1، ص673.

ويقول في أبي مسلم بن فهد الهذليّ الإشبيلي:

أبا مسلم إنّ الفتى بجَنَانِهِ  
وليس ثيابُ المرء تُغني قِلامَةً  
وليس يفيدُ العلمَ والحلمَ والحجا  
ولا تُبتنى العلياً بكأسٍ وقينةً  
أعيرتني أنْ لم أفرّه مطيَّتي  
فربّ ثيابٍ رتّةٍ حشوها فتّى  
وأخرُ برّاقُ الثيابِ وعرضُهُ  
فإمّا تهولنك البغالُ فإنّها  
ومقوّلِهِ لا بالمراكبِ واللبسِ  
إذا كانَ مقصوراً على قِصرِ النفسِ  
أبا مسلمٍ طولُ القعودِ على الكرسيِ  
وصهباءَ لم تتغرّ بها القِدْرُ كالورسِ  
وأنّ ثيابي غيرُ بيضٍ ولا مُسٍ  
أجدُّ مُمرُّ غيرُ فسَلٍ ولا نكسِ  
من العارِ والتدنيسِ رِجسٍ على رِجسِ  
مُنوعَةً عندَ اليهوديّ والقَسِّ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

### حرف الضاد

ويقول في طلب العلم:

ما طلبتُ العلومَ إلا لأنّي  
ما سواها له بقلبي حظٌّ  
لم أزلُ من فنونها في رياضِ  
غيرَ ما كانَ للعيونِ المراضِ<sup>(2)</sup>

(الخفيف)

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص120. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص86. الحموي، معجم الأدياء، مج9، ج18، ص181. الضبي، بغية الملتبس، ص57. السيوطي، بغية الوعاة، ص34. ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم2، ص66. المراكشي، المعجب، ص63. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص278. نفع الطيب، ج4، ص7، ج7، ص40.  
(2) المقرئ، نفع الطيب، ج3، ص475.

## حرف الظاء

وكتب الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي إلى القاضي الزبيدي كتابا فيه  
"فاضت نفسه" بالصاد، فجاوبه الزبيدي بمنظوم بين له فيه الخطأ دون تصريح، وهو:

قل للوزير السنيّ محبّده	لي ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم مفخرة	قد بهظ الأولين باهظها
يقرُّ لي عمرها ومعمرها	فيها ونظامها وجاظها
قد كان حقاً قبول حرمتها	لكنّ صرفَ الزمانِ لافظها
وفي خطوبِ الزمانِ لي عظة	لو كان يثنيّ النفوسَ واعظها
إن لم تحافظ عصابة نسيت	إليك قدما فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي يمطرحة	فإنّ نفسي قد فاظ فائظها

(المنسرح)

فأجابه المصحفي:

خفض فواقا فانت أوحدها	علما ونقاؤها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد	أبناؤه كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة	ما لم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك إن نطقت وقد	أفرّ بالعجز عنك جاحظها
علم ثنى العالمين عنك كما	ثنى عن الشمس من يلاحظها
وقد أنتتني فديت شاغلة	للنفس أن قلت فاظ فائظها
فأوضحنها تقز بنادرة	قد بهظ الأولين باهظها

(المنسرح)

فأجابه الزبيدي، وضمن شعره الشاهد على ذلك:

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْ كَرِيمٍ مُكْرَمٍ      فَنَفَسَ عَنْ نَفْسٍ تَكَادُ تَقِيظُ  
فَسِرَّ جَمِيعَ الْأَوْلِيَاءِ وَرُودُهُ      وَسِيءَ رِجَالِ آخِرُونَ وَغِيظُوا  
لَقَدْ حَفِظَ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ أَضَاعَهُ      لَدَيَّ سِوَاهُ وَالكَرِيمُ حَفِيظُ  
وَبَايَحْتَنَ عَنْ "فَاطَمَاتٍ" وَقَبْلِي قَالَهَا      رِجَالٌ لَدَيْهِمْ فِي الْعُلُومِ حُظُوظُ  
رَوَى ذَلِكَ عَنْ "كَيْسَانَ" "سَهْلٍ" وَأَنْشَدُوا      مَقَالَ أَبِي الْغِيَاظِ وَهُوَ مَغِيظُ  
"وَسُمِّيَتْ غِيَاظًا وَلَسْتُ بِغَائِظٍ      عَدُوًّا وَلَكِنْ لِلصَّدِيقِ تَغِيظُ"  
"فَلَا حَفِظَ الرَّحْمَنُ رُوحَكَ حَيَّةً      وَلَا هِيَ فِي الْأَرْوَاحِ حِينَ تَقِيظُ"<sup>(1)</sup>

(الطويل)

### حرف العين

اشتاق وهو بقرطبة إلى إشبيلية، فاستأذن الأمير الحكم، فرفض فكتب إلى جاريته سلمى:

وِيحِكْ يَا سَلْمَ لَا تَرَاعِي      لَا بَدَّ لِلْبَيْنِ مِنْ زِمَاعِ  
لَا تَحْسِبِي صَبْرْتُ إِلَّا      كَصَبْرِ مَيْتٍ عَلَى النِّزَاعِ  
مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ      أَشَدَّ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ  
مَا بَيْنَنَا وَالْحَمَامِ فَرَقٌ      لَوْلَا الْمَنَاحَاتُ وَالنَّوَاعِي  
إِنْ يَفْتَرِقُ شَمْلَنَا وَشِيكََا      مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ ذَا اجْتِمَاعِ  
فَكُلُّ شَمْلٍ إِلَى افْتِرَاقٍ      وَكُلُّ شُعْبٍ إِلَى انْصِدَاعِ

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، قسم 1، ص 86\_88. الحموي، معجم الأدياء، مج 9، ج 18، ص 182-183. المراكشي،

المعجب، ص 63-64. المقرئ، نفع الطيب، ج 4، ص 6-7.

وكلُّ قُرْبٍ إِلَى بَعَادٍ

وكلُّ وَصَلٍ إِلَى انْقِطَاعٍ<sup>(1)</sup>

(مخلع البسيط)

### حرف الفاء

وله في رثائه لشيخه علي بن إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة  
جزلة الألفاظ كثيرة الغريب، صاعها صوغ فحول العرب وضمنها قطعة من غريب كلامهم،  
وهي قصيدة طويلة أولها:

تالله لا يبقى لصرْفِ النوى

ذو جَيِّدٍ في رأسِ نيقٍ منيفٍ<sup>(2)</sup>

(السريع)

وله في الأخلاق:

أقابلُ بالرفقِ عُنْفَ العنيفِ

وأفنعُ منْ صاحبي بالطفيفِ

ويكرمني برُّ غيرِ الشريفِ

فأنسخُ ذاكِ ببرِّ الشريفِ<sup>(3)</sup>

(المتقارب)

### حرف القاف

ويقول في الطاعة والانقياد إلى الله عزّ وجلّ:

اتركِ الهَمَّ إذا ما طرَقَكَ

وكلِّ الأَمْرَ إلى منْ خلَقَكَ

(1) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص184. الحميدي، جذوة المقتبس، قسم1، ص88. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص351. الحموي، معجم الأدباء، مج9، ج18، ص183-184. الضبي، بغية الملتبس، ص57. المراكشي، المعجب، ص65. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص278-279. المقرئ، نفع الطيب، ج4، ص7-8، ج7، ص40.

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج2، ص81.

(3) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص668.

وإذا أملَّ قومٌ أحداً

فإلى ربِّك فامدِّدْ عُنُقَكَ<sup>(1)</sup>

(الرمل)

### حرف اللام

وقف زرب القاضي يوماً بالزبيدي، فلما علم به خرج إليه مكشوف الرأس وبیده مديه، فلما كان في بيته سارع لقضاء حقّه، فوقف قائماً وقضى حقّه، فأنكر ابن زرب خروجه على تلك الهيئة وسأله الجلوس، فأبى وأنشد:

أقومُ وما بي أن أقومُ مذلَّةً  
عليّ وإني للكرايم مجلُّ  
على أن لي منها لغيري مجنةً  
ولكنها بيني وبينك تجملُّ<sup>(2)</sup>

(الطويل)

### حرف الميم

ويقول في حسن الإسلام:

كيف بالدين القويم  
ولقد كان شفاءً  
لـك من أمّ تميم  
من جوى القلب السقيم  
يُشرقُ الحُسْنُ عليها  
في دُجى الليل البهيم<sup>(3)</sup>

(مجزوء الرمل)

وكتب مراجعاً:

أغرقتني في بحور فكرٍ  
فكدتُ منها أموتُ غمّاً

(1) المقري، نفع الطيب، ج4، ص333.

(2) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص583.

(3) المقري، نفع الطيب، ج7، ص39. ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص277.

كَلَفْتَنِي غَامِضًا عَوِيصًا      أَرْجُمُ فِيهِ الظَّنُونَ رَجْمًا  
 مَا زِلْتُ أُسْرُوا السُجُوفَ عَنْهُ      كَأَنَّنِي كَاشِفٌ لِظُلْمَا  
 أَقْرَبُ مِنْ لَيْلِهِ وَأَنْأَى      مَسْتَبْصِرَا تَارَةً وَأَعْمَى  
 حَتَّى بَدَا مُشْرِقُ الْمَحْيَا      لَمَّا اعْتَلَى طَالِعَا وَتَمَّا  
 اللَّهُ مِنْ مَنْطِقٍ وَجِيْزٍ      قَدْ جَلَّ قَدْرًا وَدَقَّ فَهْمَا  
 أَخْلَصْتُ لِلَّهِ فِيهِ قَوْلًا      سَلَّمْتُ لِلَّهِ فِيهِ حُكْمَا  
 إِذَا قُلْتُ قَوْلَ امْرِئٍ حَكِيمٍ      مَرَاقِبٍ لِلإِلهِ عِلْمَا  
 اللَّهُ رَبِّي وَلِيٌّ نَفْسِي      فِي كُلِّ بُؤْسٍ وَكُلِّ نَعْمَى (1)

(مخلع البسيط)

### حرف النون

وقوله:

الْفَقْرُ فِي أَوْطَانِنَا غَرْبَةٌ      وَالْمَالُ فِي الْغَرْبَةِ أَوْطَانُ  
 وَالْأَرْضُ شَتَّى كُلُّهَا وَاحِدٌ      وَالنَّاسُ إِخْوَانٌ وَجَبْرَانُ (2)

(السريع)

سابعاً: أبو عبد الله محمد بن سليمان بن خليفة بن عبد الواحد الأنصاري:

### حرف السين

من شعره في الشكوى:

كَانَ الزَّمَانُ وَكَانَ النَّاسُ أَشْبَهُهُ      فَالْيَوْمَ فَوْضَى فَلَ دَهْرٌ وَلَا نَاسُ

(1) المقرئ. نفع الطيب، ج7، ص39. ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص277.

(2) الثعالبي، بيتمة الدهر، ج2، ص81.

أسافلُ قدْ علتْ لمْ تعلْ منْ كرمِ

ومشرفاتُ الأعالي منه أنكاسُ<sup>(1)</sup>

(البيسط)

### حرف العين

وقوله في النسب:

ومن عَجَبٍ أني أهيْمُ بحبهِ

وأوليهِ إعراضا وفي القلبِ يرتعُ

كذي رَمَدٍ في مقلتيهِ يزيدهُ

سنا الشمسِ ضرا وهوَ بالشمسِ مولعُ<sup>(2)</sup>

(الطويل)

### حرف الفاء

ومن شعره في النسب:

تقولُ سلّيمي إذ وقّيتُ بعهدِها

أشيبُ وفي وصلِ الأحبةِ منصفُ

وإنَّ بياضا كانَ مني سوادهُ

مكانَ السويدا بالعلاءِ مُصرّفُ

فقلتُ أجلُّ إنَّ تعفُ أطلالُ وامقُ

تراهُ لهُ في ذلكَ الرسمِ موقفُ

وهلُّ هوَ إلا قالصُّ فوقَ ثوبهِ

ولكنَّهُ القلبُ الذي كنتَ تعرفُ<sup>(3)</sup>

(الطويل)

### حرف القاف

وكان قد تغرب في الفتنة إلى جهة تدمير:

(1) ابن عسکر، أبو عبد الله وأبو بكر بن خميس. أعلام مالقة، تحقيق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي، طر، ص75. دار صادر، بيروت: 1999م. النباهي. تاريخ قضاة الأندلس، ص100.

(2) ابن عسکر. أعلام مالقة، ص76.

(3) المصدر نفسه، ص75.

أعاد الله أيام التلاقي  
وأكمل بالسرور إياب نفسي  
نأى صبري غداة نأيت عنكم  
لئن ضنّ الأسي بالصبر عني  
أحنُّ إلى الرفاق لأنّ أنسي  
وأفرح بالهلال لأنّ خلّي  
كأنّي مذ نأيت وصرت رهنا  
لقد أبقى فراكم بقلبي  
أرى ليلي عليّ إذا تدجى  
أقول وقد ذكرتك فاستقادت  
سلام ترجف الأحشاء منه  
على البلد الحبيب إليّ غورا  
كما كنا بها قبل الفراق  
فقد آل السرور إلى محاق  
وهل تتأى همومي واشتياقي  
فما ضنّت بأدمعها مآقي  
بأخبار الأحبة في الرفاق  
به في غير آناء المحاق  
بتدمير أسير في وثاق  
كلوما لذع حرقتهنّ باق  
سواء والنهار بما ألقى  
لذكرك أدمعي ذات اشتياقي  
على الحسن بن وهب والعراق  
ونجدا والأخ العذب المذاق<sup>(1)</sup>

(الوافر)

ثامنا: أبو بكر محمد بن إسحق بن السليم:

### حرف اللام

كتب إلى الحكم المستنصر بالله:  
لو أنّ أعضاء جسمي ألسن نطقت  
أو كان ملكني الرحمن من أجلي  
بشكر نعماك عندي قلّ شكري لك  
شيئا وصلت به يا سيدي أجلك

(1) ابن عسك. أعلام مالقة، ص76.

ومن تك في الوري آماله كثررت

فإنما أمني في (1) أن ترى أملاك<sup>(2)</sup>

(البيسط)

ولوى القاضي ابن السليم للوزير أبي زيد بن خدير بإنفاذ تسجيل له، فاستبطأه أبو زيد

وكتب إليه يعتبه بشعر:

وإن كنت قد ضيعت سبل توصيلي

إليك بك الشكوى لعلك موصلي

رضيت بأن أعتاض حسن التوصل

إذا لم يكن منك الجميل فإني

عسى وطننا يبقى لنا بالتجمل

لأجعل دون الصير للوصل عقله

(الطويل)

فأجابه القاضي بقوله:

بديع معانيه لطيف التوصل

أتاني قريض كالجمان المفصل

بأسلابه من ماجد متفضل

حباني به ندب كريم معظم

يلام لتقصير وليس بمؤتل

خلا أن فيه بعض عتب لشخص

سوى خطأ في العقل غير محصل

وما عاق عن إنفاذ ما قد رغبته

فلم يكتمل منه مراد مؤمل

وغاب اللذان أخطأ في نظامه

فأكملت ما قد كان غير مكمل

وإني وقد طال انتظاري علاجه

يقول مقال لا محالة فاعدل

وهذا أبو بكر فأعدل شاهد

على أنه جلد لذي كل معضيل<sup>(3)</sup>

ورفقا بخل غير جلد لعاتب

(الطويل)

(1) لم ترد (في) في المصدر، وإنما جئنا بها ليستقيم الوزن.

(2) المقرئ. نفع الطيب، مج3، ص466.

(3) عياض، ترتيب المدارك، ج3\_4، ص544\_545.

تاسعا: أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد:

### حرف الباء

ويقول في النسب:

محبُّ ما يساعده الحبيبُ      رأى وجهَ الإنابةِ لو ينيبُ  
وبيكي للصبِّ إذ زالَ عنه      فيضحكُ في مفارقه المشيبُ  
وكمْ أحييتُ حُشاشتهُ أمانٍ      يباعدُ بينها الأجلُ القريبُ<sup>(1)</sup>

(الوافر)

### حرف الجيم

وقال في النيلوفر:

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج      وحُسنَ مَخْبِرِهِ في الفَوْحِ والأرَجِ  
كأنَّه جامٌ نُرٌّ في تألقه      قدْ أحكموا وَسَطَهُ فصًا من السَّبَجِ<sup>(2)</sup>

(البسيط)

### حرف الذال

وقال في وصف زهرة الظيان:

ترى ناضرَ الظيَّانِ فوقَ غصونِهِ      إذا هوَ منَ ماءِ السحائبِ يَغْتَذِي  
وحفَّتْ بهِ أوراقُهُ في رياضِهِ      وقدْ قُدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقدْ حُدِّي  
كصفرٍ منَ الياقوتِ يلبسُ في الضحى      منضدةً منَ فوقِ قُضْبِ الزمرِّدِ<sup>(3)</sup>

(الطويل)

(1) ابن الأبار. الحلة السبراء، قسم 2، ص 38.

(2) الحميدي. جذوة المقتبس، ص 134. الضبي. بغية الملمس، ص 101. ابن الأبار. الحلة السبراء، قسم 2، ص 39. المقرئ. نفع الطيب، ج 4، ص 228.

(3) ابن بسام. الذخيرة، ج 1، قسم 2، ص 23. ابن الأبار. الحلة السبراء، قسم 2، ص 39.

## حرف الراء

قال يشبه شجرة الياسمين بمطرف (ثوب من حرير) أخضر:

وياسمين حسن المنظرِ      يفوقُ في المرأى وفي المخبرِ  
كأنَّها<sup>(1)</sup> من فوق أغصانِهِ      دراهمٌ في مُطرفِ أخضرِ<sup>(2)</sup>

(السريع)

ويقول في الياسمين:

يا حبذا الياسمينُ إذ يزهرُ      فوقَ غصونِ رطيبةٍ نُضَّرُ  
قد امتطى للجبالِ ذروتها      فوقَ بساطٍ من سُندسٍ أخضرِ  
كأنه والعيونُ ترمقُهُ      زُمُرْدٌ في خلالهِ جوهرِ<sup>(3)</sup>

(المنسرح)

وقال يفتخر ويمني نفسه في اتساع ملكه:

ولا بدّ من يومٍ أسودُّ على الورى      ولو رُدَّ عمرُ للزمانِ وعامرُ  
فما المجدُّ إلا في ضلوعيّ كامنُ      ولا الجودُّ إلا من يميني تائرُ  
فجيشُ العلاء ما بينَ جنبيّ جائلُ      وبحرُ الندى ما بينَ كفيّ زاخرُ<sup>(4)</sup>

(الطويل)

(1) وردت في المصادر (كأن) وبها لا يستقيم الوزن.

(2) ابن بسّام. الذخيرة، ج1، قسم2، ص23. ابن الأبار، الحلة السرياء، قسم2، ص38.

(3) ابن بسّام. الذخيرة، ج1، قسم2، ص23. ابن الأبار، الحلة السرياء، قسم2، ص39. المقري، نفع الطيب، ج4، ص242.

(4) ابن الأبار، الحلة السرياء، قسم2، ص38.

## حرف الضاد

وقال معارضا أبا الأصبع بن عبد العزيز، فنقد عليه شيئا من التشبيه، فقال يعرض به ويعاتبه:

أبلغ شقيقي عني      مقالةً لتمضّة  
بأنّ وصف الأفاحي      الذي وصفت لم أرضة  
هلا وصفت الأفاحي      بأكؤس من فضة  
أو النجوم تساقط      ن في المها المبيضة<sup>(1)</sup>

(مجزوء المجتث)

## حرف القاف

وله في وصف زهرة الظيان:

كأنّ لون الظيان حين بدا      نوّاره أصفرا على ورقه  
لون محبّ جفاه ذو ملل      فاصفر من سقمه ومن أرقه<sup>(2)</sup>

(المنسرح)

عاشرا: أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار:

## حرف الباء

يقول في قيام الليل:

النوم من مرسله رحمة      وراحة للبدن المتعب  
فخذ من النوم بحظّ فإن      قضيت منه وطرا فانصب<sup>(3)</sup>

(السريع)

(1) ابن بسّام. الذخيرة، ج1، قسم2، ص205.

(2) ابن الأبار، الحلة السبراء، قسم2، ص39.

(3) عياض، ترتيب المدارك، ج3-4، ص741.

## حرف الدال

وله في الحثّ على خلق الصبر:

أدافعُ أيامي بقصدٍ وبلُغَةٍ  
وأعلمُ أنّي في مكابدةِ البلا  
وألزمُ نفسي الصبرَ عندَ الشدائدِ  
بعينِ الذي يرجوهُ كلُّ مكابِدٍ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

## حرف الراء

وله في وصف الديار:

ديارٌ عليها منْ بشاشةِ أهلها  
رُبوعٌ كساها المُرْنُ منْ خَلعِ الحيا  
بقايا تسرّ النفسَ أنسا ومنظرا  
بُرودا وحلاها منْ النورِ جوهرًا  
تسرُّكُ طورا ثمّ تشجوك تارةً  
فترتاحُ تأنيسا وتشجى تذكرا<sup>(2)</sup>

(الطويل)

## حرف السين

وله في الزهد والتصوف:

فررتُ إليك منْ ظلمي لأنفسي  
رضاك هوَ المنى وبك افتخاري  
وأوحشني العبادُ وأنتَ أنسي  
لتنؤنسَ وحدتي في قعرِ رمسي  
قصدتُ إليك منقطعاً غريباً  
وللعظمى من الحاجاتِ عندي  
قصدتُ وأنتَ تعلمُ سرّ نفسي<sup>(3)</sup>

(الوافر)

(1) عياض. ترتيب المدارك، ج3-4، ص740. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص360.

(2) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص291.

(3) الضبي. بغية الملتمس، ص447. الحميدي. جذوة المقتبس، ص613. ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص289. المقري.

نفح الطيب، ج4، ص26.

## حرف الميم

ومن شعره في المستنصر:

أَتُوا حِسْبَةً إِذْ قِيلَ جَدُّ نَحْوُلُهُ  
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ وَلَا عَظْمٌ  
فَعَادُوا قَمِيصًا فِي فِرَاشٍ فَلَمْ يَرَوْا  
وَلَا لَمَسُوا شَيْئًا يَدُلُّ عَلَى جَسْمٍ  
طَوَاهِ الْهَوَى فِي ثَوْبٍ سَقَمَ مِنَ الضَّنَى  
وَلَيْسَ بِمَحْسُوسٍ بَعِينٍ وَلَا وَهْمٍ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

وله في الحضّ على فعل الخيرات:

سَارِعٌ إِلَى الْخَيْرِ وَبَادِرٌ بِهِ  
فَإِنَّ مِنْ خَلْفِكَ مَا تَعْلَمُ  
لَا تَسَامُ الْكَدَّ وَطَوْلَ السُّرَى  
فَطَالِبُ الْفِرْدُوسِ لَا يَسْلَمُ<sup>(2)</sup>

(السريع)

حادي عشر: سليمان بن الأسود الغافقي:

## حرف الباء

كان سليمان صنيعة للأمير عبد الله قبل ولايته، فكان سليمان يستبطن قيام دولته طمعا في العودة، فلما ولي وأغفله جعل سليمان ينشد مع جملة الفقهاء للإشهاد:

فَلَمَّا بَلَّغْنَا الَّتِي كُنَّا نَوْمَلُّهَا  
صَرْنَا شُهُودًا كَأَنَّ مِثْلَ غِيَابٍ<sup>(3)</sup>

(البيسط)

(1) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص290. المقري. نفع الطيب، ج4، ص26.

(2) عياض. ترتيب المدارك، ج3-4، ص740.

(3) الخشني. قضاة قرطبة، ص89.

## حرف اللام

وكان ينشد:

تُضحي على وَجَلٍ تُمسي على وَجَلٍ  
بين الأُقاربِ والجيرانِ والخُؤَلِ  
كلَّ الترابِ ولا تعملُ لهم عمَلاً  
فالشرُّ أجمَعُهُ في ذلكَ العملِ<sup>(1)</sup>

(البيسط)

ثاني عشر: أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن الرعيني:

## حرف الباء

يقول لبني حمود ملوك قرطبة:

ألا فآذنوا لي بالسراج فإنها  
نهاية مطلوبي وفيه عذابُ  
فإني قد خَلَفْتُ في أفقِ موطني  
فراخا هوامٍ ليس عنه منابُ<sup>(2)</sup>

(الطويل)

## حرف الراء

قال وقد دخل حماما فجلس بإزائه عامي أساء إليه الأدب:

ألا لِعِنَ الحمامُ دارا فإنَّهُ  
سواءٌ بهِ ذو العلمِ والجهلِ في القَدْرِ  
تَضيعُ بهِ الآدابُ حتّى كأنَّها  
مصاييحُ لم تتفقْ على طلعةِ الفجرِ<sup>(3)</sup>

(الطويل)

(1) النباهي. تاريخ قضاة الأندلس، ص58.

(2) ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج2، ص172.

(3) المقرئ. نفع الطيب، ج3، ص405.

### ثالث عشر: أبو عمر بن الحدّاء:

#### حرف الميم

يقول في قصيدة أولها:

أبدتُ أَسَى إذْ رَأَتْ لِلبَيْنِ أَعْلَامَا      وَأَظْهَرْتُ لِلنَّوَى وَجَدًا وَتَهْيَامَا  
لَتَعْلَمَنَّ بَنُو مِرْوَانَ أَنَّ لَهَا      مَوْلَى يُضْرِمُ نَارَ الْحَرْبِ إِضْرَامَا  
فَدَفَّارِعَ الدَّهْرِ حَتَّى فُلَّ مَضْرِبُهُ      يُرَى مَعَ الدَّهْرِ مَظْلُومًا وَظَلَامَا<sup>(1)</sup>

(البيسيط)

رابع عشر: أبو عمر أحمد بن يحيى بن أحمد بن سُحَيْقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ وَاصِلِ بْنِ حَرْبِ بْنِ الْيَسْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ:

#### حرف اللام

وقد تذاكر مع آخر آداب عيادة المرضى، وتناشدا قول الناظم<sup>(2)</sup> في ذلك:

حُكْمُ الْعِيَادَةِ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ      وَأَقْعُدْ قَلِيلًا كَمَثَلِ اللَّحْظِ فِي الْعَيْنِ  
لَا تَبْرِمَنَّ عَلِيًّا فِي مُسَائِلِهِ      يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ: تَسْأَلُهُ بَحْرَفَيْنِ

(البيسيط)

وأنشد القاضي لنفسه معارضا لهذا الشعر:

إِذَا لَقَيْتَ عَلِيًّا      فَاقْعُدْ لَدَيْهِ قَلِيلًا  
وَلَا تُطَوِّلْ عَلَيْهِ      وَقُلْ مَقَالًا جَمِيلًا

(1) الحميدي. جذوة المقتبس، ص632. الضبي. بغية الملتبس، ص459.

(2) البيتان لجعفر بن حذار الكاتب، فقد وردا في: ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم1، ص243.

وقم بفضلك عنه تكن حكيما نبيلاً(1)

(مجزوء المجتث)

خامس عشر: أبو عمر يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي:

### حرف الألف

يقول في معنى الزهد والطاعة:

تجافَ عن الدنيا وهونَ لقدرها  
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة  
ولا تتسَ شكرَ الله في كلِّ نعمة  
فدع عنك ما لا حظَّ فيه لعاقِل  
وشحَّ بأيامٍ بقيتَ قلائِل  
ألم ترَ أنَّ العُمُرَ يمضي مؤلِّيا  
نخوضُ ونلهو غفلةً وجهالةً  
تواصلنا فيه الحوادثُ بالردى  
عجبتُ لِنفسٍ تبصرُ الحقَّ بيننا  
وتسعى لما فيه عليها مَضَرَّة  
ذنوبي أخشاهُا ولستُ بأيسِ  
وإن كان ربي غافرا ذنبا من يشا  
ووفَّ سبيلَ الدينِ بالعروة الوثقى  
فلا ذمَّةَ أقوى هديتَ من التقوي  
يَمُنُّ بها فالشكرُ مستجلبُ النعمى  
فإنَّ طريقَ الحقِّ أبلجُ لا يخفى  
وعمرُ قصيرٍ لا يدومُ ولا يبقى  
فجدِّتْهُ تَبلى ومُدَّتْهُ تَفنى  
ونشرُ أعمالا وأعمارنا تطوى  
وتتأبنا فيه النوائبُ بالبلوى  
لديها وتأبى أن تُفارقَ ما تهوى  
وقد علمتُ أن سوف تجزى بما تسعى  
وربي أهلُّ أن يُخافَ وأن يُرجى  
فإنِّي لا أدري أكرمُ أم أُخزى(2)

(الطويل)

(1) ابن باشكوال. الصلة، قسم 1، ص 58.

(2) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص 296. نفع الطيب، ج 4، ص 28-29.

## حرف الباء

وقال في معنى (لا يستطاع العلم براحة الجسم):

يا من يرى فضل<sup>(1)</sup> جمع المال والكتب  
خُدعتَ والله ليسَ الجدُّ كاللعبِ  
العلمُ ويحكَّ ما في الصدرِ تجمُّعُهُ  
حفظًا وفهما وإتقانًا فذاكَ أبي  
لا ما توهمه العنديّ من سفه  
إذ قالَ ما تبتغي عنديّ وفي كتبي  
قالَ الحكيمُ مَقالا ليسَ يدفعُهُ  
ذو العقلِ من كان من عَجْمٍ ومن عَرَبِ  
ما إنْ ينالُ الفتى علما ولا أدبا  
براحةِ النفسِ واللذاتِ والطَّرَبِ  
نَعْمَ ولا باكتسابِ المالِ تجمُّعُهُ  
شَتانَ بينَ اكتسابِ العلمِ والذَّهَبِ  
أليسَ في الأنبياءِ الرُّسُلِ أُسوتنا<sup>(2)</sup>  
حازوا العلومَ وعنهم جُملةٌ ورثتُ  
وعاشَ أكثرُهُم جهدا بلا نَشَبِ  
إنَّ الحياءَ لخيرٌ كُلُّهُ أبدا  
ما لم يحلْ بينَ نفسِ المرءِ والطلبِ  
وكلُّ ما حالَ دونَ الخيرِ لم يكُ في  
ما بينَ ذاكَ وبينَ الخيرِ مِنْ نَسَبِ<sup>(3)</sup>

(البيسط)

وقال أحمد بن محمد بن أحمد في فضل الكتاب:

وَألذُّ<sup>(4)</sup> ما طلبَ الفتى بعدَ التقى  
عَلِمَ هناكَ يزيْنُهُ طَلَبُهُ  
ولكلِّ طالبٍ لذَّةٌ مُتَنَزَّةٌ  
وَألذُّ نزهةٍ عالمٍ كُتُبُهُ

(الكامل)

(1) لم ترد كلمة (فضل) في المصدر، وإنما جئنا بها ليستقيم الوزن والمعنى.

(2) لقد وردت في المصدر بلفظ (أرسل)، ولا يستقيم الوزن والمعنى إلا بـ (الرسَل).

(3) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص120.

(4) وردت في المصدر (ألذ) والوزن لا يستقيم إلا بالواو.

وزاد القاضي فيها بحضرته فقال:

ويبينُ عنه إنَّ قَرَأَ نَصَبَهُ

يُسلي الكتابُ هُمومَ قارئه

لا مكرهٌ يخشى ولا شغْبُهُ<sup>(1)</sup>

نعمَ الجليسُ إذا خلوتَ بهِ

(الكامل)

### حرف الراء

وقال في تقليد العامة علماءها من قصيدة له:

عني الجوابَ بفهمٍ لبٍّ حاضرٍ

يا سائلي عن موضع التقليد خذْ

واحفظْ عليَّ بوادري ونواتري

وأصخْ إلى قولي ودنْ بنصيحتي

تتقادُ بينَ جنادلٍ ودعائرٍ

لا فرقَ بينَ مُقلِّدٍ وبهيمةٍ

علا ومعنى للمقالِ السائرِ

تبا لقاضٍ أو لمفتٍ لا يرى

مبعوثٍ بالدينِ الحنيفِ الطاهرِ

فاذا اقتديتَ فبالكتابِ وسنةِ الـ

فأولئك أهلٌ نهى وأهلٌ بصائرٍ

ثم الصحابةِ عندَ عدْمِكَ سنةٍ

من تابعيهم كابرا عن كابرٍ

وكذاك إجماعُ الذين يلوْنَهُمُ

مثلُ النصوصِ لدى الكتابِ الزاهرِ

إجماعُ أمّتنا وقولُ نبيّنا

متتابعينَ أوائلًا بأواخرِ

وكذا المدينةُ حُجَّةٌ إنْ أجمعوا

ومعَ الدليلِ فمَلْ بفهمٍ وافرٍ

وإذا الخلافُ أتى فدونك فاجتهدْ

فرعا بفرعٍ كالجهولِ الحائرِ

وعلى الأصولِ فقيسْ فرُوعك لا تقسْ

فانظُرْ ولا تحفلْ بزلةٍ ماهرٍ<sup>(2)</sup>

والشرُّ ما فيه - فديتُك - أسوة

(الكامل)

(1) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص512.

(2) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص291-292.

وبعد أن بين ضرورة الاجتهاد والاطلاع على الأصول والسنن قال:

ولسْتُ بِنَاجٍ مِنْ مَقَالَةِ طَاعِنٍ      ولو كُنْتُ فِي غَارٍ عَلَى جَبَلٍ وَعَرٍ  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُوا مِنَ النَّاسِ سَالِمًا      ولو غَابَ عَنْهُمْ بَيْنَ خَافِيَتِي نَسْرٍ<sup>(1)</sup>

(الطويل)

وأنشد:

تذكرت من يبكي عليّ مداوما      فلم الف إلا العلم بالدين والخبر  
علوم كتاب الله والسنن التي      أتت عن رسول الله مع صحة الأثر  
وعلم الألى من ناقديه وفهم ما      له اختلفوا في العلم بالرأي والنظر<sup>(2)</sup>

(الطويل)

### حرف العين

وقال في الحديث واتباع الأثر:

مقالة ذي نصح وذات فوائد      إذا من ذوي الألباب كان استماعها  
عليكم بآثار النبي فإنها      من أفضل أعمال الرشاد أتباعها<sup>(3)</sup>

(الطويل)

توجه من دانية قاصدا المعتضد بن عباد في إشبيلية وقال له:

قصدت إليك من شرق لغرب      لتبصير مقلتي ما حل سمعي  
وتعطفك المكارم نحو أصل      دعاكم راغبا في خير فرع

(1) المصدر نفسه، ص 471.

(2) المقرئ، نفح الطيب، ج 6، ص 61. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 359. المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 327.

(3) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله، ص 284. المقرئ، نفح الطيب، ج 6، ص 327.

فإن جُدْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ عَفْوٍ  
فليسَ الْفَضْلُ عِنْدَكُمْ بِيَدِ  
فوعدكَ كَي يُسَكِّنُ خَفَقَ قَلْبِي  
ويرقأُ مِنْ جَفُونِي سَكَبَ دَمْعِي (1)

(الوافر)

وقوله في الهدية:

سَخَافَةُ الْمَرْءِ تُدْرَى فِي هَدِيَّتِهِ  
وَالنَّوْكَ وَاللُّؤْمُ فِيهَا يَظْهَرَانِ مَعَا  
إنَّ اللُّئِيمَ إِذَا أَهْدَى هَدِيَّتَهُ  
أبدى نذالتهُ فِيهَا لِمَنْ سَمِعَا (2)

(البيسط)

### حرف الفاء

وله يصف ما لاقى من البعوض بإشبيلية في الشرف، وفي مدينة قبتور ومدينة قبطيل،  
وذلك حين مبيته بها، وما منه تلقى أهل المدينة أيضا:

بعوضُ قَبْتورَ والقَبْطِيلِ والشَّرْفِ  
قدْ آذَنْتُ بِذَهَابِ النَفْسِ والتَّلْفِ  
فمنْ مثيرِ دَخَانٍ يَسْتَجِيرُ بِهِ  
وآخرِ مُخْتَفٍ فِي الثَّوْبِ مَلْتَحِفِ  
قدْ غَيَّبَ الرَّأْسَ والرَّجْلَيْنِ مَسْتَتْرَا  
بِالْبَيْتِ مِنْ طَرَفٍ فِيهِ إِلَى طَرَفِ  
ويَلِي مِنَ الْجِرْجَسِ المُنْتَبِي عَرْبُهُ  
يَنْصَبُ مِثْلَ عَقَابِ جَاعٍ مَخْتَطِفِ  
يَوْمُ أذْنِي هَجْمًا كالمُهَدِّدِ لِي  
وكالمُنَادِي بِأَخْذِ الهَارِبِ النَطِيفِ  
خَرطومُهُ كسنانٍ لا يَقومُ لَهُ  
ثوبٌ مُتْنِي ولو كانَ مِنَ الخَزَفِ  
يا وَيْلَهُ مِنْ عَدُوٍّ لستَ تَدْفَعُهُ  
إلا بِلَطْمٍ عَلَى الأَعْضَاءِ مَنْصَرِفِ  
نَفِي البَعوضِ أَناسًا مِنْ مَساكِنِهِمْ  
على البَحِيرَةِ فِي غَرْبِ مِنَ الشَّرْفِ

(1) ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج2، ص329.

(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم1، ص284.

وساحل البحر طولاً أصل منبته  
ويغشى المدينة في الأبيات والغرف  
وليس عنهم بسترٍ أو مدافعة  
أو حيلة قد أعدوها بمُحَرَفٍ<sup>(1)</sup>

(البيسط)

### حرف اللام

وقال في الأخلاق:

تَعَفُّ المراء عن سؤاله  
وكسبُهُ الحِلَّ باحتياله  
وسعيُّه في صلاح عيش  
لمن يُواريه من عياله  
مُرُوءةٌ بالغٌ<sup>(2)</sup> بها من  
يَبْلُغُها منتهى كماله  
ومن يَصُنُّ وجهَهُ يَزِنُهُ  
صيانةُ الوجه من جماله  
رضى الفتى بالقضاء عزُّ  
وذِلَّةُ الوجه في ابتذاله<sup>(3)</sup>

(مخلع البسيط)

وقال حين رحل من إشبيلية شاكياً من الناس:

وقائلةٍ مالي أراك مُرَحَّلاً  
فقلتُ لها: صه واسمعي القول مُجْمَلاً  
تَنَكَّرَ من كُنَّا نَسْرُ بِقُربيه  
وصارَ زُعافاً بعدما كان سَلْسَلاً  
وحقَّ لجارٍ لم يُوافِقْهُ جاره  
ولا لاعمته الدارُ أن يتَحَوَّلَا  
بُلَيْتُ بحمصٍ والمقامُ ببلدةٍ  
طويلاً لعمري مُخَلَّقٌ يُورثُ البلا  
إذا هانَ حُرٌّ عندَ قومٍ أتاها  
ولم يَبِّ عنهم كانَ أعمى وأجهلاً

(1) ابن عبد البر. بهجة المجالس، قسم 2، ص 104-105.

(2) جاءت الكلمة مقترنة بالواو ولا يستقيم الوزن إلا بحذفها.

(3) ابن عبد البر، بهجة المجالس، قسم، ص 165-166.

ولم تُضربِ الأمثالُ إلا بعالمٍ وما عوتِبَ الإنسانُ إلا ليعقلاً<sup>(1)</sup>

(الطويل)

### حرف الميم

وله يصف كتابه (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد):

سميرُ فؤادي مذُ ثلاثينَ حجةً      وصيقلُ ذهني والمفرجُ عن همِّي  
بسطتُ لكم فيه كلامَ نبيكمُ      بما في معانيه منَ الفقهِ والعلمِ  
وفيه منَ الآدابِ ما يهتدى به      إلى البرِّ والتقوى وينهى عن الظلمِ<sup>(2)</sup>

(الطويل)

وقال يفتخر بعلمه:

إذا فاخرتَ فافخرُ بالعلومِ      ودغ ما كان من عَظْمِ رميمِ  
فكم أمسيتُ مُطرحاً بجهلٍ      وعلمي حلَّ بي بين النجومِ  
وكائن من وزيرِ سارِ نحويِ      فلازمني ملازمةَ الغريمِ  
وكم أقبلتُ متتداً مُهاباً      فقامَ إليَّ من ملكٍ عظيمِ  
وركبِ سارِ في شرقٍ وغربِ      بذكري مثلَ عَرَفٍ في نسيمِ<sup>(3)</sup>

(الوافر)

(1) ابن خاقان. مطمح الأنفس، ص295-296. المقري. نفع الطيب، ج4، ص30. ابن عبد البر. بهجة المجالس، قسم1، ص243.

(2) ابن عبد البر، الإمام القاضي يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، مج10، ص611. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1419هـ-1999م.

(3) ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج2، ص329.

سادس عشر: أبو العلاء عباس بن ناصح الثقفي الجزيري:

### حرف الباء

وله:

ومجوبة تنفي مخافتها  
نوم الفتى ذي المرّة النَّدْبِ  
للجنّ في أجوازها لَغَطٌ  
بالليل مثلُ تنازُعِ الشَّرْبِ  
وترى بها جونَ النعامِ إذا  
أشرفنَ كالمهنوءةِ الجُرْبِ<sup>(1)</sup>

(الكامل)

### حرف الدال

وله في النسب:

قل لعبدِ الرحيمِ رفقا بعبدك  
لا تُمِتْ قلبه بلوعةِ صدك  
بذمامِ الهوى وبالسحرِ من عيـ  
نيكَ والوردِ من شقائقِ خدك  
رقِّ لي رِقَّةً تُشاكلُ خصرِيـ  
كَ ولا تَقْسُ مثلَ قسوةِ نَهْدِكِ<sup>(2)</sup>

(الخفيف)

### حرف الراء

وقد توجه إلى الثغر، فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول: واغوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا، فأيمنا وأيتمنا، فسألها عن شأنها، فقالت كنت مقبلة من البادية في رفقة، فخرجت علينا خيل العدو، فقتلت وأسرت، فصنع قصيدته التي أولها:

تململت في وادي الحجارة مُسَهراً  
أراعي نجومها ما يُردنَ تغوراً

(1) الطبيب. كتاب التشبيهات، ص167.

(2) المصدر نفسه، ص138.

إليك أبا العاصي نَضِيتُ مطيبي

تسيرُ بهم سريا<sup>(1)</sup> مُهَجِّرا

تداركُ نساءَ العالمينَ بنصرة

فإنك أحرى أن تغيبَ وتتنصرا<sup>(2)</sup>

(الطويل)

فلما دخل عليه أنشده القصيدة، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فغزا ناحيتهم، وأخذ فيها، وفتح الحصون، وخرّب الديار، وقتل عددا كبيرا، فأحضر المرأة وجميع من أسر له أحد في تلك البلاد، فأحضر، فأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتها.

ولما كانت المجاعة الشديدة سنة 297هـ أكثر الحكم بن هشام (الحكم الربضي) فيها من

مواساة أهل الحاجات، فمدحه عباس بن ناصح بقوله:

نكد الزمان فأمنت أيامه

من أن يكون بعصره عسر

ظلع الزمان بأزمة فجلا له

تلك الكريهة جوذه الغمر<sup>(3)</sup>

(الكامل)

وقوله في وصف السراب:

قَطَعْتُ بها خرقا كأنّي وأله

أمامي وخلفي راكبٌ لجة البحر<sup>(4)</sup>

(الطويل)

وأنشد يوما قوله من قصيدة:

بَقَرْتُ بطونَ الشعرِ فاستفرغَ الحشا

بكفيّ حتّى أبّ خاويه من بقري<sup>(5)</sup>

(الطويل)

(1) ورد في المصدر (ساريا)، وبها لا يستقيم الوزن.

(2) المقري. نفع الطيب، ج1، ص343.

(3) المقري. نفع الطيب، ج1، ص341.

(4) الطيب. كتاب التشبيهات، ص170.

(5) المقري. نفع الطيب، ج2، ص262.

فقال له بكر بن عيسى الشاعر: أما والله يا أبا العلاء، لئن كنت بقرت الحشا لقد وسخت  
يديك بفرثه، وملأتها بدمه، وخببتَ نفسك بنتته، وخسمتَ أنفكَ بعرقه، فاستحيا عباس وأفحم عن  
جوابه.

### حرف العين

وقال في وصف طول ليله:

فبتُّ أرقبُ صُبْحاً سُدَّ مَطْلِعُهُ	فلا أرى الليلَ عن مرقاته انصدعا
كأنه ونجومُ الليلِ قد جُعِلَتْ	تهوي على السمّتِ منها غوراً خضعا
راع تَلَبَّثَ قد أوصى بصرمته	أخرى الرعاء يُزجّي سائقا هُبعاً
يا ليلُ أصبحِ ويا صُبْحُ استترُ فلقد	أبرحتماني فإن لم تفعلَا فدعا <sup>(1)</sup>

(البيسط)

### حرف الميم

وله قصيدة أولها:

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم	إذا المرء لم يعدل تقى الله والكرم
--------------------------------	-----------------------------------

حتى انتهى:

تجافَ عن الدنيا فما لمعجز	ولا عاجز إلا الذي خطَّ بالقلم <sup>(2)</sup>
---------------------------	--

(الطويل)

(1) الطبيب. كتاب التشبيهات، ص138.

(2) المقرئ. نفع الطبيب، ج2، ص261. ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب، ج1، ص246. الصفدي. الوافي بالوفيات، ج16، ص645.

فقال له الغزال: أيها الشيخ، وما الذي يصنع مُفَعَّل مع فاعل؟ فقال له: كيف تقول؟  
فقال: كنت أقول: فليس لعاجز ولا حازم، فقال له عباس: والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها.

### حرف النون

وقال:

مُتَقَارِبٌ مُتَبَاعِدٌ أَيْبَاتِهِ	رُجِحٌ مُتَقَفَّةٌ الْبِنَاءُ رِزَانُ
وَسَمَاعُهُنَّ كَطَعْمِ مَاءٍ بَارِدٍ	عَذْبٌ أَغِيثٌ بَبْرُدِهِ ظَمَانُ
بُنِيَتْ مُبَادِيهَا عَلَى أَعْجَازِهَا	فَتَتَّظَّمَتْ يَسْمُو بِهَا الْبُنْيَانُ
كَقِدَاحٍ مُتَصَطَّنِعٍ أَعَدَّ قِذَاذِهَا	لِنِصَالِهَا قَدْرًا وَهَنْ مِثَانُ
مُنْتَظِّيَاتٌ مَا يُبِيلُ رَمِيئُهَا	ذُلُّقٌ كَأَنَّ ظُبَاتِهَا الشُّهْبَانُ <sup>(1)</sup>

(الكامل)

### حرف الياء

وقال في وصف طائر الحدج وسط السراب:

تَعُومُ أَحْدَاجُهُمْ فِي الْآلِ رَافِعَةً	عُومَ السَّفَائِنِ تُرْجِيهَا نَوَاتِيهَا <sup>(2)</sup>
--	--

(البسيط)

وقوله في الزهد:

مَا خَيْرَ مَدَّةٍ عَيْشِ الْمَرْءِ لَوْ جَعَلَتْ	كَمَدَةَ الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ تَفْنِيهَا
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْضَى بِغَيْرِ رِضَا	وَاتَّبِعْ نَجَاتَكَ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا <sup>(3)</sup>

(البسيط)

(1) الطبيب. كتاب التشبيهات، ص110.

(2) المصدر نفسه، ص170.

(3) المقرئ. نفح الطيب، ج1، ص276. السيوطي. بغية الوعاة، ص276. الصفدي. الوافي بالوفيات، ج16، ص646.

جداول توضيحية بنسب الحصيلة الشعرية للقضاة، والأغراض الشعرية،  
والأشكال الفنية، والبحور، والقوافي.

## الحصيلة الشعرية للقضاة

القاضي	الغرض	عدد الأبيات	البحر	الروي	الحركة	النظم
أبو الوليد عبد الله بن الفرضي	الشوق والحنين	9	الطويل	راء	الفتح	قصيدة
	الزهد	6	الطويل	فاء	الضمّ	مقطوعة
	الغزل	2	الكامل	نون	الكسر	نتفة
		17				
أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى	المراسلات	2	مجزوء الوافر	راء	الضمّ	نتفة
	الزهد	8	الخفيف	راء	الكسر	قصيدة
	الهجاء	7	المتقارب	دال	الفتح	قصيدة
	الشوق والحنين	4	الطويل	قاف	الكسر	مقطوعة
	الشوق والحنين	6	البسيط	سين	الكسر	مقطوعة
	الشوق والحنين	8	الخفيف	لام	الكسر	قصيدة
	الشوق والحنين	10	الخفيف	راء	الضمّ	قصيدة
		45				
أبو الوليد سليمان الباجي	الشوق والحنين	2	الخفيف	ميم	الكسر	نتفة
	الشكوى	4	الوافر	ميم	الكسر	مقطوعة
	الوصف	3	المتقارب	ميم	السكون	مقطوعة
	الرتاء	7	الطويل	باء	الكسر	قصيدة
	الرتاء	9	الكامل	ميم	الضمّ	قصيدة
	المدح	23	الكامل	دال	الضمّ	قصيدة
	المدح	2	مخلّع البسيط	ميم	السكون	نتفة
	المدح	12	الطويل	لام	الضمّ	قصيدة
	المدح	7	الطويل	نون	الضمّ	قصيدة
	الزهد	2	المتقارب	راء	الفتح	نتفة
	الزهد	2	المتقارب	عين	الفتح	نتفة
	الزهد	5	الطويل	دال	الكسر	مقطوعة
	الزهد	4	السريع	راء	الفتح	مقطوعة
	الزهد	2	الطويل	باء	الفتح	نتفة

نتفة	الكسر	ميم	البسيط	2	الزهد	
مقطوعة	السكون	ياء	المنسرح	3	الزهد	
مقطوعة	الفتح	راء	الرجز	5	الزهد	
مقطوعة	الكسر	ميم	الرمل	5	الزهد	
نتفة	الكسر	باء	المتقارب	2	الزهد	
مقطوعة	الفتح	ميم	المتقارب	3	الزهد	
				104		
مقطوعة	الكسر	دال	الرمل	5	الشكوى	محمد بن بشير المعافري
قصيدة	الضمّ	عين	المتقارب	7	العلم	
قصيدة	الضمّ	باء	البسيط	12	العلم	3
				24		
مقطوعة	الضمّ	دال	البسيط	3	الشكوى	منذر بن سعيد البلوطيّ
قصيدة	الكسر	لام	الطويل	9	الفخر	
نتفة	السكون	فاء	مجزوء المجتثّ	2	المراسلات	
نتفة	السكون	راء	السريع	2	المراسلات	
مقطوعة	الضمّ	دال	المنسرح	4	الزهد	
نتفة	السكون	لام	السريع	2	الزهد	
قصيدة	الضمّ	باء	الخفيف	8	الزهد	
قصيدة	السكون	راء	المتقارب	7	الزهد	
نتفة	الكسر	ميم	الكامل	2	الهجاء	
نتفة	الفتح	نون	الكامل	2	الهجاء	
مقطوعة	دون	بلا	الرجز	5	الهجاء	
مقطوعة	الضمّ	كاف	الطويل	5	الهجاء	
				51		
نتفة	الكسر	ضاد	الخفيف	2	العلم	أبو بكر محمد الزبيديّ
بيت	السكون	فاء	السريع	1	الرتاء	
مقطوعة	الفتح	سين	مجزوء الرمل	3	الهجاء	
قصيدة	الكسر	عين	مخلّع البسيط	7	الشوق والحنين	
نتفة	الضمّ	نون	السريع	2	الشوق والحنين	
نتفة	الضمّ	لام	الطويل	2	الأخلاق	

نتفة	الكسر	فاء	المتقارب	2	الأخلاق	17
قصيدة	الضمّ	ظاء	المنسرح	7	المراسلات	
قصيدة	الضمّ	ظاء	الطويل	7	المراسلات	
نتفة	الفتح	راء	مجزوء الكامل	2	المراسلات	
مقطوعة	الفتح	حاء	مجزوء الرمل	4	المراسلات	
قصيدة	الكسر	سين	الطويل	8	الزهد	
نتفة	الفتح	قاف	الرمل	2	الزهد	
مقطوعة	الفتح	راء	المتقارب	3	الزهد	
نتفة	الضمّ	راء	السريع	2	الزهد	
مقطوعة	الكسر	ميم	مجزوء الرمل	3	الزهد	
قصيدة	الفتح	ميم	مخلّع البسيط	9	الزهد	
				66		
قصيدة	الكسر	قاف	الوافر	12	الشوق والحنين	أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد
نتفة	الضمّ	سين	البسيط	2	الشكوى	4
مقطوعة	الضمّ	فاء	الطويل	4	الغزل	
نتفة	الضمّ	عين	الطويل	2	الغزل	
				20		
مقطوعة	الفتح	لام	البسيط	3	المدح	محمد بن إسحق بن السليم
قصيدة	الكسر	لام	الطويل	8	المراسلات	2
				11		
مقطوعة	الضمّ	راء	الطويل	3	الفخر	أبو القاسم محمد بن عباد
مقطوعة	الفتح	ضاد	مجزوء المجتث	4	المراسلات	8
مقطوعة	الضمّ	باء	الوافر	3	الغزل	
نتفة	الكسر	راء	السريع	2	الوصف	
نتفة	الكسر	جيم	البسيط	2	الوصف	
مقطوعة	السكون	راء	المنسرح	3	الوصف	
مقطوعة	الكسر	ذال	الطويل	3	الوصف	
نتفة	الكسر	قاف	المنسرح	2	الوصف	

22						
مقطوعة	الكسر	ميم	الطويل	3	المديح	أبو الوليد يونس بن الصفار
مقطوعة	الفتح	راء	الطويل	3	الوصف	
مقطوعة	الكسر	سين	الوافر	4	الزهد	
ننقة	الكسر	باء	السريع	2	الزهد	6
ننقة	الكسر	دال	الطويل	2	الأخلاق	
ننقة	الضمّ	ميم	السريع	2	الأخلاق	
16						
بيت	الكسر	باء	البسيط	1	المراسلات	سليمان بن الأسود الخافقيّ
ننقة	الكسر	لام	البسيط	2	الزهد	2
3						
ننقة	الضمّ	باء	الطويل	2	الشوق والحنين	أبو الحسن مختار الرعيّنيّ
ننقة	الكسر	راء	الطويل	2	الهجاء	2
4						
مقطوعة	الفتح	ميم	البسيط	3	المدح	أبو عمر بن الحدّاء
1						
مقطوعة	الفتح	لام	مجزوء المجتثّ	3	الأخلاق	أبو عمر أحمد بن يحيى
1						
مقطوعة	الكسر	عين	الوافر	4	المديح	أبو عمر يوسف بن عبد البرّ
مقطوعة	الكسر	ميم	الوافر	5	الفخر	
مقطوعة	الفتح	لام	الطويل	6	الشكوى	
قصيدة	السكون	ألف	الطويل	12	الزهد	
قصيدة	الكسر	فاء	الطويل	10	الوصف	
ننقة	الفتح	عين	البسيط	2	الأخلاق	
مقطوعة	الكسر	لام	مخلّع البسيط	5	الأخلاق	
قصيدة	الكسر	باء	البسيط	10	العلم	
ننقة	الضمّ	عين	الطويل	2	العلم	14
قصيدة	الكسر	راء	الكامل	12	العلم	



## الأغراض الشعرية

عدد الأبيات	عدد الأشعار	العلم
0	0	البيت
8	4	النتفة
6	2	المقطوعة
41	4	القصيدة
55	10	المجموع

عدد الأبيات	عدد الأشعار	الشوق والحنين
0	0	البيت
6	3	النتفة
10	2	المقطوعة
46	5	القصيدة
62	10	المجموع

عدد الأبيات	عدد الأشعار	الهجاء
0	0	البيت
6	3	النتفة
13	3	المقطوعة
7	1	القصيدة
26	7	المجموع

عدد الأبيات	عدد الأشعار	الغزل
0	0	البيت
4	2	النتفة
10	3	المقطوعة
0	0	القصيدة
16	5	المجموع

عدد الأبيات	عدد الأشعار	الفخر
1	1	البيت
0	0	النتفة
8	2	المقطوعة
9	1	القصيدة
18	4	المجموع
عدد الأبيات	عدد الأشعار	المراسلات
1	1	البيت
8	4	النتفة
8	2	المقطوعة
22	3	القصيدة
39	10	المجموع

عدد الأبيات	عدد الأشعار	الزهة
0	0	البيت
24	12	النتفة
45	11	المقطوعة
52	6	القصيدة
121	29	المجموع
عدد الأبيات	عدد الأشعار	الوصف
2	2	البيت
6	3	النتفة
24	7	المقطوعة
10	1	القصيدة
42	13	المجموع

الأخلاق	عدد الأشعار	عدد الأبيات
البيت	0	0
النتفة	5	10
المقطوعة	2	8
القصيدة	0	0
المجموع	7	18

المديح	عدد الأشعار	عدد الأبيات
البيت	0	0
النتفة	2	4
المقطوعة	4	13
القصيدة	3	42
المجموع	9	59

الاستصراخ	عدد الأشعار	عدد الأبيات
البيت	0	0
النتفة	0	0
المقطوعة	1	3
القصيدة	0	0
المجموع	1	3

الرتاء	عدد الأشعار	عدد الأبيات
البيت	1	1
النتفة	0	0
المقطوعة	0	0
القصيدة	2	16
المجموع	3	17

الشكوى	عدد الأشعار	عدد الأبيات
البيت	0	0
النتفة	1	2
المقطوعة	4	18
القصيدة	0	0
المجموع	5	20

## الأشكال الفنيّة

البيت	
عدد الأبيات	عدد الأشعار
5	5

النتفة	
عدد الأبيات	عدد الأشعار
78	39

المقطوعة	
عدد الأبيات	عدد الأشعار
166	43

القصيدة	
عدد الأبيات	عدد الأشعار
245	26

## البحور

البحر	الرجز
التام	2
المجزوء	0
المخلع	0
المجموع	2

البحر	النتقارب
التام	10
المجزوء	0
المخلع	0
المجموع	10

البحر	الطويل
التام	34
المجزوء	0
المخلع	0
المجموع	34

البحر	الرمز
التام	3
المجزوء	3
المخلع	0
المجموع	6

البحر	البسيط
التام	15
المجزوء	0
المخلع	4
المجموع	19

البحر	الكامل
التام	10
المجزوء	1
المخلع	0
المجموع	11

البحر	المجتث
التام	0
المجزوء	3
المخلع	0
المجموع	3

البحر	السريع
التام	9
المجزوء	0
المخلع	0
المجموع	9

البحر	الوافر
التام	6
المجزوء	1
المخلع	0
المجموع	7

البحر	المنسرح
التام	5
المجزوء	0
المخلع	0
المجموع	5

البحر	الخفيف
التام	7
المجزوء	0
المخلع	0
المجموع	7

## القوافي

المجموع	الاستصراخ	الأخلاق	المراسلات	الفخر	الهجاء	العلم	الشكوى	الثناء	المدح	الوصف	الزهد	الغزل	الخبين	
0														الهمزة
12			1			3		1		1	4	1	1	الباء
0														التاء
0														الثاء
1										1				الجيم
1			1											الحاء
0														الخاء
8		1			1		2		1		2	1		الدال
1										1				الذال
24	1		3	2	1	3			1	4	7		2	الراء
0														الزاي
5					1		1				2		1	السين
0														الشین
0														الصاد
2			1			1								الضاد
0														الطاء
2			2											الظاء
8		1				2			1	1	1	1	1	العين
0														الغين
6		1	1					1		1	1	1		الفاء
4										1	1		2	القاف
1					1									الكاف
11		3	1	1			1		2		2		1	اللام
17		1		1	1	1	1	1	3	1	6		1	الميم
5					1				1	1		1	1	النون
0														الهاء
0														الواو
3										1	2			الياء
1											1			الألف
1					1									بلا
113	1	7	10	4	7	10	5	3	9	13	29	5	10	المجموع

## القافية المقيدة

الغرض	العدد	البحر	الرويّ	القافية	النوع
الوصف	3	المتقارب	ميم	مقيّدة	مقطوعة
المدح	2	مخلّع البسيط	ميم	مقيّدة	ننفة
المراسلات	2	مجزوء المجتثّ	فاء	مقيّدة	ننفة
المراسلات	2	السريع	راء	مقيّدة	ننفة
الزهد	2	السريع	لام	مقيّدة	ننفة
الزهد	7	المتقارب	راء	مقيّدة	قصيدة
الرثاء	1	السريع	فاء	مقيّدة	بيت
الوصف	3	المنسرح	راء	مقيّدة	مقطوعة
العلم	3	الطويل	راء	مقيّدة	مقطوعة
الزهد	2	الطويل	ميم	مقيّدة	ننفة

## ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي: **الحلة السبراء**، 2ج. تحقيق: حسين مؤنس، ط2. دار المعارف: القاهرة 1985م.

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، 2مج. ط1، تحقيق: الشيخ كامل محمد محمد عويضة. دار الكتب العلمية: بيروت 1419هـ - 1998م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: **الكامل في التاريخ**، 12مج. دار صادر ودار بيروت: بيروت 1385هـ - 1965م.

إسبر، محمد سعيد، وبلال جنيدي: **معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها**. ط1. دار العودة: بيروت 1981م.

الأصفهاني، العماد: **خريدة القصر وجريدة العصر**. تحقيق: عمر الدسوقي وعلي عبد الله العظيم. دار نهضة مصر: الفجالة 1964م.

أنيس، إبراهيم، وعبد الحليم منتصر، وعطيّة الصوالحي، ومحمد خلف الله الأحمر: **المعجم الوسيط**، 2ج. ط2. مجمع اللغة العربية: القاهرة 1392هـ - 1972م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة: **صحيح البخاري**، 5مج، 8ج. تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط1. دار الفكر: بيروت 1411هـ - 1991م.

ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 4 قسم. دار الثقافة: بيروت (د.ت).

- البستي، أبو حاتم محمود بن أحمد بن حبان: مشاهير علماء الأمصار. تحقيق: مجدي بن منصور بن سعيد الشوري، ط1. دار الكتب العلمية: بيروت: 1416-1995م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: كتاب الصلّة، 2 قسم. الدار المصرية للتأليف والترجمة: 1966م.
- البهوتي، منصور بن يونس: الروض المربع بشرح زاد المستنقع، 2 ج. ط1. مكتبة العيكان: الرياض 1413-1993م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، 11 ج. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية: بيروت 1414-1994م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، 5 ج. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط2. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر 1395-1975م.
- التهانوي، الشيخ المولوي محمد أعلى بن علي: موسوعة اصطلاحات العلوم الإنسانية (المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون)، 6 ج. خياط: بيروت (د.ت).
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 4 ج. تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط1. دار الكتب العلمية: بيروت 1403-1983م.
- الجرجاني، الإمام عبد القادر: أسرار البلاغة في علم البيان. تحقيق: السيّد محمد رشيد رضا، ط1. دار الكتب العلميّة: بيروت 1409-1988م.
- الجرجاني، القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبّي وخصومه. تحقيق: أحمد عارف الزين. مطبعة الفرقان: صيدا 1331.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات. مكتبة لبنان: بيروت 1969م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، 6 ج. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين: بيروت 1399-1979م.

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني: كتاب تهذيب التهذيب، 14 ج. ط1. دار الفكر: بيروت 1404 هـ - 1984 م.

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: المحلى، 8 مج، 11 ج. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي: بيروت (د.ت).

الرد على ابن النغريّة اليهودي ورسائل أخرى. ت: إحسان عباس. دار العروبة: القاهرة 1960.

الحموي، ياقوت: معجم الأديباء، 10 مج، 20 ج. ط3. دار الفكر: بيروت 1400 هـ - 1980.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، 2 قسم. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2. دار الكتب الإسلامية: القاهرة وبيروت 1403 هـ - 1983 م.

الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: د. إحسان عباس، ط2. مكتبة لبنان: بيروت: 1984 م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1. دار عمار ودار الرسالة: بيروت 1403 هـ - 1983 م.

الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني: قضاة قرطبة. الدار المصرية للتأليف والترجمة: 1966 م.

ابن الخطيب، لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة، 4 ج. تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2. مكتبة الخانجي: القاهرة 1393 هـ - 1973 م.

ابن خفاجة. ديوان ابن خفاجة. تحقيق: كرم البستاني. دار صادر، ودار بيروت: بيروت 1381 هـ - 1961 م.

ابن خلدون، عبد الرحمن محمد: مقدّمة ابن خلدون، 3 ج. ط3. تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر للطبع والنشر: الفجالة- القاهرة 1979 م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 8 ج. تحقيق: إحسان عباس. دار الثقافة: بيروت (د.ت).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي: **سنن الدارمي**، 2 ج. ط1، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي: بيروت 1407 - 1987 م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: **سنن أبي داود**، 2 مج، 4 ج. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر: بيروت (د.ت).
- ابن أبي الدم، القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد ربه: **كتاب أدب القضاء**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1. دار الكتب العلمية: بيروت 1407 - 1987 م.
- الذهبي، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. ط2، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي: بيروت 1414 - 1993 م.
- الذهبي، شمس الدين أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، 25 ج. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط7. مؤسسة الرسالة: 1410 - 1990 م.
- الذهبي، الإمام أبو عبد الله شمس الدين: **تذكرة الحفاظ**، 2 مج، 4 ج. دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- الرشداني، أبو الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني: **الهداية في شرح بداية المبتدي**، 2 مج، 4 ج. تحقيق: الشيخ طلال يوسف. دار إحياء التراث العربي: بيروت (د.ت).
- ابن رشد القرطبي، الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد: **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، 2 ج. ط10. دار الكتب العلمية: بيروت 1408 - 1988 م.
- ابن رشيقي، أبو علي الحسن القيرواني: **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، 2 ج. تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط1. محلّ محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر: 1325 - 1907 م.

- الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس الأنصاري: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 8 ج. الطبعة الأخيرة. مطبعة مصطفى الحلبي: مصر 1386-1967م.
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، القاهرة: 1973.
- الزبيدي، الإمام محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، 25 ج. تحقيق: علي شيري. دار الفكر: بيروت 1414-1994م.
- الزنجاني، عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي: كتاب معيار النظر في علوم الأشعار، 2 ج. تحقيق: الدكتور محمد علي رزق الخفاجي. دار المعارف: 1991م.
- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد: شرح المعلمات السبع. ط2. دار الجيل- بيروت، مكتبة المحتسب: عمان 1972م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري: الطبقات الكبرى، 9 ج، قسم. دار صادر: بيروت (د.ت).
- ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك: المغرب في حلى المغرب، 2 ج. تحقيق: خليل المنصور، ط1. دار الكتب العلمية: بيروت 1417-1997م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: مفتاح العلوم، ج. تحقيق: الأستاذ نعيم زرزور. دار الكتب العلمية: بيروت 1403-1983م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. دار المعرفة: بيروت (د.ت).
- الشريني، شمس الدين محمد بن الخطيب: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، 4 ج. تحقيق: محمد خليل عيتاني، ط1. دار المعرفة: بيروت 1418-1997م.
- الصاحب، إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة، 11 ج. تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين. عالم الكتب: بيروت 1414-1994م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك: الوافي بالوفيات. دار النشر فرانز شتايز شتوتغ: بيروت 1411هـ - 1991م.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس. تحقيق: روحية عبد الرحمن السويقي، ط1. دار الكتب العلمية: بيروت 1417هـ - 1997م.

الطبيب، أبو عبد الله محمد بن الكتاني: كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. تحقيق: د. إحسان عباس. دار الشروق: بيروت والقاهرة (د.ت).

ابن عاشور، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، 15 مج، 30 ج. دار سحنون للنشر والتوزيع: تونس 1997م.

ابن عبد البر. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وجمعه. تحقيق: عبد الكريم الخطيب. دار الكتب الحديثة: القاهرة 1975م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 4 ج. تحقيق: علي محمد الجاوي، ط1. دار الجيل: بيروت 1412هـ - 1992م.

الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ط1. دار الكتب العلمية: بيروت 1407هـ - 1987م.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، 11 مج. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية: بيروت 1419هـ - 1999م.

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، 2 قسم. تحقيق: محمد مرسي الخولي. الدار المصرية للتأليف والترجمة: الفجالة (د.ت).

ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4 ج. تحقيق: ج.س. كولان وإل. في بروفنسال، ط3. دار الثقافة: بيروت 1973م.

العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، 8 مج. تحقيق: علي محمد الجاوي، ط1. دار الجيل: بيروت 1412هـ - 1992م.

ابن عسكر، أبو عبد الله وأبو بكر بن خميس: **أعلام مالقة**. تقديم: د. عبد الله المرابط الترغبي، ط1. دار الأمان: 1420م - 1999م.

عطية الله، أحمد: **القاموس الإسلامي**، 5مج. ط1. دار النهضة المصرية: القاهرة 1390م - 1970م.

عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، 3مج، 4ج. تحقيق: أحمد بكير محمود. مكتبة الحياة، بيروت، مكتبة الفكر: طرابلس 1387م - 1997م.

الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، 8ج. تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ط1. مؤسسة الأعلى للمطبوعات: بيروت 1408م - 1988م.

ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المدني المالكي: **كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. دار الكتب العلمية: بيروت (د.ت).

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير: **تاريخ علماء الأندلس**. تحقيق: روحية بن عبد الرحمن السويقي، ط1. دار الكتب العلمية: بيروت 1417م - 1997م.

ابن قدامي، الإمامان موفق الدين وشمس الدين: **المغني ويليهِ الشرح الكبير**، 12ج. دار الكتاب العربي: بيروت 1403م - 1983م.

القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس: **الذخيرة**، 13ج. تحقيق: الأستاذ محمد بوخيزة، ط1. دار الغرب الإسلامي: بيروت 1994م.

الكاساني، الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، 6ج. ط2. دار الكتب العلمية: بيروت 1406م - 1986م.

الكتبي، محمد شاكر: **فوات الوفيات والذيل عليها**، 5مج. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر: بيروت 1973م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، 2 ج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر: بيروت 1373-1954م.

الموردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: الأحكام السلطانية والولايات القضائية. دار الكتب العلمية: بيروت (د.ت).

أدب القاضي، 2 ج. تحقيق: محيي هلال السرحان. مطبعة الإرشاد: بغداد 1391-1971م.

المتنبي: ديوان المتنبي. دار بيروت ودار صادر: بيروت 1377-1958م.

المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، 2 قسم. تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة. دار الثقافة: بيروت (د.ت).

المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق: محمد سعيد العريان. الجمهورية العهربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث لإسلامي: القاهرة 1383-1963م.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، 5 ج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر: بيروت: 1398-1978م.

مطلوب، أحمد: معجم الملابس في لسان العرب. ط1. مكتبة لبنان ناشرون: بيروت 1995م.

المقري، الشيخ أحمد بن محمد التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8 ج. تحقيق: د. إحسان عباس. دار صادر: بيروت 1388-1968م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، 14 ج. دار صادر ودار بيروت: بيروت 1955م.

النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني. تحقيق: كرم البستاني. دار صادر ودار بيروت: بيروت 1383-1963م.

النباهي، الشيخ أبو الحسن عبد الله بن الحسن المالقي: تاريخ قضاة الأندلس والمسمى كتاب  
المراقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا. المكتب التجاري للطباعة والنشر  
والتوزيع: مصر (د.ت).

الهدليّون: ديوان الهدليّين. الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة 1385-1965م.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 10 مج. ط2. دار الكتاب  
العربي: بيروت 1402-1982م.

وهبة، مجدي، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب. ط2. مكتبة لبنان:  
بيروت 1984م.

يعقوب، إميل بديع: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر. ط1. دار الكتب  
العلميّة: بيروت 1411هـ-1991م.

## ثانياً: المراجع:

- أحمد، محمد، ومولاي حفيظ بابوي، وبشرى عليطي: البنية الإيقاعية في شعر عزّ الدين المناصرة. ط1. منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين: القدس 1998م.
- أنيس، إبراهيم: موسيقى الشعر. ط5. مكتبة الأنجلو المصرية: مصر 1978.
- البيستاني، سليمان: شرح إياذة هوميروس، 2مج. دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت (د.ت).
- بهجت، الدكتور منجد مصطفى: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين. ط1. مؤسسة الرسالة: بيروت 1407هـ - 1986م.
- الجندي، علي: الشعراء وإنشاد الشعر. دار المعارف: القاهرة 1967م - 1387هـ.
- أبو حاتم، نبيل خليل: اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري. دار الثقافة: الدوحة 1405هـ - 1985م.
- الدقاق، د. عمر: ملامح الشعر الأندلسي. دار الشرق: بيروت 1975م.
- دياب، حامد الشافعي: الكتب والمكتبات في الأندلس. ط1. دار قباء: القاهرة 1998م.
- زيدان، عبد الكريم: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية. ط3. مؤسسة الرسالة: بيروت 1419هـ - 1998م.
- سمعان، سعيد: الجديد في البيان والعروض. مكتبة لبنان: بيروت 1969م.
- الشكعة، الدكتور مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه. ط2. دار العلم للملايين: بيروت 1975م.
- الشعر والشعراء في العصر العباسي. ط2. دار العلم للملايين: بيروت 1975م.
- شلبي، د. أسعد إسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف - نهضة مصر: القاهرة 1978م.
- الأصول الفنية للشعر الأندلسي "عصر الإمارة". دار النهضة: الفجالة - القاهرة 1983م.

الشنّاوي، علي غريب محمد: القصيدة الأندلسيّة في كتاب أعلام مألقة "دراسة فنيّة". ط1. مكتبة الآداب: القاهرة 2003م.

أبو صالح، وائل: منذر بن سعيد البلوطي. جامعة النجاح الوطنية: 1987م.

الصعدي ، عبد الفتاح، وحسين يوسف موسى: الإفصاح في فقه اللغة، 2ج. ط2. دار لالفكر العربي: 1384 - 1964م.

ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي 2، العصر الإسلامي. ط4. دار المعارف بمصر: 1963م.

عصر الدول والإمارات الأندلس. ط3. دار المعارف: القاهرة 1989م.

الطيب، عبد الله: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، 2ج. ط2. الدار السودانية: الخرطوم 1970م.

عبّاس، فضل حسن: البلاغة فنونها وأفانها "علم البيان والبديع". ط3. دار الفرقان: 1419 - 1998م.

عبد الجليل، محمد بدري: تصوير المقام في البلاغة العربيّة. دار المعرفة الجامعيّة: مصر 2003م.

عبد الرحيم، مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري. مؤسسة الرسالة: (د.ت).

عتيق، عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس. ط2. دار النهضة العربيّة، بيروت: 1396 - 1976م

علم المعاني. دار النهضة العربيّة: بيروت 1405 - 1985م.

عطية، الدكتور مختار: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دراسة بلاغيّة. دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية 2004م.

أبو علي، الدكتور محمد بركات حميدي: البلاغة العربيّة في ضوء الأسلوبية ونظريّة السياق. ط1. دار وائل للنشر: 2003م.

- عيسى، عبد العزيز محمد: الأدب العربي في الأندلس. مطبعة الاستقامة: مصر 1355هـ.
- فيود، الدكتور بسيوني عبد الفتاح: علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان. مؤسسة المختار- مصر، ودار المعالم الثقافية: الأحساء 1418هـ - 1998م.
- القاسمي، ظافر: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الثاني (السلطة القضائية). ط3. دار النفائس: بيروت 1407هـ - 1987م.
- المدني، علي صدر الدين بن معصوم: أنوار الربيع في أنواع البديع، 7ج. ط1. تحقيق: شاكر هادي شكر. مطبعة النعمان: النجف 1969م.
- أبو موسى، محمد: التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان. مكتبة وهبة: القاهرة 1400هـ - 1980م.
- نجا، أشرف: قصيدة المديح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية "عصر ملوك الطوائف". ط1. دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر: الإسكندرية 2003م.
- هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث. دار العودة: بيروت 1987م.
- وافي، د. علي عبد الواحد: فقه اللغة. ط7. دار نهضة مصر للطباعة والنشر: الجالة- القاهرة 1393هـ - 1973م.

### ثالثا: الدوريات:

حمادي، عبد الله: الدين بمعزل عن الشعر. نزوى. 2001/26، ص85.

أبو صالح، وائل: شعر أبي الوليد الباجي جمع ودراسة. مجلة جامعة بيت لحم للأبحاث. 1996/15، ص138-142 .

### رابعا: الرسائل الجامعية:

عتيق، عمر عبد الهادي قاسم إبراهيم: دراسة الأسلوبية في شعر الأخطل، 135. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين 2000م-2001م.

مصطفى، محمود راشد يوسف: الفخر عند الشاعر يوسف الثالث. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين 1425هـ - 2004م.

**An-Najah National University  
Faculty of Graduate Studies**

**The Poetry of Andalusia Judges from the  
Conquest to the End of Princelings Era  
Critical Analysis**

**Prepered by  
Ashja' Rushdi Abdul-Jabbar Duraidi**

**Superviesed by  
Prof. Wael Fuad Abu-Saleh**

*Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of  
Master of Arts in Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate  
Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.*

**2006**

**The Poetry of Andalusia Judges from the  
Conquest to the End of Princes Era  
Critical Analysis  
Prepared by  
Ashja' Rushdi Abdul-Jabbar Duraidi  
Supervised by  
Prof. Wael Fuad Abu-Saleh**

**Abstract**

The title of my thesis was (the poetry of al andalus judges from the islamic conquest to the end of the age of the sects kings). The judicial system gained great importance among the public and private people because it was organically related to their religion and lives. There were certain conditions to appoint a judge: right brains, muslim, male, just, familiar with religious laws, sound senses, and some others which would earn him great praise, respect, and credibility.

The judge used to be chosen by the ruler; however vice rulers, the princes or the judges of provinces, advisors were allowed to set up the judges. Also the plebians had the chance to nominate their judge.

The judges had some other responsibilities like marriage contracts, prison affairs, and heritages. The judges had assistants such as copyists, porters, and security forces.

They lead a life of humbleness, simplicity, and honesty. They had meagre incomes from the treasury; their residencies were so simple and had no signs of luxuries. They would decide cases at mosques. Besides, they had offices to organize their judicial jobs.

The number of them was large, but, unfortunately, poetry of sixteen judges were found. Some of them left a lot of poetry, others left a little. Their poetry was easy, prose-like and their dictions were affected by then -

civilization. Their poetry works were full of synonyms and antonyms. They injected their poems with emphatic items in their statements.

They used different figures of speech like similes, synecdoches, etc. Most of their poetic writings were no more than six lines for each short stanza. The main focus of which was on description, and ethics. The poems, on the other hand, tackled longing, elegy, and knowledge.

The sources which contain the poetic works lacked good printing and accuracy, so that's why I had to correct the wrong musical structures.